AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01043 6040

ID: 01-b2942

29-5

رجال المال والأعمال

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
CAIRO
Financiers - Bios.

HJ
172
A2
R5x
1933

هدية المقتطف السنوية

١٩٣٣

مطبعة المقتطف والمقطم

925
M89M

90
ش ظ ف ر

16315
17315

رجال المال والاعمال

افتح كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان تجدهُ كلهُ من اولهِ الى آخرهِ ترجمات رجال الامة الاسلامية والبلاد الشرقية من بدءِ الاسلام الى ان فرغ المؤلف من تأليفهِ سنة ٦٧٢ للهجرة. وقد قال في مقدمتهِ انهُ لم يذكر فيهِ احداً من الصحابة ولا من التابعين الاَّ جماعةً يسيرة وكذلك الخلفاء لم يذكر احداً منهم اكتفاءً بالمصنفات الكثيرة في هذا الباب. ولم يقصر كتابهُ على طائفة مخصوصة مثل العلماء او الملوك او الامراء او الوزراء او الشعراء، بل كل من لهُ شهرة بين الناس ويقع السؤال عنهُ، ذكره واتى على احوالهِ. وذكر من محاسن كل شخص ما يليق بهِ من مكرمة او نادرة او شعر او رسالة. وقد سمَّاهُ: وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان: ليطابق الاسم المسمَّى. هذا ما قالهُ ابن خلكان في مقدمة كتابهِ. واذا اضفنا اليهِ تاريخ الخلفاء للسيوطي وجب ان يكون الكتابان مرآة الامة وخلاصة تاريخها وعنوان مجدها والدليل الذي يستدل بهِ على احوالها ودرجة عمرانها. اما كتاب السيوطي فواضح من عنوانهِ انهُ خاص بالخلفاء فلاينتظر ان يُعلَم منهُ شيءٌ كثير عن غيرهم وغير المتصلين بهم رجالاً ونساءً. واما وفيات الاعيان فقد نظرنا فيهِ عند كتابة هذه السطور لنرى من هم في عرف مؤلفهِ الاعيان الذين لهم شهرة بين الناس ويقع السؤال عنهم وقرأنا بعض الترجمات ترجمة ترجمة من اولهِ فوجدنا ما يلي:

الاولى ترجمة ابراهيم النخعي الفقيه	السابعة ترجمة ظهير الدين الفقيه
الثانية « ابي ثور الفقيه	الثامنة « ابرهيم بن المهدي الخليفة
الثالثة « المرزوي الفقيه	التاسعة « ابرهيم الموصلي المغني
الرابعة « الاسفرايني الفقيه	العاشرة « ابرهيم الصولي الشاعر
الخامسة « ابي اسحق الشيرازي الفقيه	الحادية عشر « نفطويه النحوي
السادسة « الخطيب ابي اسحق العراقي الفقيه	الثانية عشرة « الزجَّاج النحوي

وقد نظرنا كذلك في سيرة المائة الاولى من الذين ترجمهم المؤلف رحمهُ الله فوجدناهم ينقسمون بحسب شهرتهم كما ترى في هذا الجدول

٣٢	من الفقهاء	٣	من علماء التفسير
٢٩	من الشعراء والادباء	٣	من الزهَّاد
١٧	من الملوك والامراء	٢	من المغنين
٧	من النحاة	٢	من المؤرخين
٣	من علماء اللغة	٢	من اهل المجون والاطباء

هذا تقسيم المائة الاولى، ونظن اننا لو استقرينا كل الترجمات التي في هذا الكتاب، والتي

في غيرهِ من الكتب العربيـة، لوجدناها على هذا النمط وهذه النسبة. اي نحو ٣٢ في المائة منها من الفقهاء، ونحو ٢٩ في المائة من الشعراء، ونحو ١٧ في المائة من الامراء ونحو ٧ في المائة من النحاة، والباقون وهم ١٥ في المائة مفسرون ومؤرخون ومغنون واطباء وزهّاد واهل مجون. هؤلاء كانوا عماد الامة الذين تقوم عليهم وبهم تذكر، او كما قال ابن خلكان «الذين لهم شهرة بين الناس ويقع السؤال عنهم»

***

أمن هؤلاء وحدهم كان قوام الامم الشرقية، اين ارباب الزراعة اين ارباب الصناعة اين ارباب التجارة؟ كيف كانت الامة تعيش وتنمو وترتقي؟ كان العرب قبل الاسلام، وقبل النصرانية وفي عهد ابرهيم الخليل واسحق ويعقوب والاسباط، اهل زراعة وتجارة. كانت قوافلهم تمرُّ بسواحل الشام آتية الى مصر، وكانت سفائنهم تمخر البحر الاحمر وبحر العرب وبحر فارس. اما المصريون والفينيقيون والاشوريون، وكل الامم الشرقية التي نُشر في بلادها لواء العرب، فقولنا انها كانت امماً زراعية صناعية تجارية تحصيل حاصل، لانها هي التي اوجدت الزراعة والصناعة والتجارة في الدنيا. وبقي العرب اهل تجارة يطلبون الكسب بالمتاجرة، ويضربون في الآفاق تجاراً، حتى جاء الاسلام وصاروا يضربون فيها فاتحين. فعلى مَ لا نجد في وفيات الاعيان ولا في غيرهِ من كتب السيرَ الاَّ ذكر الفقهاء والشعراء والادباء والامراء والنحاة ونحوهم؟ أبهؤلاء قوام الامة لا بغيرهم وهم عنوان مجدها وغيرهم بُهَّل همَل؟ ان قال بذلك ابناء العصر الذي كان فيهِ ابن خلكان فهل يقول بهِ ابناء عصرنا هذا ونحن نرى ارباب الزراعة والصناعة والتجارة ملكوا الخافقين نرى الملوك يقتنون المزارع والمعامل ويشاركون الشركات التجارية في اعمالها؟ نرى ميازيب الثروة تنهال على ابناء الصناع والتجار. نرى قصورهم وبيوتهم ومتاحفهم وسفائنهم غاصَّة بكل علق فاخر ثمين. ونحن نسل الامراء والفقهاء والشعراء والادباء عاكفون على التفاخر بالعظم الرميم وتفسير الآيات والاحاديث ونظم المدائح والمراثي. ومن حين يشبُّ اولادنا لا يرون امامهم مثالاً يقتفونه ويحيكون على منواله، الاَّ ما يقرأونهُ في كتب السير عن فلان الفقيه وفلان الشاعر وفلان المحدّث. وقد عنَّ لنا ان نجمع سِيَر اناس ليسوا من الامراء ولا من الفقهاء ولا من الشعراء. بل من ارباب الاعمال والاموال الذين نشأوا في عصر الامن واليهم يُنسَب جانب كبير من تقدم البلدان الاوربية والاميركية. هنا يجد القارىء تراجم موجزة لاصحاب المع الاسماء في ميدان العمل والصناعة والمال — هنا روتشيلد وركفلر وكارنيجي وفورد وروتر وشواب وكروب ومورجان وستنّس وغيرهم من ارباب المال والاعمال، ففي سيرة كل منهم عبرة تستفاد، إما بالاخذ عنهم، او باجتناب المهاوي التي تشير اليها سيرهم. هنا فضائل الصبر والمثابرة والدقة والامانة، في سير رجال اسماؤهم ملء الافواه والاسماع

السلطة للمال

كانت السلطة للقوّة البدنية، فاختصّ بها الاقوياء الذين يقهرون غيرهم في الحروب، وتوارثها اعقابهم وقبائلهم، فقام منهم الملوك بالانتخاب او بالارث . ولما كان عملهم الامارة وهي غير منتجة، أي لا دخل لها لا من الارض ولا من عمل الغير ، تقاضوا نفقاتهم من الغنائم او من ابتزاز الاموال من الاغنياء ، فكانوا يغزون غيرهم من القبائل لاغتنام أموالهم ويصادرون الاغنياء من ابناء قبيلتهم ويبتزون ما عندهم، فوق ما يضربونهُ على عامة الشعب من الضرائب، وجروا على ذلك الى عهد قريب . فقد بقي ابتزاز اموال الاغنياء شائعاً في هذا القطر الى أواخر عهد اسماعيل باشا. حتى كان أغنياؤه يضطرون ان يخفوا أموالهم ويتظاهروا بالفقر ، اما الاطيان التي لا يمكن اخفاؤها فكانت تؤخذ منهم بثمن او بلا ثمن واذا ابوها فبالعدة والكرباج كما هو معلوم . وما بقي جارياً في هذا القطر الى اواخر عهد اسماعيل باشا كان جارياً في كل البلدان في المسكونة كلها ولا يزال جارياً في بعضها الى الآن

ولقد نهض الشعب من وقت الى آخر لاسترداد السلطة المغصوبة منهُ، فكان يفلح تارة ويخفق اخرى وكان يتفق ان يتسلط عليه رجال اشربوا حب العدل فيعدلون فيهِ ولا يتقاضونه غير ما يكفي لاقامة العدل وحفظ سياج المملكة، كما فعل بعض الملوك والخلفاء، ولكن فعلهم هذا كان بمجرد ارادتهم لا بحق خُوّلهُ الشعب واحتفظ بهِ . ودامت الحال على هذا المنوال الى ان قويت سلطة الشعب وتم الاتفاق على اعادة السلطة لهُ في أكثر الممالك الاوربية فتمتع الأغنياء بغناهم . وعاد أهل الامارة لا يستطيعون ان يبتزوا الأموال منهم، بل اجبروا على الاكتفاء بما فرض لهم على الشعب اي بما فرضهُ لهم نوّاب الامة مما يلزم لنفقاتهم لا يزاد غرشاً. فعاش الاغنياء ناعمي البال آمنين من مصادرة الاموال

والغنى ينمو ، وقلما يستطيع الغني ان ينفق كل ريع امواله. فتزيد وتتراكم سنة بعد اخرى. ومن ثمّ قام في الممالك الدستورية الاغنياء الكبار مثل بيت رتشيلد وبيت استور وبيت ڤندربلت وكارنجي وروكفلر وغيرهم من الذين فاقوا بغناهم الملوك والامراء . ولم يكتف هؤلاء الاغنياء بالاحتفاظ باموالهم. بل صارت لهم السلطة السياسية أيضاً في البلدان التي هم فيها، حتى جعلوا جيوشها وأساطيلها رهن أمرهم وطوع اشارتهم تدافع عن اموالهم بدمائها . وهذا معنى ما يقولهُ الآن ساسة انكلترا وفرنسا والمانيا واميركا « مصالحنا » اى متاجر أغنياء بلادهم واموالهم المدانة للامم الاخرى . فمصالح فرنسا في مصر هي البنك العقاري الذي اكثر اسهمهِ

وسنداته في يد الفرنسويين، وبنك الكريدي ليونه الذي اكثر امواله منهم، وجانب كبير من دين الحكومة المصرية . وقس على ذلك مصالح المانيا وايطاليا والنمسا وبلجيكا . ومن هذا القبيل مصالح انكلترا ايضاً، ويزاد عليها حصتها الكبيرة من ترعة السويس وكون هذه الترعة طريقاً الى املاكها ومصالحها في الهند

واذا بحثت عن اصحاب هذه المصالح الحقيقيين من انكليز وفرنسويين والمانيين ونمسويين وبلجيكيين وايطاليين وجدتهم الاغنياء اصحاب البنوك والمعامل والمصانع الذين لا يتجاوز عددهم الالوف او المئات، واما جمهور الشعب من الفلاحين والعمال الذين يعدون بعشرات الملايين فلا يملكون شيئاً من هذه المصالح . وكغنى مصر وغيرها من البلدان الشرقية لا يكسبهم رغيفاً فوق الرغيف الذي يأكلونه وفقرها لا يخسرهم غرشاً . وقس عليهم الجنود البرية والبحرية الذين يدافعون عن مصالح بلدانهم بدمائهم مسوقين الى الحروب كالانعام فانهُ ليس لهم سهم من تلك المصالح ، انما هي مصالح الاغنياء وهم خدم مسيرون في هذا التيار تيار خدمة الوطن ومصالحهِ

ويقال ان للانكليز نحو اربعة آلاف مليون من الجنيهات مثمرة (موظفة) في غير الجزائر البريطانية . فمنها ١٥٠٠ مليون جنيه في اميركا الشمالية . ونحو ١٠٠٠ مليون جنيه في ممالك اوربا . و١٥٠٠ مليون جنيه في اميركا الجنوبية وغيرها . ولسائر ممالك اوربا اموال مثمرة في كل البلدان . ويقدَّر مجموعها كلها بنحو ستة آلاف مليون جنيه . وهذه الاموال تزيد كل سنة زيادة فاحشة

وقد كان الانكليز قبل الحرب يفضل معهم كل سنة نحو مائة مليون جنيه . وهي فضلة دخلهم على نفقاتهم . واحصى بعضهم ما يفضل عند غيرهم من الامم فوجد انهُ يفضل كل سنة عند اهالي الولايات المتحدة ١٢٠ مليون جنيه وعند الفرنسويين ٨٠ مليون جنيه، وعند الالمانيين ٦٠ مليون جنيه، وعند البلجيكيين والهولنديين والسويسريين ٥٠ مليون جنيه، وعند النمسويين ٣٢ مليون جنيه، وعند الروسيين ٣٢ مليون جنيه ايضاً، وعند الايطاليين ١٢ مليون جنيه، وعند الاسبانيين والبرتغاليين ١٢ مليون جنيه، وعند الاسوجيين والنروجيين ثمانية ملايين جنيه، والجملة نحو ٥٠٠ مليون جنيه، وقد تغيرت الارقام الآن ولكن المبدأ لا يزال هو هو

وهذه الاموال الطائلة تفضل كل سنة عما ينفقهُ الاوربيون واهالي الولايات المتحدة، فيوسعون بها الاعمال في بلدانهم المختلفة، ويثمرونها في آسيا وافريقية . واذا تذكرنا ما قالهُ الحكيم وهو ان : المدين عبد للدائن : فهم يستعبدون باموالهم سكان آسيا وافريقية بتديينهم اياها المائة باربعة الى ستة او سبعة في السنة . ويتقاضون ريعها منهم وهو لا يقل عن ثلثمائة مليون جنيه

ولكن الذي يجول في البلدان الاوروبية لا يرى جمهور الاهالي على ثروة طائلة، بل بالضد من ذلك يراهم فقراء يعيشون من يدهم الى فمهم كما يقول المثل الانكليزي . واذا ابطلوا العمل بسبب المرض او المطر تضوروا جوعاً ، وقد يموتون جوعاً بالفعل . فجمهور الاهالي او تسعة

وتسعون في المائة منهم لا ينالهم شيء من هذه الثروة. فهي خاصة بالاغنياء وهم خدام لهم يخدمونهم بقوى اجسامهم وعقولهم كما تخدمهم الامم المدينونة لهم

كانت الحكومة العثمانية تدفع لاصحاب الديون من الاوروبيين اكثر من ثمانية ملايين من الليرات كل سنة. ولا يزيد دخل شعبها كله على ثمانين مليون ليرة . فاكثر من عشر دخلهم يذهب الى نفر قليل من اصحاب ديونها، عدا ما يكسبونهُ من متاجرهم مع تركيا . وكانت الحكومة المصرية تدفع لاصحاب الديون المصرية من الاوربيين ستة ملايين من الجنيهات او اكثر، وقد لا يزيد دخل القطر المصري كله على خمسين مليوناً من الجنيهات فهو يدفع اثني عشر في المائة من هذا الدخل للمداينين . وقس على ذلك سائر البلدان المدينة لهم . واذا تأخرت بلاد عن دفع دينها، او اذا ظنَّ في بلاد انها تستطيع ان تستدين من اموال هؤلاء الاغنياء ، وهي لا تستدين منها او انها تستطيع ان تشتري من بضائعهم وهي لا تشتري ، استخدموا كل ما لديهم من الوسائل لجعلها تدفع ربا دينها على آخر بارة. ولجعلها تستدين منهم وتشتري من بضائعهم وهذا سبب تعرضهم لشؤون البلدان المختلفة في آسيا وافريقية . واتباعهم سياسة الباب المفتوح واهتمامهم بالمقاطعة التجارية وعدها حرباً عدائية

وجملة القول ان السلطة الفعلية انتقلت او اخذت تنتقل من أصحاب الامارة الى أصحاب الاموال . وصار اهتمام اصحاب الامارة بالسلطة على مقدار نفعهم منها ، لانهم هم ايضاً صاروا شركاء مع التجار في المتاجر والاسهم والسندات . فهل خسر الشعب بما تمَّ حتى الآن من انتقال السلطة الى اصحاب الاموال . وهل تزيد خسارتهُ اذا تمَّ هذا الانتقال كما ينتظر؟ والجواب كلاَّ . لان نسبة الشعب الى اصحاب الامارة كانت نسبة العبد الذليل الى سيده العاتي. واما نسبتهُ الى اصحاب الاموال فنسبة الخادم القوي الى سيده الضعيف. فتراه يعتصب على اصحاب الاموال من وقت الى آخر، فيضطر هؤلاء ان يراضوه ويرفعوا اجوره . ولم يكن احد من عامة الشعب يطمع بالامارة، اما الغنى فسبيله مفتوح امام كل مجتهد مقتصد، ولذلك قد ترى الواحد الآن يولد وهو من افقر الفقراء ويموت وهو من اغنى الاغنياء . وقلما كان اصحاب الامارة يهتمون بتوزيع سلطتهم على شعبهم . اما الاغنياء فكثيراً ما ينفقون الاموال على الاعمال العمومية النافعة لجمهور الشعب. واذا كان اولاد الملك لا يصلحون لان يخلفوه لم يستطيعوا ان يوزعوا سلطته على شعبه. واما اولاد الاغنياء فاذا لم يستطيعوا الاحتفاظ باموال ابيهم بذروها وبددوها، فتتوزع على الجمهور ثانية . واموال الاغنياء عملت كل الاعمال العظيمة المؤسسة على الاختراعات الحديثة، التي بها قلت المشاق وزادت الراحة . والخلاصة ان هذا الانتقال ليس بضائر اذا نظرنا اليهِ في الامم امة امة ، اي ان ابناء الامة الواحدة لا يضرون بانتقال السلطة من امرائهم الى اغنيائهم، بل يستفيدون. ولكن مايصدق على ابناء الامة الواحدة بالنسبة الى امرائها واغنيائها

لا يصدق عليهم بالنسبة الى اغنياء غيرها من . الامم فلتتدبر ذلك الامم الشرقية لئلاَّ تضيع البقية الباقية لها من العزة والحرية باستعبادها لملوكها ولاغنياء الامم الاخرى

اما الأمم التي وضع على عنقها نير الدين، واستحكمت حلقاتهُ، فسبيلها الوحيد لاسترجاع حريتها الاجتهاد والاقتصاد . الاجتهاد حتى تكثر موارد دخلهـا وتزيد ، وذلك باتقان الزراعة والصناعة وكل الاعمال المنتجة. وهذا الباب واسع جدًّا لانهُ اذا استطاع زيد ان يستغل من فدانهِ ثمانية قناطير من القطن، وثمانية ارادب من القمح و١٥ اردبًّا من الذرة، وجب ان يستطيع ذلك كل احد. لان ارض مصر تكاد تكون واحدة في معدنها. و الاقتصاد في النفقات واجب ، ولا سيما اقتصاد الاغنياء الذين يبذرون اموالهم على ما لا يفيد احدًا . فاذا زادت ثروة البلاد وتخلصت من ديونها سهل عليها نيل كل حرية

***

والغرض من هذا الكتاب ضرب المثل للشبان

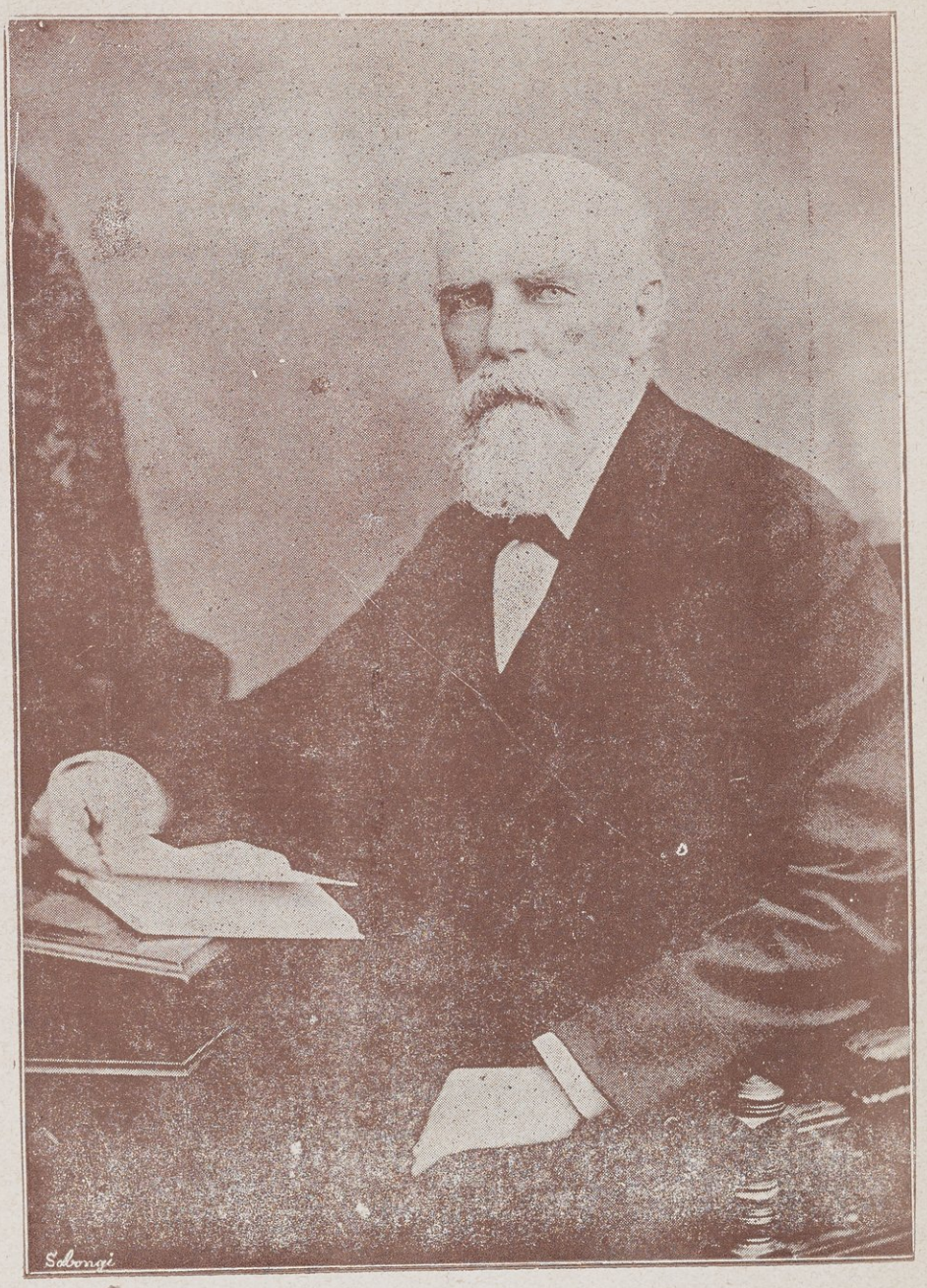

جون كوك

(امام ص ٧)

جون كوك

الناس من اب واحد وجبلة واحدة. ولكنهم يتفاوتون في العقول والهمم، تفاوتاً لا مثيل له في نوع آخر من انواع الحيوان. ترى فيهم النكس الوكل الذي يعيش كالحلَم [1] على غيره. وترى المقدام المفضال الذي يستخرج خيرات الارض وينفع بها نوع الانسان. ترى الجاهل الاحمق الذي يعبث بوجوده ويعيش كالجماد لا ادراك ولا شعور، والعالم المحقق الذي يبحث عن نواميس الكون ويستجلي اسرار الطبيعة لكي يحلي مرارة الحياة ويزيل منها المشاق والمكاره. ترى الظالم الغاشم الذي دأبهُ الفتك بأبناء نوعهِ واختلاس جنى اتعابهم بكل طرق الحرام، والكريم المحسن الذي يؤثر على نفسه ويستسهل كل مشقة في خدمة ابناء جنسه

ونحن في اثباتنا طرفاً من ترجمة جون كوك انما نقصد ان نطلع ابناء المشرق على سيرة رجل مقدام فاق سائر من نعرفهم بعلو الهمة ومضاء العزيمة وتوخي النفع. فادار عملاً كبيراً ينوء تحتهُ كبار الرجال، ونظمهُ تنظيماً يكاد يكون نادر المثال. ولم يبطره المال الكثير الذي كسبهُ ولا صرفهُ عن غوث الفقراء ورفد المنكوبين، بل زادت دعتهُ بزيادة ثروتهِ وكثرت مبراتهُ بكثرة امواله

ولد ببلاد الانكليز سنة ١٨٣٣. وكان ابوه يعمل حينئذ في خراطة الخشب، حرفة قليلة الريع لا تمكن صاحبها من تعليم اولاده في المدارس العالية الكثيرة النفقات، ولا سيما في البلاد الانكليزية. ثم انتقل بهِ الى بلد آخر وانشأ مطبعة صغيرة، وجعل يطبع فيها جريدة ضد شرب المسكرات. وكان يرسله بعض النهار الى المدرسة، ويستخدمهُ بقية النهار في المطبعة، لكي يدفع من اجرتهِ نفقات تعليمهِ. فكان ينهض عند الفجر ويأتي المطبعة ويقيم فيها الى حين ابتداء الدروس في المدرسة، فيمضي اليها ويعود الى المطبعة في فسحة الظهر والمساء. وكثيراً ما كان يعمل فيها الليل كلهُ. فلم يتعلم كثيراً، وترك المدرسة قبل ان اتم الرابعة عشرة من عمره

ثم بعث بهِ ابوهُ الى مطبعة اخرى، فكان يعمل فيها من الساعة السادسة صباحاً الى الثامنة مساء، وبقي ستة اشهر يعمل على هذا النسق من غير ان تحسب له اجرة، فعاد الى مطبعة ابيهِ. وكان قوي البنية شديد العضل، ففاق الطباعين كلهم في الطبع على آلات الطباعة، وكان يقيم على آلة الطباعة من الساعة السابعة مساء الى الصباح، فيطبع الفي ورقة من الاعلانات الكبيرة، ويمضي بها عند الفجر الى احدى المدن الكبيرة في داخلية البلاد، ويتولى لصقها على الجدران. وكثيراً ما كان يفعل ذلك يوماً بعد يوم وليلة بعد اخرى

قلنا ان اباه كان ينشر جريدة ضد شرب المسكرات، وكان من القائمين بدعوة الناس الى

(١) النكس الضعيف والوكل العاجز الذي يكل امره الى غيره والحلم الدود الذي يأكل الجلد

مقاومة السكر . واتفق الذين يذهبون مذهبهُ على الاجتماع في روض كبير بعيد عن بلدهم. حيث يتلون الخطب ويدعون الناس الى هجر المسكرات، وكانت سكك الحديد في بداءة نشأتها. فخطر له انهُ اذا عينت شركة سكة الحديد قطاراً خاصًّا للذهاب بالناس الى ذلك الروض بأجرة بخسة ذهب كثيرون منهم، فكان للشركة ربح كاف لكثرة الذين يذهبون . وكاشف الذين اجتمعوا حينئذٍ بما في نفسه فوافقوه عليهِ وفوضوا امرهُ اليهِ، فقابل سكرتير الشركة وأطلعهُ على رأيهِ. فقال له هذا انني لا اعلم من انت ولا اعلم جماعتك ولكنني اعطيك القطار كما طلبت، ودفع اليهِ جانباً من النفقات . فمضى من ساعتهِ وأعدَّ ما يلزم لاطعام الجماعة بعد وصولها الى الروض، وذهب في ذلك القطار ٥٧٠ نفساً من مدينة لستر الى لوبرو حيث الروض المشار اليهِ، ودفع كل منهم شلناً اجرة الذهاب والاياب . وهذه اول سفرة سفَّر بها الناس، وأول حلقة من سلسلة متصلة الحلقات، ابتدأت سنة ١٨٤٤ وامتدت الى الآن، وستمتد الى ماشاء الله من الزمان. ولم تقتصر على بلاد الانكليز، بل شملت كل قطر من اقطار الكرة الارضية برًّا وبحراً. وسار المترجم مع ابيهِ في سفراتهِ الاولى، ثم جعل يسير وحده مع المسافرين ويعتني بهم ويرشدهم في اسفارهم. وبقي على ذلك العمر كلهُ، لكنهُ ابتدأ بجماعة من عامة الناس وانتهى بقيصر الالمان في سنة ١٨٩٨

ولما اعتمد عليهِ ابوهُ في تدبير المسافرين جعلت الحاجة تفتق حيلتهُ فصار يهتم بأمتعتهم، وبمواعيد السفر برًّا وبحراً، وباعداد الفنادق التي ينزلونها والمشاهد التي يرونها. ولما اقيم المعرض العام في بلاد الانكليز سنة ١٨٥١ تولّى تسفير ١٦٥ الف نفس اليهِ، مع انهُ كان في السابعة عشرة من العمر . وكثيراً ما كان يسافر معهم خمسة ايام بلياليها من غير انقطاع، لكي لا يفوتهُ شيء من الاعتناء بهم . وزادت رغبة الناس فيهم حينئذٍ في مشاهدة المعرض لتسهيله السفر عليهم، حتى كان العمال منهم يرهنون ساعاتهم ليدفعوا اجرة السفر اليهِ . ولما رأى رؤساء سكك الحديد همتهُ واقدامهُ دعاه واحد منهم ليدير القطرات التي تنقل السياح وطالبي النزهة، فادارها ثلاث سنوات بهمة لا تعرف الملل. وكان يبحث عن الاماكن التي تستحق ان يمضي اليها الناس، ويشاهدوا ما فيها من المتنزهات او الآثار او المشاهد الطبيعية، وعما يرغبهم في الذهاب اليها وعن اصلح الاوقات للذهاب والاياب، ثم يعين الاجور اللازمة، ويعلن ذلك في الجرائد وفي الاعلانات التي تلصق على الجدران ، ويطلب من الحكومة ان تقلل الجعل على القطرات التي تمضي بالمتنزهين لقلة الاجرة التي تطلب منهم، ويكتب الى رؤساء المحطات يعلمهم بسفر هذه القطرات، ويعدُّ الحراس والرواد والادلة . وكثيراً ما كان يحيي ليله بالكتابة لهذه الغاية، حتى لقد كان متوسط شغله في شهور الصيف ثماني عشرة ساعة كل يوم، وكان يقضي شهور الشتاء في زيارة المحطات ومراجعة الحسابات واصلاح اسباب الخلل . ومع ذلك كله لم يكن راتبه السنوي سوى خمسة وسبعين جنيهاً لا غير . هذا الذي جمع ثروة تقدر بمئات

الالوف خدم شركة سكة الحديد المتوسطة ثلاث سنوات متوالية بعزم امضى من السيف وهمة تدك الرواسي، ولم تكن اجرتهُ في السنة سوى ٧٥ جنيهاً زرية في ذلك الحين، و كانت اجور المستخدمين اوفر منها. وقد سمحت له الشركة ان يساعد اباه كلما لاحت له فرصة ولم تضر مساعدتهُ له بأعمالها. فبقي في خدمتها ثلاث سنوات، ثم تركها واقتصر على الاشتغال وحده وعلى مساعدة ابيهِ حينما يضطر الى مساعدتهِ. ثم جعلهُ ابوهُ مديراً لاعماله كلها، وساح معهُ في فرنسا وسويسرا وايطاليا وذلك سنة ١٨٦٤. ومضى الى اميركا بعد سنتين واتفق مع شركات سكك الحديد فيها على تسفير السياح. وكثرت اسفاره في ذلك الحين فكان يقطع اكثر من خمسين الف ميل كل سنة. ثم طاف المسكونة كلها مراراً وفتح فروعاً لعملهِ في كل المدن الشهيرة. ابتدأ في عمله وحيداً وانتهى منهُ ومعهُ مئات وألوف من الخدم والاعوان وبعضهم من كبار رجال الادارة. ابتدأ وثروتهُ كلها تقدَّر بالدراهم القليلة وانتهى وقد كسب مئات الالوف من الدنانير. وسرُّ نجاحهِ همتهُ واستقامتهُ واعتمادهُ على الاكفاء من الاعوان وعلى النشر في الجرائد والاعلانات. فلا جريدة شهيرة الاَّ وفيها شيء من اعلاناته. وقد بلغ ما وزعهُ من المنشورات في سنة ١٨٩٠ نحو احد عشر مليوناً. وما الصقهُ بالجدران من الاعلانات اكثر من سبع مائة الف اعلان. عدا الجرائد التي ينشرها بلغات مختلفة ويعلن فيها أعمالهُ

واتفق مع شركات سكة الحديد في انكلترا وفرنسا وسائر اقطار المسكونة ومع شركات السفن البخارية، ومع اصحاب الفنادق الشهيرة في كل مكان. حتى تقبل التذاكر التي يعطيها للمسافرين كانها دراهم ينقدونها اياها اجرة السفر او الاقامة، ولكن لم يتم لهُ ذلك الاَّ بعد عناء كثير واسفار شاقة

ومن أعظم اعماله واشهرها وانفعها لهذا القطر اهتمامه بجلب السياح اليهِ وتسفيرهم فيهِ. وقد ابتدأ اشتغاله فيه منذ سنة ١٨٧٠ ثم ناطت به الحكومة الانكليزية ارسال حملة السودان سنة ١٨٨٤ و ١٨٨٥. اي نقل احد عشر الفاً من الجنود الانكليزية، وسبعة آلاف من الجنود المصرية، ومائة وثلاثين الف طن من الميرة، وثمانمائة قارب، واكثر من ستين الف طن من الفحم الحجري. واقتضى ذلك ٢٨ سفينة بخارية تسير بين انكلترا ومصر، وستة آلاف عربة نقل بين الاسكندرية واسيوط، و٢٧ سفينة بخارية تمخر النيل نهاراً وليلاً، و٦٥٠ مركباً شراعيًّا. وهذا أعظم عمل عمله انسان واحد او محل تجاري واحد. وقد استخدم لاتمام هذه الاعمال خمسة آلاف نفس. ثم رأى ان سفن الحكومة المصرية لا تصلح لتسفير السياح في النيل لما اعتورها من الخلل في حملة السودان، ولم ترض الحكومة ان تبني سفناً جديدة غيرها، فاضطر ان يبني السفن البخارية لهذه الغاية. فهو الذي زاد رغبة الاوربيين والاميركيين في المجيء الى هذا القطر والسياحة فيهِ. وقد رافق كثيرين من العظماء اليه والى بلاد الشام، وختم اسفاره معهم بسفرته سنة ١٨٩٨ مع امبراطور الالمان. وهاك ما كتبتهُ جريدتهُ الانكليزية في هذا الشأن

«لما اعلن رسميًّا ان الامبراطور عين الوقت الذي يزور فيهِ الارض المقدسة وناط تدبير ذلك بمحل كوك، أخذت الجرائد تذيع ماشاءت من الاخبار والآراء عن هذه الزيارة، وطلب كثيرون من أصحاب الجرائد الاوروبية ان نخبرهم بما نعلمه عنها، فأبينا لانهُ ليس من عادتنا ان نذيع مقاصد الذين يسافرون معنا من غير اذنهم . اما الآن وقد تمَّ امر هذه الزيارة ولم يوفها مكاتبو الجرائد حقها من الوصف رأينا من الواجب علينا ان ننشر هنا ما كتبه المسترجون كوك نفسهُ في وصفها قال:

«نزلت في نابلي في اواخر مارس سنة ١٨٩٦ وكنت ذاهباً من مصر الى اثينا، فاخبرني وكيلي فيها انهُ ينتظر وصول امبراطور الالمان الى هناك في اليوم التالي وانه آتٍ لزيارة جبل يزوف، فعزمت لساعتي ان اراقب التدابير المعدة لزيارتهِ، واستقبله على جبل يزوف. فاخبرني، في حديث طويل دار بيننا، انهُ عازم على زيارة الارض المقدسة، حينما يتم بناء الكنيسة والمستشفى في القدس الشريف، وانهُ ربما يزور القطر المصري ايضاً. وذكر لي تفاصيل هذه الزيارة وختم كلامه بقولهِ انهُ عازم ان لايقبل ضيافة احد بل يكل تدبير السفر كلهِ الينا . فاكدت لجلالته انه اذا عهد الينا في تدبير هذه الزيارة عددنا ذلك منَّة منهُ علينا. واني انا امضي الى فلسطين واراقب التدابير اللازمة بنفسي، ولي رغبة شديدة في مشاهدة افتتاح البناء الجديد على خرائب مضاف مار يوحنا، لاني حائز لرتبة الفرسان الخاصة بمار يوحنا الاورشليمي . وفي شهر مايو سنة ١٨٩٨ طلب منا ان نقابل معتمدي الامبراطور ونتذاكر معهم في تفاصيل هذه الزيارة. فبعثت بابني فرنك، لانهُ أعرف اخوته باحوال فلسطين لكثرة أسفاره فيها، وذهب معهُ مدير أشغالنا في فلسطين وقنصل المانيا في اورشليم فقابلوا معتمدي الامبراطور في المانيا، واتفقوا معهم على خطة السفر . وكان قصد الامبراطور ان تكون النفقات كلها منهُ. ولكن الحضرة السلطانية أبت ذلك» . وبعد تفصيل مسهب في هذا المعنى قال «اقتضى لنا ١٤٣٠ مطية من الخيل والبغال، و ١١٦ مركبة، وثلاثة قطرات خاصة من القدس الى يافا، وثلاثة قطرات اخرى من بيروت الى دمشق ومن دمشق الى بيروت، و ٨٠٠ مكار وسائق و ٢٩٠ خادماً و ٣٠٠ خيمة . وارسلت الاطعمة من انكلترا والمانيا والنمسا ومصر، وبلغ ثمن الفواكه والفراخ والبيض الذي دفع في فلسطين وحدها الفي جنيه . وكانت مائدة الامبراطور توضع يوميًّا لثلاثين او خمسة وثلاثين نفساً، وادواتها كلها من الفضة الخالصة. وكان الامبراطور قد أخذ معه طباخهُ الخاص وندله المختصين به. فلما رأى جودة الطعام وحسن الخدمة صرف طباخه وندله بالاجازة . وكان الحر شديداً فمرضت واشتدَّ عليَّ المرض ولكنني تجلدت وقابلت الامبراطور والامبراطورة حين وصولهما الى اورشليم في التاسع والعشرين من اكتوبر. فلما رآني الامبراطور اقترب مني وسلم عليَّ مصافحة . واظهر اسفه لاني مريض. واكد لي ان كل تدابير السفر جارية احسن مجرى كأنها الساعة في انتظامها. وقال ان ابنك خير خلف لك ونحن راضون تمام الرضى

بكل تدابيره . ثم قال «يامستر كوك وعدتك على جبل يزوف ووعدتني انت هناك وكل منا قد اتم وعده وانا راض تمام الرضى . وتقدمت الامبراطورة حينئذٍ وهي راكبة على جوادها وسألتني عن صحتي وطلبت مني ان اكون مطمئناً من جهتهم ولا اتعب نفسي، لان كل شيء جارٍ على تمام الانتظام .ثم قال الامبراطور «على مَ هذا الاهتمام الشديد ولماذا شوَّهوا اورشليم بتبييض جدرانها وتلوينها فاني كنت احب ان اراها كما هي على حالتها الطبيعية» وكان تدبير هذا السفر منوطاً بابني فرنك،فانهُ قابل الامبراطور حال وصوله الى مرفإ يافا ورافقهُ الى آخر سفره في سورية . ولما لم اكن عازماً ان أرافق الامبراطور الى مدينة بيروت جاءني بنفسهِ قبل سفري من يافا وقال لي «اني اهنئك يامستر كوك لان انتظام اعمالك اعجب ما رأيتهُ في حياتي ولقد كان الاهتمام بنا من اصعب الامور لان موكبنا اكبر المواكب التي سارت في هذه البلاد او التي يمكن ان تسير فيها ، لكن ابنك واعوانه قد أتموا كل شيء طبق المرام وانا راضٍ فوق الرضى رضى . وتقدمت الامبراطورة ايضاً وكلمتني بما يماثل ذلك واظهرت لي رضاها التام . وقد تكرم الامبراطور فاعرب عن مثل ذلك لابني قبلما برح بيروت ، وانعم عليَّ بنشان تاج بروسيا الذهبي وعلى ابني بنشان النسر الاحمر اثباتاً لذلك

«وهنا ختمت الخطة التي سرت فيها خطة تسفير السياح بنفسي التي ابتدأت بها سنة ١٨٤٤ وانا ولد صغير اقود نحو خمس مئة ولد للنزهة.ومن ذلك الحين الى الآن قد سرت مع كثيرين من كل طبقات الناس الى كل مكان مشهور على سطح البسيطة.وحسبي ان اختمها بسفر امبراطور الالمان في الارض المقدسة »

وجاء المستر كوك بعد ذلك الى القطر المصري مستشفياً، وصعد في النيل.وعاد الى البلاد الانكليزية في ١١ ديسمبر . ولكن المرض الذي اصابه وهو في القدس الشريف اورده حتفهُ في الرابع من مارس سنة ١٨٩٩ وهو في الخامسة والستين من عمره

***

وكان طويل القامة،انيس المحضر،طلق المحيا،على مهابة وكمال ونزاهة،لايشرب الاَّ الماء القراح ولا يتأنق في المعيشة مع بذلهِ الجهد في اعداد كل اساليب الرفاهة للذين يسافرون معه . دعانا سنة ١٨٩٠ للسفر معهُ الى الصعيد الاعلى في سفينة بخارية جديدة من سفنه ، فمضى كاتب هذه السطور في ضيافته،وشاهد آثار المصريين الاقدمين، وكتب رسائل النيل التي نشرت في المقطم في اواخر سنة ١٨٩٠ واوائل سنة ١٨٩١ وفي المجلد الخامس عشر من المقتطف وقال في خاتمتها «وكان الخواجه جون كوك معنا وهو من ذوي الاقدام الذين عركوا الدهر وادارو الاعمال العظيمة الواسعة النطاق بهمة لا تعرف الملل وقد كلل الشيب مفرقهُ ولكنهُ لم يمح علامات البشر والايناس من وجهه فكان يعامل جميع ضيوفه كانه ضيفهم وهم اصحاب السفينة»

هنري فورد ومعامله

كثيراً ما تكون الحقيقة اغرب من مبتكرات الخيال . واي قصة خيالية اكثر غرابة من حكاية فورد واتوموبيلهِ ومعاملهِ . رجل كان في اوائل القرن العشرين مستخدماً في شركة اديصن الكهربائية بدترويت، يذكرهُ الناس سائراً في شوارعها باتوموبيلهِ الاول، وكان اقرب الى اللعبة منهُ الى آلة مفيدة ، فلم يمرَّ عليهِ ربع قرن الاَّ ويصير اغنى اغنياء العالم ، لا يقلُّ دخلهُ السنوي عن ثلاثين مليوناً من الجنيهات ، يشتغل في معاملهِ وفروعها المنتشرة في كل انحاء المعمور نحو ١٨٠ الفاً من العمال ، لا يتقاضى العامل منهم اقل من ستة ريالات اميركية اجرة يومية او ما يزيد على ٣٥ جنيهاً في الشهر ، وساعات العمل لا تزيد على ٨ ساعات في اليوم. زد على ذلك ان هذه المعامل كانت تصنع سنة ١٩٢٥ ما يزيد على مليوني اتوموبيل، اونحو ٧ آلاف اتوموبيل في اليوم ، عدا ما تصنعهُ من المحاريث والسيارات الفخمة وسيارات النقل، وما تسبكهُ من الحديد وتصبهُ من الزجاج وتصنعهُ من الجلد الصناعي وهلمَّ جرًّا

اتيح لكاتب هـذه السطور زيارة الفرع الأكبر من معامل فورد الشهيرة قرب مدينة دترويت بالولايات المتحدة، ويعرف بمعمل هيلند بارك، في صيف سنة ١٩٢٤ . فدهش مما رآه فيهِ من الاتساع والنظام والانصباب على العمل . ثم قرأ كتاباً وضعهُ فورد موضوعهُ « حياتي وعملي » فزادت دهشتهُ وعظم اعجابهُ بهذا الرجل العظيم . اقول انهُ رجل عظيم غير متردد بعد ان كنت احسبهُ داهية مالٍ لا غير سنحت لهُ بعض الفرص فعرف كيف يغتنمها وجمع ثروة رفعتهُ من صف العمال الى المقام الاول بين اغنياء العالم . هو رجل عظيم لان بردته تضمُّ مستنبطاً بارعاً وماليًّا محنكاً ومصلحاً اجتماعيًّا ، وله فوق فضل الرجل العظيم ، النفع الذي يجنيهِ الناس من حياتهِ . فان عشرة ملايين اتوموبيل، يزيد مجموع قوتها على ٢٢٩ مليون حصان تستخدم الآن في كل انحاء المعمور للنقل والانتقال والحرث والنزهة بنفقات قليلة جدًّا في جنب فائدتها وقوتها، لاعظم ما يستطيع ان يفعلهُ رجل واحد في مدى حياة تعد بالستين او بالسبعين. مع ذلك تراهُ يحسب ان شركتهُ لا تزال على عتبة المستقبل . واكبر دليل على ذلك ان نصف ما صنعتهُ من السيارات في عشرين سنة صُنع في السنتين الماضيتين . ويأمل بفضل اساليبهِ الصناعية والمالية ان يزيد ما يصنعهُ من اتوموبيله ومحراثهِ وان يخفض ثمنهما الى ادنى حد مستطاع حتى يجعلهما في متناول كل احد . ولم يكتف بذلك بل عني بعماله فقاسمهم بعض ارباحه قبل ان قلب البولشفيك النظام المالي في روسيا . ثم جعل راتب العامل اليومي لا يقلّ عن ٦ دولارات، فكان امين الجانب من جهتهم حين كان الاعتصاب منتشراً في كل البلدان الصناعية على اثر الحرب

فورد

(امام ص ۱۲)

كثيراً
حكاية فور
اديصن الـ
اللعبة منهُ
السنوي عن
المعمور نح
يومية او م
على ذلك از
اتوموبيل
من الحديا
اتيح
دترويت بالو
الاتساع وا
فزادت ده
كنت احس
من صف
بارعاً ومالي
من حياته
الآن في
وقوتها،
تراهُ يحس
من السيا
ان يزيد
في متناو
البولشفي
امين الج

الكبرى .وستظهر جميع هذه الصفات في الكلام عليهِ ووصف اهم ما يستوقف النظر في معامله ونظام شركتهِ واساليبها

***

وُلد هنري فورد في ٣٠ يوليو سنة ١٨٦٣ في قرية بولاية مشيغن من اعمال الولايات المتحدة قرب مدينة دترويت . وكان ابوه من المزارعين المعروفين ولهُ مقام اجتماعي محترم . اظهر هنري ميله الى الميكانيكيات منذ نعومة اظفارهِ .فجاءت اعماله في صغرهِ مقدمة واضحة لما صار اليهِ في شبابه وكهولتهِ . صنع اولاً دولاباً صغيراً تديره المياه المنحدرة ونصبهُ قرب المدرسة التي كان يتعلم فيها . ثم صنع آلة صغيرة لدرس الحنطة . وكان مسافراً في احد الايام الى دترويت فرأى آلة بخارية ضخمة على الطريق ،فوقف يسأل المهندس عن تركيبها، ثم وقعت له ساعة تخلبهُ ما فيها من دقة التركيب . ولما بحث عنهُ اهلهُ في احد الايام وجدوهُ في اهراء الحنطة وقد فكك الساعة واعاد تركيبها كأنَّ اجزاءها كانت معروفة لديهِ بالفطرة . ويقال انهُ لما بلغ الثالثة عشرة فكّر في صنع آلة يضعها في درّاجة لهُ ليستغني بها عن تحريكها بالرجلين

كذلك نشأ لا يميل الى الزراعة رغم مافعلهُ والدهُ ليرغّبهُ في الاخذ بها، فاقام في المدرسة الى ان بلغ السابعة عشرة .ثم دخل معملاً ليتتلمذ فيهِ على مهندسيهِ، فاظهر مهارة فائقة ونال شهادة من رؤسائهِ قبل انقضاء مدة التلمذة المعينة ، وجعل يشتغل باصلاح الساعات في دكان صائغ، وكاد يبدأ العمل كساعاتيٍّ مستقلّ . لكنهُ انعم النظر فوجد ان الساعات ليست مما يحتاج اليهِ كل الناس، فالطلب عليها يبقى محدوداً .ولذلك لم ير املاً في توسيع عمله بها الى المدى الذي كان يتوق اليهِ فتركها وشأنها . وهذا يدلك على صحة نظرهِ التجاري الذي يكاد يكون غريزة فيهِ

فترك العمل بالساعات واستخدم في شركة ميكانيكية. وكانت مهارتهُ تكسبهُ ثقة رؤسائهِ ومودتهم فجعل يرتقي ارتقاءً سريعاً حتى صار رئيس المهندسين في شركة اديصن الكهربائية بدترويت.كلُّ ذلك وفي نفسهِ امنية تساورهُ منذ صغرهِ، وهي استنباط آلة خفيفة الوزن على جانب كافٍ من القوة والمتانة، يستعملها الفلاح في الحقل فتخفف عنهُ ما يتحملهُ من المشاق وتزيد انتاجهُ ودخلهُ . فأدَّت بهِ ابحاثهُ الى استنباط اتوموبيله المشهور والتوسع في عمله قبل تحقيق امنيتهِ هذه

صنع اوتوموبيلهُ الاول سنة ١٨٩٣ ، ولا يزال عندهُ الى الآن. ثم صنع اتوموبيلاً ثانياً سنة ١٨٩٦ ،ولكنهُ شأن العلماء، لم يشأ ان يشرع في صنع امثاله قبل ان يتقنهُ ولذلك انفق السنوات السبع التالية في التجربة والامتحان.فلم تقع تجاربهُ هذه في آلة تسيّر بالبنزين موقع القبول عند رئيس الشركة التي كان يشتغل فيها ، لان الرئيس كان يعتقد ان المستقبل للقوة الكهربائية . اما فورد فلم يرَ للكهربائية مكاناً في آلة قد تضطر صاحبها الى السفر في انحاء قاصية

عن معالم التمدن لم تصل الكهربائية اليها ، فمضى في تجاربهِ . وعرضت عليهِ شركة اديصن ان يصير ناظراً عامًّا فيها على شرط ان لا يترك تجاربهُ في الاتوموبيل وينفق كل وقتهِ في اعمال الشركة . فكان عليهِ ان يختار بين منصب كبير يتقاضى منهُ راتباً شهريًّا كبيراً ، وبين آلة قد يكون من نصيبها الفلاح او الاخفاق على السواء . لكنهُ ككل نابغة بعيد النظر عرف مقام الاتوموبيل وحاجة الناس اليهِ ، وكان واثقاً كل الثقة من استنباطهِ ، فآثر ان يضع كل ثقتهِ فيهِ وترك عملهُ في شركة اديصن سنة ١٨٩٩

لم يكن لديهِ مال كافٍ لانشاء معمل ، ولا كان الطلب على الاتوموبيلات في ذلك العهد مما يشجع على المغامرة بالاموال . وكان الناس ينظرون الى الاتوموبيل نظرهم الى وسيلة لهو وتسلية . وحين يغالون في احترامهِ يعترفون بهِ وسيلة بارعة للنزهة . ومع ذلك وجد جماعة من أصحاب الاموال ارادوا ان يغتنموا فرصة استقالتهِ ليستفيدوا من اتوموبيلهِ ، فألّفوا شركة وجعلوه مهندسها واعطوهُ نصيباً صغيراً من اسهمها . ولكنهُ رأى معارضة كبيرة من جانبهم كلما اراد ان يدخل اصلاحاً جديداً في صناعة الاتوموبيل ، ولم يكن لهُ من سلطة سوى سلطتهِ كمهندس . فرأى انهُ اذا بقي كذلك لم يتمكن من الوصول باتوموبيله الى الغاية التي يرومها ، فاستقال من الشركة سنة ١٩٠٢ وعزم عزماً قاطعاً ان لا يستخدم في المستقبل

وقضى سنة ١٩٠٢ يبحث ويمتحن . فعرف ان الناس لا يقبلون على اتوموبيل اذا لم يكن سريعاً . فدفعتهُ رغبتهُ في بناء اسرع اتوموبيل في العالم الى استعمال اربع سلندرات (اسطوانات) ، ولم يكن قد استعمل سوى اثنتين من قبل ، ودخل سباقاً شهيراً فنال قصبهُ وسبق المصلي بنحو نصف ميل فاشتهر اتوموبيله كثيراً

وسنة ١٩٠٣ الف شركتهُ المعروفة ، وجُعل نائباً لرئيسها ومهندسها وناظرها ومديرها العام . وكان رأس مال الشركة مائة الف ريال لم يدفع منها سوى ٢٨ الفاً ، لهُ من اسهمها ٢٥ ½ في المائة . ولكنهُ تعلم في ثلاث سنوات بالاختبار والامتحان ما ساعدهُ على قلب صناعة الاتومبيل كما سيجيء في الكلام على اساليبه الصناعية . وسنة ١٩٠٦ استولى على ٥١ في المائة من اسهمها ليتمكن من ادارة العمل حسبما يريد ، ثم اشترى اسهماً اخرى وحذا حذوهُ ابنهُ رئيس الشركة الآن ، فاشترى الاسهم الباقية سنة ١٩١٩ . واعيد تأليف الشركة حينئذٍ فجعل رأس مالها ١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ريال

***

لا استطيع في هذه العجالة ان اسهب في وصف معامل فورد كما هي او كما رأيتها ، لان الاسهاب فيها يملأ مجلداً ضخماً ، وفيها كل مستحدث وطريف من الاساليب الصناعية التي انفرد فورد باستنباطها ، ولكني سأذكر اهم ما يستوقف النظر فيها

ولعلَّ معامل فورد اكبر معالم العالم اذا نظر اليها جملةً . وهي سلسلة تامة الحلقات. فمن المواد الخام الى حراج الخشب، ومناجم الفحم والحديد والنحاس، ومعامل الزجاج والجلد، الى وسائل النقل من بواخر ضخمة وسكك حديدية خاضعة لسيطرة الشركة، الى المصانع المختلفة التي تصنع اجزاء الاتوموبيل وتركبها . وغنى الشركة يساعدها ان تقطع مبلغاً كبيراً من المال للبحث العلمي الصناعي. فقد تنفق مليون ريال على تجارب مختلفة لاستنباط آلة صغيرة تفي بغرضها

واشهر معامل فورد معمل هيلندبارك قرب دترويت، ومعمل « النهر الاحمر » في ناحية اخرى من ولاية مشيغن . وعدد العمال في معمل هيلندبارك ٦٥ الفاً، ومساحتهُ ٢٧٨ فداناً ١٠٥ فدادين منها مسقوفة، تشتمل على معامل لصنع اجزاء الاتوموبيل واخرى لتركيبها واخرى لاعمال صناعية مختلفة، كصنع الفورديت. وهو مركب خاص من المطاط استنبطهُ فورد بعد استقصاءٍ طويل، بحيث يجمع بين خفة الوزن والصلابة اللازمة . وفي هذا المعمل دار تولد القوة الكهربائية اللازمة لادارة جميع الآلات ومقدار القوة التي تولدها ٥٤ الف حصان

واما معمل النهر الاحمر « رڤر روج » فأكبر مسابك الحديد في العالم . مساحتهُ ١١٠٠ فدان فيهِ مبانٍ مساحة سطحها ثلاثة ملايين ونصف مليون قدم مربعة، وطول الطرق فيهِ ثمانية اميال، وطول الخطوط الحديدية خمسين ميلاً . وفي امكانه صنع ١٦٠٠ طن من الكوك يومياً. و ٣٤ مليون قدم مكعبة من الغاز. و ٢٢ الف غالون من البنزول، و٥٥ الف رطل من سلفات الامونيا ونحو ١٠٠٠ طن من حديد السلكون المتين ، و ٢٠٠٠ طن من الحديد الزهر و ٥٠٠ محراث و ٧٠٠٠ جسم (كاروسري) اتومبيل، وغير ذلك من الورق السميك والسمنت عدا ما فيهِ من مخازن الترميم المتسعة، وعدد عماله ٤٠ الفاً

في هذين المعملين وفي سائر المعامل جرت شركة فورد على خطة اختطها مؤسسها منذ انشائها وتعهدها بالاصلاح والترقية وهي تقوم على ثلاثة اركان

١ — الاساليب الصناعية . على الشركة ان تعنى باتقان وسائل الانتاج غير ناظرة الى مقدار الربح . لانه اذا اتقنت أساليب العمل امكنها ان تقلل ما فيهِ من الخلل، وما يضيع من الوقت والمواد جزافاً. فتستطيع حينئذٍ ان تخفض سعر الاتومبيل فيزداد بيعه ويكثر عدد المنتفعين بهِ. ويتم للشركة أمران، زيادة الربح وزيادة نفع الناس، وهما في رأي فورد لا ينفصلان ويجب ان لا ينفصلا

لذلك وزّعت الاعمال في هذه المعامل الى أقصى حدٍّ مستطاع. حتى صارت مراتب العمل غاية في البساطة، يستطيع كل انسان عادي ان يتقن عمله بعد ممارستهِ اياماً قليلة. ولكي لا يضيع وقت العامل سدًى في الذهاب والاياب والحركة بلا بركة استنبط فورد نظام النقالة Conveyor System وهو سير من الحديد دائم الحركة ينقل عليه جزءٌ من اجزاء الاتومبيل

البسيطة امام عدد من العمال مرتبين بحسب تدرج مراتب العمل في ذلك الجزء، فيعمل كل منهم عملاً خاصًّا فيه، ولا ينتهي الجزء الى آخر عامل حتى يكون صنعهُ قد تمَّ. ومتى صنعت اجزاء الاتوموبيل على هذا النسق في دور المعمل المنوعة تركَّب معاً على هذا النسق ايضاً فيتألف منها الاتوموبيل. ومن يزر معمل هيلند بارك يرَ كيف يركب المحرّك وغيرهُ من الاجزاء، ثم كيف تركب هذه الاجزاء معاً فيتألف منها الاتوموبيل، ويرى اتوموبيلاً يخرج من المعمل كل دقيقة او أقل، أمر كنا نسمعهُ ولا نصدقهُ متسائلين هل في استطاعة انسان ان يفعل ذلك؟

لهذا النظام اكبر يد في ترخيص اتوموبيل فورد. لانهُ يوفر كثيراً من الوقت الذي كان العمال يضيعونهُ سدًى. ففي سنة ١٩١٢ كان تركيب المحرك مثلاً على الاساليب القديمة يستغرق ٩ ساعات و ٥٤ دقيقة. فلما أُدخل نظام النقالة على الوجه الذي بيناه آنفاً صار يستطاع تركيب المحرك في خمس ساعات و ٥٦ دقيقة، اي في نحو نصف الوقت. فتمكنت الشركة بذلك ان تقتصد نصف العمال الذين يركبون المحركات او ان تبقيهم جميعاً وتضاعف انتاجها منهم

ومن مبادىء فورد الصناعية انهُ يجب ان يوكل الى الماكنات كل ما يمكن ان تصنعهُ. وفي ذلك فوائد كبيرة. منها ان العمل يكون اسرع وادق. وتأتي الاجزاء التي تصنعها ماكنة واحدة او ماكنات متماثلة على نمط واحد يمكن استعمالها في كل اتوموبيل تصنعهُ الشركة، فيتمهد السبيل للذين يشترون اتوموبيلاتها ان يصلحوها بسرعة وسهولة متى وقع خلل فيها. وله حسنة من الوجهة الاجتماعية نذكرها حين الكلام على رأي فورد في الاحسان

ومن مبادئهِ ايضاً ان المعمل الواحد في النظام الصناعي الكامل يجب ان لا يصنع كل اجزاء الاتوموبيل مثلاً. بل يجب ان تصنع الاجزاء المختلفة حيث يكلف صنعها اقل نفقة ممكنة. ولذلك ترى ان لفورد معامل خاصة بعيداً بعضها عن بعض، يختص كل منها بعمل جزء واحدٍ من الاتوموبيلات، ثم ترسل هذه الاجزاء لتركب في اماكن بيعها. وهو ينوي ان يجري على هذه الخطة في كل معاملهِ

٢ — المبادىء المالية — من مبادىء فورد وشركتهِ ان لا يستدين مالاً من اصحاب البنوك. لانهُ حالما يصير لهؤلاء يد في ادارة صناعة يهتمون بأموالهم وفوائدها وأرباح الشركة اكثر من اهتمامهم باتقان اساليب الانتاج وتخفيض سعر المصنوعات، فتتأخر الصناعة ويرتفع ثمن المصنوعات ويقل عدد الطلاب. ولذلك تقل منفعتها للناس اذا كان الناس في حاجة اليها. وقد جرى على هذا المبدأ سنة ١٩٢١ حينما وقعت الازمة المالية الشديدة

وهو يرى البنك محلاً اميناً لحفظ النقود. ولكن يجب ان لا يسمح لهُ بالسيطرة على عمل صناعي، لان صاحب البنك لا يدري من امور الصناعة شيئاً ولان صاحب المعمل يجب

ان يربح من عملهِ ما يكفيهِ للجري فيه . فاذا حسب انهُ يستطيع ان يستدين الاموال لاخفاء ما في معملهِ من سوء الادارة والتبذير فهو يعمل عملاً غير طبيعي. لان سوء الادارة لا يصلح بالمال بل بحسن الادارة ، والتبذير لا يصلحهُ الاَّ الاقتصاد . صاحب معمل كهذا يشرع في سلسلة قروض يدفع بالثاني منها الاول ولا ينتهي من ربقتها، والاستعباد لاصحابها. فينصرف بذلك عن الانتاج الذي يجب ان يكون موضع اهتمامه الاكبر. فالمال من هذا القبيل اداة لا غير . لذلك ترى فورد ينظر الى ما عنده من الاموال الطائلة نظره الى ارقام في دفاتر لا غير. وهذا يحمله على انفاق معظم مايربحهُ في توسيع العمل واصلاح اساليبهِ وخفض اسعار مصنوعاتهِ ورفع اجور عماله . وهو في ذلك لا يعارض في استدانة المال ولا يحمل ضغينة ضد اصحاب البنوك، بل الامر الذي يودّ ايضاحه بالمثل لرؤساء الشركات الصناعية ان الاموال المستدانة لا تقوم مقام العمل والسهر على اتقان اساليب الانتاج

٣ — العمال واجورهم — للمستر فورد قول مأثور في اجور العمال جاء فيهِ « في اجور العمال شيء مقدّس لانها تمثل بيوتاً واولاداً ومصير عائلات . يجب ان يخفف الوطأ حين ذكر الاجور لان الموضوع حيوي. انها تمثل في دفاتر الشركات ارقاماً ولكنها تمثل في حياة اصحابها غذاءً ودفئاً وتعليماً او بكلمة واحدة حاجات العائلة ورفاهتها»

ان رجلاً يقول هذا القول ويتجاوز حد القول الى العمل، فيحسب عماله شركاءه في عملهِ ويشاطرهم مبالغ طائلة من المال من غير ان يرغمهُ احد على ذلك ، لذو قلب كبير ونظر بعيد في الامور . كان قبيل الحرب يوزع على عماله نحو ١٠ ملايين ريال كل سنة. وكانت اقل اجرة يومية يدفعها لاتقل عن ريالين ونصف ريال او ثلاثة ريالات. ثم الغى هذا النظام ورفع اقل اجرة تعطى في معامله الى خمسة ريالات وذلك سنة ١٩١٤، فقيل عنه انه ثائر على النظام الاجتماعي الاقتصادي وان عمله هذا سيؤدي بهِ الى الخراب. ولكن انتاجه زاد وما يباع من اتومبيلاتهِ كثر فرفع الاجرة الى ستة ريالات. ومبدأه في ذلك ان الذي يدفع اجور العمال ليس رئيس الشركة بل المصنوعات نفسها. وعلى ادارة العمل ان تمهد السبيل للربح من المصنوعات حتى تدفع الاجور التي تضمن راحة العمال

فورد والاحسان — كثيراً ما كنت استغرب ان اسم فورد لا يذكر مع أسماء روكفلر وكارنجي وسايج وايستمن وغيرهم من كبار المحسنين الاميركيين. ولكني لا اجد مكاناً للدهشة الآن . ومتى عرف السبب بطل العجب

***

يتساءل فورد هل الاحسان ضروري في جماعة متمدنة ؟. ويستدرك فيقول انهُ لا يعترض

على العاطفة التي تدفع الى الاحسان لانها أنبل ما في الانسان من العواطف. لكنهُ يرى ان هذه العاطفة النبيلة تستعمل لغايات ضئيلة ومقاصد لا تتساوى في نبلها وشرفها مع الباعث عليها. فاذا كانت هذه العاطفة النبيلة تحملنا على تغذية الجائع فلماذا لا نمنع وجود الجائعين ؟ واذا كانت تدفعنا الى اعانة البائس فلماذا نسمح للبؤس ان يرتع في مدننا وقرانا ؟ ان العطاء سهل جدًّا في مثل هذا المقام ولكن الصعوبة كل الصعوبة في منع ما يستوجب العطاء. ولكي نمنع البؤس يجب ان ننظر الى ما وراء البائس ، والجائع الى سبب بؤسه او جوعه، فلا نكتفي باغاثة وقتية بل نسعى لازالة السبب الداعي اليها . ولذلك نرى فورد لا يعطف مطلقاً على الذين يجعلون عملهم العطاء او استدرار الاموال من الاغنياء، بل يسعى بالطريقة التي ابتكرها الى استئصال شأفة الشر بدلاً من معالجته علاجاً ظاهراً . وعنده ان النظام الصناعي اذا ارتقى كما يجب ان يرتقي حلَّ عقدة الفقر والاملاق . فاكثر الناس الذين يحسبون جديرين بالنوال كلهم او جلهم اصحاب عاهات. وقد اثبت المستر فورد في معامله انه اذا وزعت الاعمال واستنبطت الآلات لصنع اجزاء الاتومبيل المختلفة اصبح في طاقة اصحاب العاهات ان يديروا هذه الآلات بلا اجهاد. فمن الآلات ما يستطيع الاعمى ان يديره ومنها ما يستطيع الاعرج ان يديره وهلم جرًّا. وقد وجدت في معمله بهيلند بارك ان نحو ٤٠٠٠ عمل ميكانيكي مختلف من نحو ثمانية آلاف عمل يمكن ان يقوم بها أصحاب العاهات. منها ٦٧٠ عملاً يقوم بها رجال كل منهم مقطوع الرجلين. و ٢٦٣٧ عملاً يقوم بها رجال كل منهم مقطوع الرجل الواحدة . وعملان يقوم بهما رجلان مقطوعا اليدين . و ٧١٥ عملاً يقوم بها رجال كل منهم مقطوع اليد الواحدة . وعشرة اعمال يقوم بها عمي . وكل من هؤلاء يتناول اجرة لا تقل عن ستة ريالات في اليوم اي ما يزيد على ٣٥ جنيهاً في الشهر. وهي كافية لاعالة عائلة في سعة . وفي الوقت ذاته يشعر العامل انه يكسب هذا المال ولا يناله على سبيل الاحسان فيحافظ على ما في نفسهِ من عزة واباء

***

ومما جرت عليهِ شركة فورد ان كل عامل يجب ان يبدأ فيها كعامل بسيط كائناً عمله ما كان قبلاً . فاذا كان ذا كفاءة ارتقى سريعاً حتى يحل في المكان اللائق بمعارفهِ وخبرتهِ

وغني عن البيان ان العناية هناك بشؤون العمال الاجتماعية والصحية على اتم ما يرام . حتى لقد بلغني لما كنت في درتويت ان الشركة ترسل مفتشين يزورون بيوت العمال . فاذا لم تكن نظيفة مرتبة حاوية لجميع اسباب الصحة بحسب ما هو مبين في لوائح خاصة تنشر بين العمال عوقب صاحب البيت على ذلك

ادزل فورد

اكبر الشركات المالية في اميركا شركة التلفون والتلغراف الاميركية، وشركة الفولاذ (الصلب) وشركة جنرال موترز للاتوموبيلات ، وشركة ستاندر اويل ، وشركة اتوموبيلات فورد. اصحاب الشأن في الشركات الاربع الاولى الوف من حاملي اسهمها، وما من رجل في واحدة منها يملك من الاسهم ما يمكنهُ من ادارتها بحسب مشتهاه . على ان اصحاب الشركة الخامسة، اي شركة فورد، لا يزيدون على ثلاثة، هم هنري فورد وزوجتهُ وابنهُ

وزد على ذلك ان مديري الشركات الاربع الاولى ينتخبون انتخاباً وينظر في انتخابهم الى مقدرتهم وكفاءتهم في ادارة شؤون الشركة وتسييرها في سبل التقدم والنجاح . فروكفلر اسس شركة ستاندر اويل ، ولكنهُ اعتزل العمل منذ سنين كثيرة. وابنهُ لم يعن بشؤونها بل لم يعين في مجلس ادارتها . واكثر هؤلاء المديرين لا يملك الواحد منهم من اسهم الشركة الا نصيباً قليلاً ، فادارتهم لها تبنى على ما عرفوا بالاختبار انهُ مفيد ولازم لتقدمها

ومستقبل كل بلاد مرتبط كل الارتباط بمستقبل شركاتها الكبيرة الغنية . لذلك ترى الناس يسألون عما يكون مصير شركة فورد بعدهُ . يقولون ان هنري فورد نابغة، وما من احد يستطيع ان يحل محلهُ وعليهِ فمملكتهُ الصناعية العظيمة قد تندك الى الحضيض بعد وفاتهِ. اما الرجل الذي ستوكل اليهِ شؤون الشركة بعد وفاة منشئها فهو ادزل ابن هنري فورد، وهو الآن في السابعة والاربعين من عمره ويملك نصف معامل ابيه . ولا بدَّ من ان يجيء يوم يصير المالك الوحيد لها كلها، فيصبح حينئذٍ اغنى رجل في العالم ، بل اغنى رجل ذكر في التاريخ

وقد اتفق الكتَّاب والباحثون على ان هنري فورد افاد الناس بثروتهِ، ولذلك لا تجد احداً يحسده عليها ، وانما ترى بعض المتشائمين يقولون ان خطراً اجتماعيًّا كبيراً ينشأ عن تجمع ثروة عظيمة كهذه في يد رجل واحد، لانهُ قد يسيء استعمالها . ولا نعلم وجهاً لهذا التشاؤم لانهُ اذا اسيء تدبير ثروة عظيمة كثروة فورد اضمحلت وتلاشت، وعاد صاحبها لا قوة في يده ولا مال . على ان المسألة المهمة هي « هل يستطيع ادزل فورد ان يدير اعمال ابيهِ؟ »

ان ابن فورد ولي عهد مملكة صناعية لا وارث ثروة كبيرة. وذلك لانهُ هو وأبوه وأمه ينفقون كلما يكسبونهُ من المال في توسيع معاملهم وزيادة فائدتها . ولشركتهم حساب نقدي يعادل ٦٠ مليون جنيه ولكن كل مليم من هذا المبلغ يخص الشركة اي ينفق فيها وهم لا يمسونهُ. وأما ثروتهم الخاصة فلا تزيد على مليوني جنيه وهذا مبلغ قليل جدًّا اذا قيس بقيمة معاملهم فانها تبلغ مائتي مليون جنيه او اكثر

وزد على ذلك ان ادزل فورد سيرث ادارة عملٍ لا كالاعمال في تنوع فروعهِ واتساعهِ.

اذا قابلناه بممتلكات هيغو ستنس المثري الالماني الشهير وجدنا البون شاسعاً . فقد قيل ان ستنس اشترى نحو الف شركة كبيرة وصغيرة تتباين من شركات مناجم وبنوك الى شركات فنادق وجرائد، ولكنهُ اشتراها كلَّها لما كانت حالة المانيا المالية مرتبكة ولا قيمة حقيقية للنقود فيها، ومن غير ان يكون بين هذه الشركات صلة ما. ومات قبلما صار للنقود قيمة، فترك لاولاده مشهد تشتتها واضمحلالها . على ان شركة فورد تختلف عن ذلك اختلافاً بيناً . ان اصحابها لا يشترون شركة اذا لم يكونوا في حاجة اليها. وحينئذ يشترون الشركة كلها فلا ينازعهم فيها منازع ولا يشاركهم مشارك . فشركة اتوموبيلات فورد تضم شركات سفن بخارية، وسكك حديد، ومناجم فحم وحديد، ومعامل زجاج وغزل ونسج، وحراج لقطع الخشب، وغير ذلك مما يحتاج اليهِ في عمل الاتوموبيلات . وكل من هذه الشركات المختلفة جزءٌ من كل . فهي مثل الحجارة التي يبنى بها القصر الفخم، كل حجر منها لازم لتشييد البناء. ولو شاء فورد ان يشتري كل ممتلكات ستنس منذ عشر سنوات لكان ذلك من أسهل الامور عليهِ بل لاشتراها كلها من حساب شركته النقدي الجاري من غير ان يؤثر ذلك في احوالها المالية . ويصعب جدًّا ان يتصوَّر القارىء اتساع اعمال فورد وامتداد فروعها في كل انحاء المعمور بل يكفي في بيان ذلك ان نشير الى عدد المشتغلين فيها. اذ بلغوا ستمائة الف عامل سنة ١٩٢٦ ، ثلثهم يشتغل في المعامل المختلفة، وثلثاهم في الوكالات التي تبيع اتوموبيلات فورد ومحاريثهُ واجزاءها . هذا هو العمل الذي سوف يرثهُ ادزل فورد فهل يستطيع ان يضطلع باعبائهِ

على ان اصعب الامور في ادارة اعمال فورد ليس اتساعها، ولا تشعب فروعها، بل طريقة العمل التي جرى عليها فورد نفسهُ منذ انشائها. لانها خاصة به وهو رجل لا يرضى بالمألوف لانه مألوف ، بل لديه من الشجاعة الادبية ما يدفعهُ الى مخالفة المألوف اذا وجد ما يفضله . كان الرأي القديم في الدوائر الصناعية ان اجور العمال يجب ان تكون قليلة، واسعار البضائع غالية، وساعات العمل كثيرة ، لكي يجني اعظم ربح من الشركات الصناعية . فجاء هنري فورد وضرب بهذه الآراء عرض الحائط . فرفع اجور عماله، وخفض اسعار مصنوعاته، وقلل ساعات العمل وايامه . فلم يمن في يوم من ايامهِ باعتصاب في معاملهِ ، ولم تستطع نقابات العمال ان تتطلع الى اجور تدانى اقل الاجور التي يدفعها . ادار أعماله الواسعة على هذه المبادىء فنجحت نجاحاً كبيراً مكنهُ من توسيعها والامعان في تخفيض اثمان مصنوعاته ورفع اجور عماله وتقليل ساعات عملهم. فكل جزء من اجزاء شركة فورد عليهِ اثر من آثار شخصيته. ومن المتعذر ان تجد شخصاً آخر يستطيع ان يحلَّ محله، فينسج على منوالهِ في آرائهِ وافكاره واساليبهِ في العمل والادارة.

لكن فورد رجل ينعم النظر في كل عمله، فيقتله بحثاً وامتحاناً قبل الاقدام على تجربتهِ. وقد جرى على الاسلوب نفسه في اعداد ابنهِ للعمل الذي امامهُ

فقد مضى على ابنهِ نحو ١٣ سنة متربعاً في منصب ادارة الشركة . وليس ابوه سوى مستشار امين لها ولمديريها ولكنهُ ليس مسؤولاً عن ادارتها . اما ابنه فقد تقلد رآسة الشركة سنة ١٩١٩ بعد ما عين سكرتيراً لها سنة ١٩١٥ وهو الآن امين صندوقها ايضاً ويلم كل الالمام بجميع شؤون ادارتها . وقد جرى ابوه في تربيته وتعليمه على القاعدة التي يجري عليها غالباً في تعليم غيره من المديرين . وهي ان يترك الانسان لنفسهِ يخاطر بها في معمعة الحياة والعمل لا يمد اليهِ يد المساعدة الاَّ حين يراه مشرفاً على الخطر . وقد قال ادزل لاحد مكاتبي المجلات الأميركية « يظهر ان أبي يعرف مصير الأمور قبل مصيرها ، ولكنهُ لا يفوه بكلمة تأنيب اذا اخطأ احد رجاله في عمل ما ، آملاً ان يفطن الى خطأه فيصلحهُ . ولكن اذا رآه مسترسلاً في خطإهِ تدخل قبلما يحدث ضرراً فادحاً للعمل وهذا ما فعله بي . وليتني ارتكب كل هفواتي الكبيرة في حياتهِ . كذلك يقبل ادزل فورد على عمله الصعب المتشعب اقبال الرجل الوضيع ، ولكنها ضعة رجل متهذب لا ضعة رجل يتظاهر بالضعة ليخفي اهماله وضعفه

***

وُلد ادزل فورد في مهد الفاقة حين كانت اجرة أبيه عشرين جنيهاً في الشهر وهو الآن في ذروة الغنى وسعة العيش . ولد سنة ١٨٩٣ لما كان ابوهُ مستخدماً في شركة اديصن يشتغل فيها نهاراً ويكب في الليل على اول اتوموبيل صنعهُ ينفق على اتقانهِ من اجرتهِ . وعليهِ فقد كان من الضروري ان تدبر زوجتهُ معيشة بيتها بقليل من المال فنشأ ابنهُ ادزل حيث تعلم قيمة المال فكان لذلك اثر كبير في حياتهِ . تراهُ الآن وفي حوزتهِ ملايين الريالات لا يشتري الاَّ ما يراهُ مفيداً او لازماً ، بعيداً كل البعد عن المظاهر الخارجية . اراد ان يبني بيتاً في ولاية ماين ليصطاف فيهِ مع زوجتهِ واولادهِ فبنى بيتاً صغيراً يكفي لحاجتهِ مع انهُ لو شاء لابتنى قصراً فخماً يكون محجة للزائرين . واراد ان يشتري لهذا البيت صوراً من صنع المصورين المشهورين فاشترى ما يلائم اثاث بيتهِ غير مهتم ان يجعل بيتهُ متحفاً يضمُّ كل صورة نفيسة ولا غالي في الاثمان التي دفعها . واراد ان يتعلم ركوب الخيل حبًّا بالنزهة والرياضة فلم ينشىء اصطبلاً يجمع الجياد المطهمة التي ترتفع اثمان بعضها الى آلاف الجنيهات بل اشترى فرسين من اصل ارلندي . وزوجتهُ مثلهُ لا تعنى كثيراً بالجواهر ولذلك لا تنفق مالها في شرائها لحفظها او للتفاخر بها . هذه اخلاقه وهي كما ترى اخلاق رجل مهذَّب بعيد عن الدعوى محب للعمل . يرى الثروة الكبيرة التي في يدهِ امانة يجب تأديتها باستعمالها حتى ينجم عنها اكثر ما يستطاع من النفع

ولكن ما هي آراؤهُ فيما يتعلق بالصناعة والعمال ، لان آراءَهُ هذه سيكون المعوّل عليها يوماً ما في ادارة مملكتهِ الصناعية العظيمة

سألهُ احد الكتاب الاميركيين في حديث جرى بينهما « ألا تخاف ان يتسع عملكم الى

درجة تتعذر معها ادارتهُ وان تعظم ثروتكم حتى تصير عبئاً عليكم» . فقال: —

لا ادري كيف يمكن ان يتسع العمل حتى تتعذر ادارتهُ وذلك لاننا لا نحصر مسؤولية الادارة في شخص واحد بل لكل فرع ولكل قسم من كل فرع رجل مسؤول عن ادارتهِ. وقد جرى والدي منذ انشاء شركتنا على ان لا يبقي رجلاً في منصب واحد كل حياتهِ بل ينقل الرجال من مناصبهم الى غيرها فيتعلم كل منهم عمل الآخرين وكذلك نجد كثيرين من رجالنا على استعداد للقيام باعباء الاعمال الكبيرة لانهم خبروا العمل في مختلف اقسامه . وهذا التبديل يساعد النابغين منهم على استنباط الآراء الجديدة لانجاح العمل لانهُ اذا بقي رجل يدير قسماً من اقسام العمل تعوّد ما فيهِ من الامور المألوفة وعاد لا يرى ما يجب استحداثهُ فيهِ لكي يتقدم

وقد جرينا ايضاً على ان نحسب الاتقان غاية كلما اقتربنا منها بعدت عنا ، فنتقن آلاتنا واعمالنا الى حدّ بعيد ونبقي رجالنا على قدم الاستعداد لاستنباط كل ما يزيد اتقان العمل وقد تعلمنا من ذلك ان الرجل الذي لا يهاب القيام باعباء مسؤولية جديدة يتعلم كثيراً ويتقدم كثيراً . واننا نساعد عمالنا في ذلك فلا نعاقبهم على اول هفوة يرتكبونها ، فنربي فيهم حبّ القيام بالاعمال الكبيرة ، وعليهِ ترى اننا لا ننتخب الرجال انتخاباً لنرقيهم بل العمل نفسهُ ينتخبهم لانهم دائماً فوق غربال سداهُ ولحمتهُ العمل الذي يوكل اليهم وكيف يقومون بهِ . فالرجل الذي يقضي وقتهُ مفاخراً بمقدرته في كذا او في كذا لا يجد متسعاً من الوقت لتعلم العمل الجديد الذي بين يديهِ فيقصّر . وكذلك نجد رجالاً يستطيعون ان يقوموا باي عمل متى وكل اليهم فتسير الادارة على اقصى ما نتمناهُ من الضبط والتقدم مهما تتسع معاملنا وتتعدّد فروع ادارتها

اما ان تكون الثروة الكبيرة عبئاً على صاحبها فقول لا ادرك معناهُ . بل ادرك ان المال مهما كان قليلاً يصبح عبئاً على صاحبهِ ان هو شاء ذلك . وعندي ان الذين يتذمرون من كثرة اموالهم لا عمل لهم او لا تسلية لهم الاّ هذا التذمر . اما نحن فاننا لا نجد مالاً يزيد على ما نحتاج اليهِ . اننا لا نزال نشتري جانباً كبيراً من المواد الاولية التي نستعملها في صناعة الاتوموبيلات كالنحاس والمطاط . ونودّ كثيراً ان يتوفر لدينا مبلغ من المال يمكننا من شراء مناجم النحاس وحراج اشجار المطاط حتى لا يؤثر في صناعتنا ما قد يصيبها من تقلّب الاسعار . وقد سبق لنا فاشترينا ما يكفينا من حراج الخشب ومناجم الحديد والفحم وغيرها من المواد الاولية جرياً على السياسة نفسها . ورأيي ان كل ما نكسبهُ في صناعة ما يجب ان يعاد اليها . ولكن يجب ان تكون من اعادتهِ فائدة للعمل اي تحسين المصنوعات التي تصنع او اتقان الآلات التي تصنعها . ونحن نجري على خطة ركناها رخص في اسعار مصنوعاتنا وارتفاع في اجور عمالنا . هذا هو مثلنا الاعلى وفي سبيل تحقيقه لا نجد المال عبئاً لاننا لا نضنُّ بهِ .

واذا كان العمل لا يحتاج الى المال الذي يكسب منهُ فوسائل انفاقهِ اكثر من ان تحصى. لماذا لاينفق في مكافحة الامراض الفتاكة ومعرفة اسبابها والوقاية منها ؟ اني لاادري كيف يكون المال عبئاً على صاحبهِ، وسألهُ المكاتب : هل انت على اتصال تام بفروع صناعتكم المترامية الاطراف ؟

فقال نعم : لقد رافقتها في كل ادوار نموها . اني لا أعرف القسم الصناعي منها كما اعرف القسم التجاري ، على اني اقدر ان أبدي حكماً في الرسوم الهندسية المختلفة . ولكن حكمي لا يتعدى مجرد الحكم، واما والدي فيستطيع ان ينظر في الرسوم الهندسية ويدخل فيها ما يزيدها اتقاناً، اي انه مستنبط بارع من هذا القبيل

كذلك لم اهتم بان اضع لنفسي فلسفة صناعية او تجارية . ولكني لا أعرف كيف تختلف فلسفتي عن فلسفة أبي لو اهتممت بوضعها . ففي الامور الاساسية لا سبيل الى الاختلاف ، يجب أن ندفع لعمالنا اجوراً عالية ونخفض اسعار مصنوعاتنا الى أدنى حدّ ممكن . ولا أعلم الى اي حدّ سترتفع اجور عمالنا . ولكن ذلك يتوقف على قيمة النقود . قد لا نتمكن من مضاعفة اجور عمالنا دفعة واحدة كما فعلنا في سنة ١٩١٤، ولا ذلك مستحسن . لان أصحاب الدكاكين الذين يبيعون عمالنا يرفعون اسعارهم حينئذٍ، وعليهِ فكل ارتفاع في اجور عمالنا سيكون تدريجيًّا ويتناول كل عامل بمفرده حسب استحقاقه ، ولا يتناول مجموع العمال

ان الاساس الذي يقوم عليهِ عملنا هو صنع نوع واحد من المصنوعات واتقان صنعهُ الى اقصى حدٍّ ممكن، وهذا الاساس يفرض علينا وجوب الاهتمام بترقية أساليب صناعتنا من كل وجوهها . ولكن اذا فرضنا ان رجلاً غريباً مرَّ في معامل فورد واجتمع برؤسائها اكان يختار ادزل فورد لرآستها وادارتها ؟

قال الكاتب : وجهت هذا السؤال الى احد الموظفين القدماء الذين رافقوا الشركة منذ نشأتها الاولى فكان جوابهُ « لاشك انه يختار ادزل فورد لانه لايفوقه في معرفة احوال الشركة وشؤون ادارتها سوى ابيهِ » وزاد على ذلك قولهُ « ان الشركة كما هي الآن نتيجة عمل هنري فورد وابنهِ . فالاثنان يتعاونان في كل عمل، ويتناقشان في كل أمر مهم، وما من احد من موظفي الشركة يعلم أهنري فورد هو الذي قرّر ما يجرون عليهِ ام ابنهُ . فالأمور المالية كلها يديرها ادزل، وله شأن كبير في ادارة شؤون المشتريات والمواد الاولية وتقصير دورة العمل . ويظن الناس انه حديث العهد بادارة الاعمال الكبيرة مع انه بدأ يتمرن عليها منذ ١٣ سنة وقد تمرَّس بها طويلاً »

ثم سأل المكاتب ادزل فورد عن المستقبل فقال « لا اعلم فان لي ثلاثة اولاد وعسى ان ينشأ أحدهم قادراً على ادارة هذا العمل، فان لم ينشأ منهم من يديره سهل وجود مدير له ما زال العمل مفيداً . واذا انقضت فائدته فعبثاً البحث عن وسائل ترقيتهِ وادارتهِ »

سكورسكي

ايغر سكورسكي من النوابغ القلائل الذين ولدوا وفي افواههم ملعقة ذهبية . نشأ في سعةٍ من العيش، وتلقى العلوم العالية في المعاهد العالية . فلم يتجاوز الحادية والعشرين حتى كان قد فاز باستنباط طيارة تطير على حدة بعد محاولات كثيرة . ولما بلغ الرابعة والعشرين كانت روسيا كلها تعدُّهُ على حداثتهِ اباً للطيران الروسي ورائد هذا الفن الجديد، وخاصة بعد ما بنى اول طيارة في التاريخ تطير باكثر من محركٍ واحد. فلما اوفى على الخامسة والعشرين نشبت الحرب الكبرى فأخذت بها روسيا، من جهة الطيران على غرة، فالتفتت اليهِ حكومتها ليخرجها من مأزقها الحرج، وعهدت اليهِ في صنع طياراتها الحربية. ثم عصفت بروسيا عواصف الثورة فدكت العرش الصناعي الذي تسنمهُ، وصودرت املاكهُ واموالهُ حتى ورسومهُ الهندسية التي اودعها علمهُ وخبرتهُ ففرَّ الى فرنسا، ثم سافر الى الولايات المتحدة، حيث ظلَّ بضع سنوات يعاني مرارة الفقر الأما يسدُّ بهِ رمقهُ

ولم تلبث ان تلت سنينَ الجوع سنين الشبع، وهو الآن، وقد تعدّى الاربعين سنة، في المقام الاول بين مهندسي الطيارات وصانعيها. وينتظر ان يبني في معملهِ في السنة مائة طيارة برئمية كل منها متعددة الحركات. لانهُ راسخ الاعتقاد ان مستقبل الطيران التجاري لايقوم الاَّ عليها

وُلد في مدينة كيف من اعمال روسيا سنة ١٨٨٩ من ابوين يعيشان في بسطةٍ ورخاءٍ. وكان ابوهُ استاذاً للفلسفة العقلية في جامعة كيف، متفوقاً في مقدرتهِ على فهم ميول الاحداث وتهذيبهم. فكان لابنهِ أباً وصديقاً في آنٍ واحد، يرشدهُ ولا يتعرض لصد الميول والرغبات التي تبدو لهُ على غرابتها وخروجها عن المألوف في ذلك الزمان

وكان الفتى سيكورسكي مولعاً منذ نعومة اظفارهِ بالمسائل الميكانيكية والعجلات والفرامل وما اليها من الادوات التي تخفف عبء العمل اليدوي عن كاهل الانسان. وفي احد الايام كان جالساً امام نافذة في بيته، فخانت منهُ التفاتة الى الخارج فرأى الثياب المغسولة معلقة على الحبل خارج الدار، والريح تنفخ في قميص مكوي من قمصان والدهِ وتتقاذفها. فخطرت للفتى وهو في الثامنة عشرة من عمرهِ خواطر جعلتهُ في شبابهِ من روّاد الطيران التجاري والحربيّ. قال الفتى لنفسهِ: اذا كان الهواءُ يستطيع ان يرفع قميص الاستاذ فماذا يمنعهُ من ان يرفع سطوحاً اخرى . وللحال انشأ يمتحن آراءهُ بصنع طيارات من الورق والكرتون . فلم تسفر تجاربهُ حينئذٍ عن شيءٍ من النجاح الاَّ ان الخاطر ظلَّ يتردد في ذهنهِ وهو يتلقى علومهُ العالية في الاكادمية البحرية ومعاهد باريس ومعهد كيف الصناعي حيث توفر على العلوم الرياضية والهندسية . ولما تمَّ علومهُ سنة ١٩٠٧ كانت شعوب الارض قاطبة مهتمة كلَّ الاهتمام

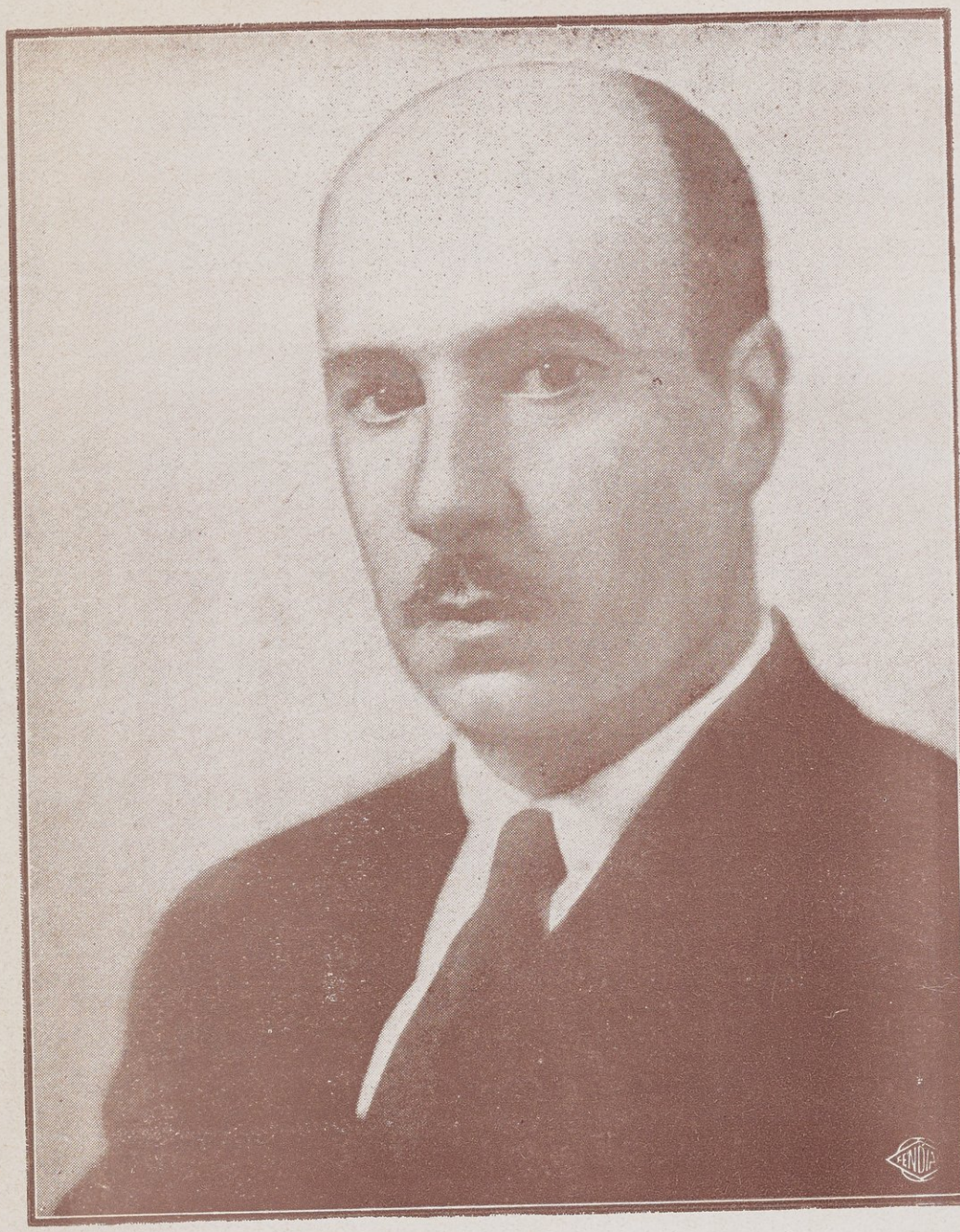

ايغر سكورسكي
مستنبط الطيارات متعددة المحركات

(امام ص ٢٤)

بشؤون الطيران، على اثر طيران الاخوين ريط الاميركيين سنة ١٩٠٣ واعادة تجاربهما ونجاحها في اميركا واوربا

قال سكورسكي : « ولما قرأت عنهما عزمت في الحال عزماً قاطعاً على ان ابني طيارة . وكنت اتوق الى الاطلاع على رسومهما الهندسية افتداءً للوقت . ومع شدة شوقي الى بناء طيارة كنت اتردد واحجم عند ما افكر فيما ينبغي بذلهُ من الجهد في عملٍ فرغا منهُ . على ان امراً واحداً شجعني وحملني على الاقدام ، ذلك اني كنت اعلم حينئذٍ ان الطيران في الامكان » . فذهب الى ابيهِ وطلب اليهِ ان يمدّهُ بالمال لاستئجار العمال وابتياع المواد ففعل

وبالتفاؤل المأثور عن اكثر النوابغ اخذ سكورسكي يبني نوعاً من الطيارات يحسبهُ المهندسون الآن اعلى ما تبلغهُ في ارتقائها واتقانها — نعني طيارة الاوتوجيرو التي تصعد الى الجوّ صعوداً عمودياً ، وتحط على الارض عمودياً كالطيارة التي بناها ده لاشيرفا الاسباني، بعد ما افنى المستنبطون حياتهم عبثاً في محاولة استنباطها

قال سكورسكي : كانت الفكرة خيالية حين انظر اليها الآن . ولكنها كانت فكرة المعية تستهوي العقول . ذلك اني كنت قد ادركت حينئذٍ ان اعظم عوائق الطيران قلة الميادين التي تستطيع الطيارات ان تنزل فيها . فقلت لنفسي اذا استطعت ان ابني طيارة ترتفع في خطٍ عمودي وتحط في خطٍ عمودي ذللت هذا العائق العظيم

وفي سنة ١٩٠٨ اعدّ طيارتهُ الاولى المبنية على هذا المبدإ واجتمع جمهور كبير ليشاهدوا الطيارة التي ينتظر ان تحدث انقلاباً في عالم الطيران، فتقدم اليها سكورسكي وهو فتى لم يناهز العشرين وعلى وجههِ امارات الفوز ، فامتحن الاجنحة والعجلات، ثم صعد الى مقعده وادار المحرك، فتحركت الاجنحة ولكن الطيارة لبثت في مكانها . فسرت بسمة السخرية على شفاهِ اصدقائهِ . الاّ انهُ وجم مقطباً وقال في تؤدة وحزم «لقد اخطأت ولكنها تطير في المرة المقبلة»

وعاد الى داره وطلب الى ابيهِ ان يمدّهُ بالمال ثانية. فلم يسأله ابوهُ وهو العالم السيكولوجي العاقل في اي سبيل ذهبت النقود الاولى . وفي ربيع سنة ١٩١٠ ، لما اجتاز بلريو الفرنسي بحر المانش، كانت طيارة سكورسكي الثانية، وهي من نوع الاوتوجيرو ايضاً، مستعدة لامتحانها. فلما جلس في مقعده وادار المحرك اهتزت الطيارة ، وارتجفت وارتفعت نحو خمس اقدام ثم هبطت، وتحطم هيكلها على كتفي بانيها وسائقها . فأفحم النقاد الذين جاءوا لينتقدوا ويهزأوا لأن الطيارة طارت فعلاً طالت مسافة طيرانها ام قصرت . ومع نجاحه في تجربتهِ هذه الى حدٍّ ما قرر ان اوان هذا النوع من الطيارات لم يئن بعد . وحوّل جهده لصنع طيارة من نوع الطيارات المعروفة الآن . وقبل ختام تلك السنة كان قد وضع الرسوم الهندسية لثلاث

طيارات كان ابوهُ عمدتهُ المالية في بنائها . ورقمها S.1 S,2 S,3 وتمكن من ان يطير بثالثتها مدة ٥٩ ثانية

اننا نستغرب في هذا العصر ، وقد بلغت فيهِ أقصى سرعة الطيارات ٣٥٠ ميلاً في الساعة ولبثت احداها في الجو اسبوعاً كاملاً ، كيف بذل هؤلاء الزعماء الروّاد الجهد الفكري والمالي سنةً تلو الاخرى، ليحصلوا في ثلاث سنوات على طيارة لا تلبث في الجوّ اكثر من دقيقة واحدة! ولكن يجب الاّ نستصغر الاخطار التي كانوا يتعرضون لها في ايام الطيران الاولى . فالطيارون الذين يجتازون البحار ويطيرون فوق الجبال لا يتعرضون لمخاطر كالمخاطر التي تعرض لها سكورسكي مثلاً وهو جالس بين جناحي طيارته لا يدري ماذا يخبئهُ له القدر من خير او شر

قال سكورسكي : «لاشك ان الخوف كان يتملكني وانا طائر لاني قد اعددت على الورق حركات مختلفة لادارة الطيارة وتغيير وجهتها . ولكني لم اكن واثقاً اني اتمكن من تطبيق هذه الحركات تطبيقاً عمليًّا . وفي الغالب كنت لا استطيع ذلك » . وفي السنة التالية بنى طيارتين حلّق بثانيتهما الى علو ٢٠٠٠ قدم ، وبقي ساعة في الجو يصعد وينخفض ويدور بالطيارة كما يشاء

ثم حدثت احدى تلك الحوادث التي يسوقها القدر لتغيير مجرى التاريخ . ذلك انهُ كان يوماً محلقاً بطيارته فوق مدينة كيف، فاذا بالمحرك وهو على ارتفاع عظيم قد وقف عن الدوران، فهبطت الطيارة كجلمود صخر، ووقعت في شارع بين جدار وصفٍّ من عربات النقل، فخرج من الحادثة سالماً، ولكنهُ خرج بخاطر جديد — لماذا لا نبني طيارة لها اكثر من محرك واحد حتى اذا وقف محركٌ عن العمل وتعرضت الطيارة للسقوط استعمل المحرك الآخر لحفظ الطيارة في الجوّ ؟ لماذا لا نبني طيارة بمحركين او ثلاثة محركات او اربعة محركات ؟ . فكثرة المحركات في طيارة تزيد فيها عامل السلامة والثقة

وكان مديرو احدى الشركات الميكانيكية الروسية يراقبون تجارب سكورسكي عن كثب معجبين ببراعتهِ . فدعوه الى ان ينضم الى شركتهم ، ووعدوه ان يوفروا له وسائل التجربة والامتحان ، فلبى دعوتهم وصنع سنة ١٩١٢ طيارتين كل منها بمحرك واحد، فازت اولاها بالجائزة الاولى في معرض الطيران بموسكو ، ونالت الثانية الجائزة الاولى في مباراة بتروغراد الحربية ومقدارها ٣٠ الف روبل (نحو ٢٢ آلاف جنيه) وكان عمره يومئذ ثلاثاً وعشرين سنة

ومع فرحهِ العظيم بالحصول على الجائزة، والارتفاع على أجنحة صنعها هو الى اعلى مقام بين مهندسي الطيران في العالم ، كان فرحهُ اعظم واقرب الى متمناه يوم دعتهُ الشركة المذكورة الى الشروع في بناء طيارة جبارة ، تسير بقوة محركات كثيرة. وهي الطيارة التي ما زالت آمالهُ معقودة على بنائها من يوم الحادثة المذكورة . فبناها وبلغت نفقاتها ألوفاً من الجنيهات، وظن

بعض مديري الشركة وغيرهم انها لا تحقق الآمال المعقودة عليها، وظن البعض الآخر ان محاولة بنائها مضيعة للوقت والعمل والمال. على ان الذين وثقوا بمقدرة سكورسكي ونبوغهِ خرجوا من معمعة الجدال باكليل الغار. لانهُ بنى في السنة نفسها طيارتين من هذا النوع، كانت باكورة الطيارات المتعددة المحركات في التاريخ

ومن ذلك الحين تحوَّل الفتى الطامح، المعني بشؤون الطيران ايًّا كانت، الى رائد عصر جديد من عصور العمران. هو العصر الذي صوَّره تنسن الانكليزي في شعره سنة ١٨٦٥ حيث يقول ما معناه «ونظرت الى المستقبل الى ابعد ما ترى العين البشرية فرأيت... الفضاء حافلاً بالتجارة واساطيل الاشرعة السحرية، يعج برواد الشفق القرمزي يرمون الى الارض بآلاتهم الثمينة»

ثم بنى سكورسكي طيارة كبيرة متعددة المحركات، طار بها من بتروغراد الى كيف مسافة ١٦٠٠ ميل، من غير ان ينزل الى الارض، في زمن كان عبور المانش او الطيران فوق انكلترا من غربها الى شرقها يعدُّ عجيبة العجائب. وهكذا اخذ هذا الفتى — وهو في الرابعة والعشرين — يتقن صنع هذا النوع من الطيارات، حتى بنى في السنة التي سبقت الحرب طيارة لها اربعة محركات، مجموع قوتها نحو الف حصان وتستطيع ان ترفع حملاً مقدارهُ ١٢ طنًّا

هنا وقف الفتى ينظر، كالشاعر الانكليزي، الى اليوم الذي تتشعب فيهِ من بتروغراد طرق المواصلات الجوية تربطها بعواصم الدنيا. وحسب ان هذا اليوم على قيد انملة منهُ وانهُ هو رائدهُ العظيم. لكنهُ لم يحسب حساباً للحرب الكبرى التي نثرت أحلامهُ كأوراق الخريف. ففي صيف سنة ١٩١٤ دعا الغراندوق اسكندر، المشرف على شؤون الطيران في روسيا، هذا الفتى وهو في الخامسة والعشرين، وقال لهُ «نريد طيارات لالقاء القنابل من الجوّ. فلا تدع حائلاً يقف في وجهك. لك المال والعمال والسلطة الكاملة. ولكننا نريد الطيارات. فالنجاح الى حدٍّ بعيد معلق بين يديك»

عاد الفتى الى المعمل ليفكر في الامر. ها هي ذي روسيا امة لم تبلغ في الصناعة شأو عدوتيها التوتونيتين. وهي لا تملك سوى بضعة مصانع حديثة حوّلت كلها الى معامل ذخيرة. وليس في البلاد معامل لصنع المحركات التي كان يشتريها من فرنسا وغيرها قبيل الحرب. وليس لها بين ابنائها طيَّارون مجرَّبون. العقبات تثني عزماً من الحديد. ولكن عزم الفتى أصلب من الصلب، فالتفت الى عمالهِ وقال: —

«لنبدأ العمل!»

بدأ في ذلك اليوم نفسه وظلَّ يعمل ثلاث سنين متوالية. وما حلَّ ربيع سنة ١٩١٥ حتى كانت طليعة اسطوله الجوي تمطر العدو بوابل من قنابلها. ولم يحل ربيع سنة ١٩١٧ حتى

كان قد بنى ٧٢ طيارة اخرى بمعداتها . ومن الطيارات التي صنعها لم تسقط الاَّ واحدة فقط في صفوف الاعداء، وذلك لان طيارات الالمان الصغيرة الخفيفة صبت عليها رصاصاً مصهوراً حتى اثقلتها فوقعت الى الارض . اما الطيارات الاخرى فكانت تقضي مهمتها وتعود الى صفوف الروس مهما لاقت من المحن . فقد عادت احدى طياراته ، وقد اوقف رصاص الاعداء ازيز محركين من محركاتها، وعادت طيارات اخرى بعد ما مزقت قنابل الاعداء نسيج جوانحها ، ولكنها عادت كلها لانها بنيت على مبدإ تعدد المحركات

ولما استولى الالمان على فرسوفيا عاصمة بولونيا، ظلت طياراته تبلي احسن البلاء في حين كان انكسار الجيش الروسي يتحول الى هزيمة

ثم ثارت الثورة الروسية فجرفته في تيارها. وكان ساخطاً على النظام الجديد فاستصحب رئيس عماله وذهب الى فرنسا . على ان البولشفيك حبسوا عنهُ رسومهُ الهندسية فاستعادتها ذاكرته العجيبة بكل تفاصيلها . ولما وصل الى فرنسا عهدت اليهِ الحكومة الفرنسية في صنع الطيارات الحربية المشهورة التي استعملها الطيارون الفرنسيون في الميدان الغربي . واذ هو منهمك في عملهِ هذا وضعت الحرب اوزارها وعقدت الهدنة. فتنفس الصعداء وجمع ما لهُ من عقار قليل وذهب الى الولايات المتحدة، لانهُ شعر انه فيها يستطيع ان يبني الطيارة المثلى — طيارة المستقبل كما يتصورها

على ان المصائب لا تأتي فرادى، وحتى رجال الصناعة في الولايات المتحدة لم يفسحوا مجال العمل امام هذا النابغ الاَّ بعد خمس سنوات من هبوطهِ ارضهم . خمس سنوات قضاها في نكد وبؤس لا يكسب الاَّ ما يسدُّ بهِ رمقهُ . ولبث ينتظر مع مدير عمالهِ يوماً تنقشع فيهِ الغيوم عن عصر الطيران. فلما بدأت هذه الغيوم تنقشع قليلاً قامت في وجههِ مصاعب اخرى كان الفقر اهونها . فلما جمع مبلغاً قليلاً من المال وطائفة من المهندسين الروسيين وشرع في بناء طيارتهِ الاولى في اميركا اخذت الجرائد تهزأ منهُ وتثير عليهِ وعلى رفاقهِ عواصف الرأي العام . ولما تحطمت هذه الطيارة اشارت الصحف « الى تبدُّد شمل الملكيين الروسيين » ولكنهُ ظلَّ رابط الجأش شديد الثقة يقول لاصدقائهِ « اياكم والحقد . فالريادة عمل محفوف بالمكاره. النقد سهل ولكن الشجاعة تقضي بالمثابرة »

ولما عهد اليهِ سنة ١٩٢٦ في بناء طيارة لفونك الطيار الفرنسي المشهور صنعها لهُ مثلثة المحركات، تحمل في احواضها ثمانية اطنان من البنزين، فبلغت نفقاتها ٢٠ الف جنيه. ولما اخرجها الطيار الجريء ليحاول الطيران بها من اميركا الى فرنسا جرت بهِ في منحدر الميدان ولم ترتفع. فاصطدمت وانقلبت وتحولت لهيباً . كان تحطمها واحتراقها ضربة قاضية، ولكنها لم تقضِ على ثقة سكورسكي بنفسه وفكرته. فمضى في عمله غير هياب، وصنع لفونك طيارة اخرى . ثم بنى

سنة ١٩٢٧ اول طيارة برئمية متعددة المحركات وطار بها . وهذه الطيارة كما يستدل من اسمها تستطيع النزول على سطح الارض وسطح الماء على السواء

ان معامل سكورسكي التي كانت أشباح الخمول مخيمة عليها لقلة العمل أصبحت تعجُّ الآن بالعمال، ودورها الفسيحة تدوي بدمدمة الآلات المتحركة . وقد بنى فيها سنة ١٩٢٩ مائة طيارة برئمية متعددة المحركات ، ثلاثون منها لوزارة البحرية الاميركية . لانهُ أثبت ان هذه الطيارات التجارية تتحول الى طيارات حربية بادخال تغيير طفيف على بعض اجزائها . لقد دارت الايام دورتها فوجدت سكورسكي مستعدًّا لان يأخذ الفرص من ناصيتها، شديد الثقة بالنفس وبفائدة العمل الذي وقف عليهِ حياتهُ. فحملتهُ على صدر امواجها الى شط السلام. حيث بلغ ذروة الفوز والمجد

نورثكلف

فيكونت نورثكلف رجل عصامي بلغ بجده المقام الاسمى بين رجال الصحافة . واسمهُ الأصلي الفرد هرمسورث Alfred Harmsworth أعطي لقب فيكونت، وهو فوق لقب لورد وتحت لقب ارل ، اعترافاً بخدمتهِ لبلاده

ولد في ارلندا ولكنهُ ربي في انكلترا وتوفي فيها في ١٤ أغسطس سنة ١٩٢٢ في السابعة والخمسين من عمره. وابوه محام انكليزي وامهُ ارلندية ، ولم يكن في اسرتهِ احد من رجال الصحافة ولا من رجال القلم . وكان غرض ابيهِ ان يحترف حرفتهُ المحاماة اما هو فلم يكن فيهِ ميل اليها بل كان يجاهر بكراهتها ومال من حداثتهِ الى الصحافة . ويقال انهُ دخل في صغره مطبعة تطبع صحيفة اسبوعية وعاد منها ومعهُ بعض الحروف القديمة وجعل يرتبها لكي يطبع منها صحيفة

وكان في المدرسة مثل غيره من التلامذة المجتهدين. ولكنهُ لم يكن قوي البنية وظهر ميلهُ الى الصحافة وهو في المدرسة، فانشأ صحيفة صغيرة قال في العدد الاول منها ان صحيفتي هذه ستفلح . وقال في العدد الثاني لقد صدق فالي فلقيت صحيفتي من الاقبال ما انتظرتهُ لها . وكان يكتبها بيده وينشرها مكتوبة كتابة

ولما اتمَّ دروسهُ في المدرسة جُعل كاتباً لاحد القسوس ، فساح معهُ في اوربا ، فاتسعت معارفهُ وجعل يكاتب مجلة صغيرة اسمها يوث (الشباب) . فلما عاد الى انكلترا عُرض عليهِ ان يكون مساعداً لمحررها باجرة جنيه ونصف في الاسبوع اي ستة جنيهات في الشهر . فسرَّ بهذا المنصب لانهُ فتح امامهُ باب الصحافة . ولم يمضِ عليهِ وقت طويل حتى صار المحرر الوحيد لتلك الصحيفة، وجُعل راتبهُ اربعة جنيهات في الاسبوع، وكان عليهِ ان يكتبها كلها . لكن الصحيفة كانت على حافة القبر، فلم يستطع انقاذها من الموت مع كل مابذلهُ من العناية بها . وكان رجال الصحافة حينئذٍ يعدون انفسهم في مناصب عالية لا يتطاول اليها الاَّ النوابغ الاكفاء. وهم فيها مستقلون مستبدون يعز على من كان دونهم ان يطمح بنظره اليها . ولا يخفى انهُ هو غيَّر تلك الحال بعد ما قبض على دفة الصحافة بيديهِ . اما حينئذٍ فكان عليهِ ان يصانع ويسير مع التيار

وكان في البلاد الانكليزية بيت يعنى بنشر الكتب والمجلات، وهو بيت هندرصن فجعل يبعث اليهِ بمقالات يكتبها في مواضيع مختلفة ، فينشرها ذلك البيت او بيت كاسل وهو من

ناشري الكتب والمجلات ايضاً، او بيت نيونس صاحب الصحيفة الاسبوعية المسماة تت بتس وغيرها من الصحف المشهورة

ونشر كتباً صغيرة في مواضيع مختلفة . ومع كل اجتهاده واشغاله المستمرة لم يزد دخله السنوي على خمسمائة جنيه . وهو مبلغ لايستهان بهِ، ولكنهُ لايشبع من كانت نفسهُ تطمح الى المعالي وتطلب الالوف . لا سيما وانهُ كان اكبر اخوته، وكان أبوه قد توفى وترك له عائلة كبيرة ليقوم بنفقتها. فزاد اجتهاداً واقتصاداً الى ان جمع من المال ما يمكنه من انشاء صحيفة خاصة بهِ، فانشأ سنة ١٨٨٨ مجلة أسبوعية صغيرة جعل مدارها اجوبة مايخطر للقراء من المسائل المختلفة ما يرغب عامة الناس في الاطلاع عليهِ، وسماها الاجوبة حسب مضمونها، وملأها بفكاهات ونبذ صغيرة ، وكتب بيده اكثر العدد الاول منها، وبذل جهده في نشرها حتى يطلع عليها الجمهور الاكبر من القراء

ومضت اربعة اشهر قبلما صارت هذه المجلة تقوم بنفقاتها، وكان معهُ شركاء فابتاع اكثر حصصهم، واستقل بتحريرها وادارتها ثم سلم ادارتها لاخيهِ هرلد وهو الآن لورد رذرمير

ثم وجد جريدة يومية اسمها اخبار المساء Evning News في حالة تقرب من الافلاس. فاشتراها واصلح شأنها فاتسع انتشارها وربح منها ربحاً وافراً مكَّنهُ من انشاء الديلي ميل وهي اشهر جرائده واكثرها انتشاراً. ولهُ غيرها من الجرائد والمجلات ما بلغ عدده اكثر من ثلاثين في سبع سنوات منذ انشائهِ الصحيفة الاولى . ويبلغ عدد الجرائد والمجلات التي انشأها، وهي منتشرة الآن نحو مائة ستٍّ وسبعون منها للازياء والالعاب والنساء والصبيان والبنات

ويقال انهُ لما صمَّم على انشاء الديلي ميل بقي ثلاثة اشهر يكتبها هو ومساعدوهُ كل يوم، ويملأونها بالاخبار والتلغرافات، وتُرتَّب حروفها ويطبع منها اعداد قليلة لا تنشر. بل يتولى هو ومساعدهُ اصلاحها والتغيير والتبديل، فيها ثم يفعلون مثل ذلك في اليوم التالي والذي بعده الى ثلاثة اشهر. الى ان جعلها في الصورة التي ارتضاها من حيث ترتيب مقالاتها واخبارها واعلاناتها وصورها. وحينئذ نشرها وجعل ثمن النسخة منها نصف بني اي مليمين، فجعلها ترضي العامة وهم الفريق الاكبر، ولا يأنف منها الخاصة. ففاقت كل الجرائد الانكليزية انتشاراً ودخلاً. لان اكثر دخل الجرائد من اعلاناتها واجور الاعلانات تزيد بزيادة انتشار الجريدة . والمشهور ان اجرة نشر اعلان يملأ صفحة واحدة منها يوماً واحداً نحو الف جنيه لان الاجرة حسب الانتشار

وكانت عيناه تطمحان الى تولي ادارة التيمس اعظم جرائد الانكليز السياسية. فابتاع اكثر اسهمها ، وتولى ادارتها ، وحاول الجمع بين بقاء مركزها السياسي والادبي وبين زيادة انتشارها ليزيد دخلها. ففاز بزيادة الانتشار، لانهُ نشر فيها اعلانات ازياء النساء وما اشبه . ولكننا لا نرى انهُ احتفظ بمقامها السياسي والادبي الاَّ بما اضافهُ اليها من الملحقات الكثيرة

وكان هاماً مقداماً لا يثنيه شيء عما يعتقده صواباً. يتناول اكبر قائد واكبر وزير بالانتقاد والتقريع والتشهير، كما يتناول اصغر رجال البوليس وباعة اللبن. وهو من بعيدي النظر الذين انبأوا منذ سنة ١٩٠٩ بأن الالمان كانوا يستعدون لمحاربة انكلترا. ثم لما نشبت الحرب انتقد لورد كتشنر وشدد النكير عليهِ، لانهُ كان يأبى استعمال المتفجرات الشديدة الانفجار. وهو الذي نشر الدعوى في بلاد الالمان لكي يثير الشعب على الحكومة، فشهد الالمان له انهُ كان ابرع منهم في ذلك. وقد افاد بلاده في امور كثيرة عميمة النفع، مثل جعله الحكومة تعنى بأن يكون اللبن خالياً من الغش، وان لا ينقص وزن الرغيف عن وزن محدود، وان تهتم ببناء المساكن للفقراء. وهو المنشط الاكبر للطيران. وكان ماهراً في اختيار الرجال للاعمال التي تولاها، فنجحت وكسب منها ثروة كبيرة تقدر بملايين الجنيهات

وقد احتفل بدفنه احتفالاً فخماً كأنهُ امير من اكبر الامراء او قائد من اشهر القواد. وابنتهُ الجرائد على اختلاف بلدانها ولغاتها ونزعاتها، ونوهت بمقدرتهِ الفائقة على نشر الجرائد وقيادة الرأي العام بها والاقدام على عظائم الامور. ولم يبخل عليهِ بعضها بشيء من الانتقاد. ولكن المعجبين بهِ يقولون

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً ان تعدَّ معايبه

بلتزر

اذا عُدَّ كبار الصحافيين في اميركا كان جوزف بُلتزر في طليعتهم. جاء نيويورك وهو لا يملك ما يتبلغ بهِ، فارتقى بجده وذكائه واقدامهِ الى أعلى المناصب السياسية في البلاد. وصارت صحفهُ قوة يخطب ودّها وتحاذر صولتها لما عرفت بهِ من شدة الشكيمة في محاربة المظالم وقوة النفوذ في المشاكل السياسية والمصالح العامة. وادرك ما للصحافة الراقية من الشأن الكبير في ترقية الشعوب، فوهب من ثروته مليون ريال لتأسيس كلية للصحافة في جامعة كولمبيا بنيويورك، تكون في مستوى الكليات الاخرى التي تعلم المهن الحرة كالطب والمحاماة والهندسة وغيرها. وكلف بتشجيع الاعمال العامة المفيدة، فوهب متحف الفنون في نيويورك كثيراً من مالهِ، ووضع جوائز لا تزال توهب سنوياً للفائزين في مسابقات الطيران وللمؤلفين الذين يضعون افضل الكتب في السير والتراجم وغيرها، وتعرف كلها بجوائز بلتزر. هذا وقد اطلعنا على ثلاث مقالات في مجلات مختلفة يصف فيها كتّابها هذا الصحافي الكبير. احداها كتبها المستر كروزير

صاحب جريدة بوسطن بوست الآن وسكرتير المستر بلتزر سابقاً . لخصناها فيما يلي وعلقنا عليها بمقتطفات من المقالاتين الآخريين . قال المستر كروزير

ولد المستر بلتزر في بلاد المجر سنة ١٨٤٧ . وهاجر الى الولايات المتحدة سنة ١٨٦٤ اي لما كان في السابعة عشرة من عمرهِ وكانت الحرب الاهلية في مستهلها . نزل نيويورك فقيراً معدماً لا يملك شروى نقير فاضطر ان يبيت ليلتهُ الاولى على مقعد في حديقة قرب بناية المحافظة — وقد بنى فيما بعد بناية جريدته الكبيرة آزاءَ هذه الحديقة — ثم انضمّ الى فرقة الخيالة في جيش الشمال، وحارب في صفوفهِ حتى وضعت الحرب اوزارها، وتمّ الفوز للولايات الشمالية التي كانت بقيادة لنكلن على الولايات الجنوبية

ولما خمدت نار الحرب الاهلية وجد نفسهُ في احدى الولايات الغربية المتوسطة بلا عمل . لكنهُ كان ذا همة فائقة وعقلٍ متوقد، فلم يطل عليهِ الوقت حتى وجد لهُ عملاً في جريدة المانية بمدينة سانت لويس، كانت اكبر الصحف الالمانية حينئذٍ في تلك الانحاء . ولم تمض عليه سوى ثلاث سنوات حتى صار رئيس تحريرها وصاحب اسهم فيها

وكانت المقالات التي يكتبها فيها بقلم من نار قد نالت اعجاب القراء فاقبلوا عليها، فاتسع نطاق الجريدة اتساعاً سريعاً حمل شركاءَه الباقين ان يطلبوا منهُ شراء أسهمه فيها، وعرضوا عليه ثمناً لم يقبل به اذ قال لهم « لا ابيع اسهمي الاّ بضعف هذا الثمن » فارتدوا عنهُ خائبين ولم تمض ثلاثة أشهر حتى جاءوه ثانية يعرضون عليه الثمن الذي طلبه، فرفض وقال لقد تغيرت الاحوال الآن وارتفعت الاثمان فاطلب ضعف ما طلبته سابقاً، فرفضوا الشراء وتكرر هذا العمل مراراً كان في كل مرة منها يضاعف الثمن السابق حتى رضوا اخيراً ان يدفعوا له ما طلب

وتقلب في مناصب صحافية وسياسية مختلفة قبلما ابتاع جريدتي الدسباتش والبوست المسائيتين في سانت لويس سنة ١٨٧٨ . فوحدهما باسم بوست — دسباتش وانتخب سنة ١٨٨٠ مندوباً في مؤتمر الدمقراطيين، وابتاع سنة ١٨٨٣ جريدة الورلد النيويوركية التي صبّ جهده على جعلها في المقام الاول بين الصحف الاميركية ، فأصاب ما كان يصبو اليه من النجاح

لقد كان نابغة حقّاً عقله ماض كالسيف، وهمته لا تعرف الونى ينير الظلمات بثاقب بصره تفوق في مقدرته على العمل وفي استنهاض همم مساعديه للتفاني في أعمالهم

واليك ما كنت اعمله في نهاري وليلي لما كنت سكرتيره الخاص:

كنت اجتمع به في الساعة العاشرة صباحاً في بيته او في المكتب، وقبل هذا الاجتماع كان عليّ ان اقرأ كلّ ما يرد في جميع صحف نيويورك الصباحية . ليس في ما اقوله مبالغة او غلوّ بل هي الحقيقة المجردة، كان عليّ ان اقرأ كل كلمة سواء في مقالات الاخبار او المقالات الرئيسية

او الاعلانات. وادهى من ذلك انه كان ينتظر مني ان احفظ كل ما اقرأه، فيطلب اليَّ ان ابسط له ما نشرته الجرائد المختلفة في مبحث من المباحث المعينة. يتناول حادثة من الحوادث ويسألني عما جاء في جريدته الورلد عنها، وما جاء في كل من الصحف الاخرى، وما علق عليها من الآراء. ثم يتناول الاعلانات فيطلب مني مقارنة تامة بين ما في جريدته من الاعلانات وما في الجرائد الاخرى منها، ونسبة مساحتها بعضها الى بعض. كذلك كان عليَّ ان افتح مراسلاته الخاصة والمتعلقة بالعمل وكنت اجيب عن بعضها من غير ان اريه اياها

وبعد ما ننجز مراجعة الصحف على هذا المنوال نذهب الى المكتب اذا كنا في البيت. فيصدر اوامره اليَّ فيما يتعلق بالمقالات الرئيسية لليوم التالي. وكان عليَّ ان اكتب بعض هذه المقالات بنفسي. ثم يبسط لي النحو الذي يجب ان نجري عليه في سرد حادثة من الحوادث وبعد ذلك يهتمُّ بادارة العمل، فيبحث مع المديرين في سياسة الجريدة وماليتها وماكناتها وورقها وامور نشرها وتوزيعها. لم يترك وجهاً من وجوه العمل مهما كان صغيراً من غير ان يهتم بهِ اهتماماً خاصًّا وكان عليَّ ان اجاريهُ في ذلك أيضاً

وفي الساعة الثانية بعد الظهر كنا نذهب معاً لتناول طعام الغداء. فنأخذ معنا ما تأخر النظر فيهِ من الامور المستعجلة. فكنا نقضي نحو ساعتين حول مائدة الطعام نبحث في مالدينا من المسائل ونضع الخطط لتنفيذ آرائنا الجديدة. ثم نتنزهُ نزهة قصيرة في احدى الحدائق، واعود الى المكتب لانجاز ما تراكم عليَّ من الاشغال التي عهد بها اليَّ

وبعد تناول طعام العشاء كنت اذهب الى دارهِ لاريهُ مسودات المقالات الرئيسية لليوم التالي. وكان حينئذٍ قد فقد البصر من احدى عينيهِ وضَعُفَ بصر العين الاخرى. لكن هذه المصيبة لم تفلّ عزمهُ بل شحذتهُ، فكان يمسك المسودة على مقربة من عينهِ لكي يرى حروفها الدقيقة ويقرأ كل كلمة فيها ويشير بقلم ازرق الى التصحيح الذي يود احداثهُ فيها، وكان يحتم علينا ان نريهُ المسودة بعد تصحيحها فيقراها بحذافيرها. كذلك كان يمرُّ الهزيعان الاول والثاني من الليل ولا يذهب الى سريره قبل الساعة الثانية صباحاً

اما انا فكنت انام في الساعة الثالثة صباحاً ولا انام اكثر من ثلاث ساعات. لاني كنت استيقظ في الساعة السادسة صباحاً لاباشر اعمالي على المنوال الذي بينتهُ

تزوجت من غير ان اخبرهُ ولما عرف غضب شديد الغضب وقال لا يحق لصحافي ان يتزوج لانهُ يجب ان ينفق كل وقتهِ وجهدهِ في جريدته، فاجبتهُ اني اقتديت بهِ وكانت زوجتهُ امرأة فاضلة فتانة من عائلة كريمة فسهل عليَّ اقناعهُ

الاَّ ان اختلافنا لم يقف عند هذا الحد البسيط، فطلب اليَّ في أحد الايام ان افعل امراً كان في نظره صواباً، فرفضت لاني كنت غير مقتنع بصلاحه. تمادى في الالحاح عليَّ فتماديت

في الرفض، الى ان هددني قائلاً « لعلك تعلم الى ما يؤدّي بك رفضك » فقلت اعلم تمام العلم، معتقداً انه سيطردني من العمل. وكنت قد تزوجت وولد لي ولد، فلم يكن من مصلحتي ان اترك منصباً كالمنصب الذي كنت اشغله على ما فيه من المشقة والعناء. على اني لم استطيع ان اتحوّل عن الموقف الذي اتخذتهُ في تلك المسألة

ولكن ماذا فعل ؟ رقاني في صباح اليوم التالي الى ادارة اصعب الاعمال في جريدة الورلد. وهو منصب محرر المدينة وكأنهُ قال لي «فعلت هذا قصاصاً لك». لم اكن قد اشتغلت بالتحرير من قبل، واذا بي على رأس مائة من الكتاب الذين قضوا سنوات كثيرة في المرانة الصحافية. وكنت حينئذ في الثامنة والعشرين من عمري، واكثرهم اكبر مني سنًّا واوسع خبرة . وبعد ما قضيت ستة اشهر في منصبي الجديد رقاني ثانية — قصاصاً لي — الى رآسة التحرير في جريدة جديدة انشأها ودعاها الورلد المسائية. وكان حينئذٍ يخسر بها نحو الف جنيه في الاسبوع ومن حسن حظي ان عين لي مساعداً اتفقت انا وهو في الغاية والواسطة . فنشلنا الجريدة من وهدة الافلاس . وبعد ذلك استقال المستر كروزير من جريدة الورلد واشترى جريدة بوسطن بوست واستقل في اصدارها

ومما عرف عن المستر بلتزر انه لم يكن يهتم بطبعتي الورلد المسائية والاحدية الاَّ اهتمامهُ بمشروع تجاري محض . اما الورلد الصباحية فقد كانت جريدته حقًّا ينفخ على صفحاتها روحه وينشر فيها آراءه، وكان ينفق عليها من الاموال الى حد الاسراف ليجعلها في المقام الاول بين جرائد نيويورك . قيل انه لما اتفق مع المستر جون غولد صاحبها على ابتياعها بثلاثمائة وستة واربعين الف ريال تدفع اقساطاً، بات ليلته مضطرباً تساوره الريب في صواب ما فعل حتى قرّر ان ينثني عن عزمه قبل توقيع الاتفاق في اليوم التالي . وطلب من زوجته ان تعدَّ امتعتهما ليسافر واياها في رحلة اوربية، فبسمت في وجهه، وما زالت تشجعهُ حتى بددت غياهب الريب ونفخت فيه روح العزيمة والاقدام

وكان مديرو الجريدة بعد تخليه عن العمل يديرونها ومحرروها يحررونها لا يتقيدون بآرائه وارشاداته الاَّ بما كان منها اهدى الى الغاية التي يتوخونها . وكان يحسب ان الطيران بآلة اثقل من الهواء والوصول الى القطب الشمالي من الاعمال المستحيلة فنادى مدير الجريدة في احد الايام وقال له لك ان تعضد بمال الجريدة ونفوذها اي مشروع عمومي الاَّ الطيران والبحث عن القطب الشمالي. على انه لم تمض سنوات عشر حتى وصل القومندور بيري الاميركي الى القطب الشمالي . وحقق الاخوان ريط حلم القدماء بامكان الطيران في آلة اثقل من الهواء. وكان المستر بلتزر لا يزال حيًّا فوضع جائزة بواسطة جريدته الورلد قيمتها الفا جنيهٍ تعطى لمن يطير من مدينة البني الى نيويورك (مسافة نحو ١٢٠ ميلاً) فنالها الطيار غلن كرتس واعتمد

عليها في انشاء معمل الطيران المنسوب اليه . ولا تزال جوائز بلتزر للطيران تعطى كل سنة للسابقين في هذا المضمار

وكان شديد الاعتقاد بالخرافات ككثير من الرجال الذين يصيبون نجاحاً باهراً . ومن ذلك احترامه وثقتهُ في العدد ١٠ فقد ولد في ١٠ ابريل سنة ١٨٤٧ ووصل الى سانت لويس في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٦٨ ووحّد جريدتي البوست والدسباتش في ١٠ دسمبر ١٨٧٨ واشترى جريدة الورلد في ١٠ مايو ١٨٨٣ . ولما اشترى بيتاً لهُ في نيويورك اختار المنزل نمرة ١٠ في الشارع ٥٥ ومجموع رقمي الشارع عشرة ايضاً . وانزل سعر جريدته من سنتين اي اربعة مليمات الى سنت واحد اي مليمين في ١٠ فبراير سنة ١٨٩٦ . فنشأ عن ذلك منافستهُ الشديدة مع صحف هرست . ولم تسفر تجربتهُ هذه عن النجاح المنتظر ففقد شيئاً من ثقته بالرقم ١٠

وكان يحب ان يشارك رجالهُ في كل ما يعود عليه بشيءٍ من المسرة . عاد في شتاء احدى السنين من وادي نهر مسسبي الى نيويورك فوجد البرد فيها قارساً ، فاشترى رداءً من الفرو لاتقائه . وكان هذا قبل ان تحتم الحكومة على شركات التراموای وقطارات النفق ان تدفئ مركباتها . ولم تمض بضعة ايام على شرائه هذا الرداء حتى اهدى الى نفر من كبار رجاله في ادارة الورلد اردية من الفرو مثلهُ . وكان وهج الشمس يتعب عينيه فابتاع برنيطة مصنوعة من قش بناما لكي تظلهما . ولم يلبث ان اهدى مثلها الى المقربين اليه من الكتّاب والمديرين . ولما تخطت جريدة الورلد المائة الف نسخة في ما يباع منها اهدى الى كل عامل فيها برنيطة رسمية من الحرير الاسود . وكان كثيراً ما يحتدم الجدال بينهُ وبين احد عمّاله فينتهي برهان وكان الرهان في الغالب على خمس برانيط . قيل انهُ تجادل مرة مع مدير أشغاله فرفض ان يسلم بما قالهُ لهُ المدير . ولكنّ هذا لم يقنط من اقناعه ، فظلّ يبحث عما يؤيد به اقواله حتى ظفر به وارسله الى رئيسه . فوصله وهو على يخته في جزيرة كورفو على شواطىء بلاد اليونان . فابرق للحال اليه يقول اشترِ خمس برانيط على حسابي ولتكن واحدة منها خاصة بالاوبرا وقد كان يعلم ان مديرهُ هذا ليس من هواة الاوبرا

جمع ثروة طائلة حتى استطاع ان ينفق من دخله نحو سبعين الف جنيه كل سنة . وخاف ان تؤثر مصالحه المالية في مواقفه العامة فكتب سنة ١٩٠٧ حين حدثت الازمة المالية في رآسة روزفلت الى المستر كُب كبير كتابه ما يأتي « لا يخفى عليك ان لي مصالح مالية كبيرة ، وسيتأثر بعضها بالاحوال العامة ، واكاد لا اثق بنفسي حين ارى مصالحي المالية يهددها خطر من الاخطار فقد انهزم أمام احدها . فارسل اليك امراً بتغيير خطة الجريدة لكي لا أخسر من مالي شيئاً . ولذلك اريدك ان تعدني وان تقسم لي بان تتجاهل امراً كهذا اذا ورد عليك » وكان لا يخبر احداً من كتابه الرئيسيين باسماء الشركات التي يحمل أسهمها لكي لا تتأثر سياسة الجريدة بمصالح صاحبها المالية

البارون روتر

(امام ص ٣٧)

روتر

البارون روتر منشئ شركة تلغرافات روتر. ولد في كاسل بالمانيا سنة ١٨١٦ . وتوفي ابوهُ وهو في الثالثة عشرة، فاضطرَّ ان يقصد خالهُ في بنك غوتنجن ، ويخدم عندهُ صانعاً، فقطع لهُ اجرة ثمانية جنيهات في السنة. او ٦٥ غرشاً في الشهر

ولما كان لهُ سبع عشرة سنة من العمر كان يُرسَل الى الذين يودعون البنك دراهمهم لكي ياتي منهم بما يريدون ايداعهُ. فاعطاهُ الاستاذ غوس العالم الرياضي ثلاثين ذهباً فرنسويًّا، فاخذها منهُ وعدَّها وهو راجع الى البنك، فوجد ذهباً منها مزدوجاً اي مما يساوي اربعين فرنكاً. فعاد الى غوس وناداهُ قائلاً انك غلطت في عد النقود يا استاذ . فاغتاظ غوس من ذلك وقال اني لم اغلط بل هي ثلاثون ذهباً كما عددتها . فقال لهُ نعم انها ثلاثون ذهباً ولكن واحداً منها اثنان. وبقي مدة حتى اقنع غوس ان واحداً منها مزدوج، فهي واحد وثلاثون ذهباً فرنسويًّا، فذهل غوس من امانتهِ وصدقه واطلعهُ على سر التلغراف الكهربائي، وشرحهُ لهُ . فبقي ذلك في ذهنهِ واستعملهُ لنقل الاخبار. فجمع منهُ ثروة طائلة ، واشتهر اسمهُ في الخافقين ، حتى يذكر اسم روتر الآن في جرائد المسكونة اكثر مما تذكر اسماء ملوك الارض اجمع . وتبحَّر في المسائل المالية وعمرهُ عشرون سنة . وارتأى رأياً في المالية الروسية بعث بهِ الى وزير المالية في بطرسبرج. فأجابهُ الوزير بعد سنة بجواب ضمنهُ ورقة مالية بمئة وخمسين جنيهاً علامة استحسانهِ للرأي الذي ابداهُ

ولما وُضع التلغراف الكهربائي في فرنسا والمانيا لم يوصل بين التلغرافين لاسباب سياسية. فرأى ان يوصل بينهما بالحمام الزاجل، فاقام هو عند الطرف الواحد، وزوجتهُ عند الطرف الآخر، وجعلا ينقلان اخبار التجار وغيرهم بواسطة الحمام من جهة الى اخرى ، ثم ينقلانها بالتلغراف فنجح في ذلك واكتسب منهُ كسباً وافراً . لكن لم يطل الفصل بين التلغرافين ، فاوصلا ولم يبقَ محل لعملهِ . فتركهُ وذهب الى باريس لعلَّهُ يجد فيها عملاً يعملهُ فلم يجد . وكان يفكر في انشاء وكالة لجلب الاخبار السياسية ونشرها ، لكن احوال الحكومات الاوربية لم تكن تأذن بذلك. فرأى بعد امعان النظر ان البلاد الانكليزية اصلح من غيرها لهذه الغاية، لما فيها من الحرية للجرائد . فمضى اليها ونزل في مدينة لندن سنة ١٨٥١ . وتجنَّس بالجنسية الانكليزية ، وفتح وكالة لنقل الاخبار السياسية والتجارية . وكان اكثر اعتمادهِ على نقل الاخبار لتجار الاروام الى عملائهم في موانئ المشرق ، ومن العملاء اليهم . وعيَّن لهُ وكلاء في الاماكن التي يصل التلغراف اليها وينقطع عندها، فكانوا يتلقون اخبارهُ التلغرافية وينقلونها مع السعاة الى المكان الذي يبتدئ فيهِ التلغراف ثانيةً . وغنيٌّ عن البيان انهُ درس احوال التلغراف في كل اوربا،

حتى يعلم اين يبتدئ والى اين يصل كل خط من خطوطهِ . وواظب على عملهِ هذا بغير انقطاع . وكان اذا خرج من مكتبهِ ليأكل لقمة يوصي صانعهُ ان يدعوهُ متى اتى زبون جديد . وذات يوم اتى رجل ليتكلم معهُ وكان قد خرج في شغل ، فاسرع الصانع اليهِ ليدعوهُ ، فقال لهُ عُدْ حالاً ولا تدعهُ يخرج قبل رجوعي فقال الصانع لا تخف يا مولاي فاني اقفلت الباب عليهِ حتى لا يخرج في غيابي . فسرَّ بذكائهِ ونجابتهِ فرقَّاهُ ، وهو من اهم مديري شركة روتر

وحدث في ذلك الحين ان البارون بروتنك ، من اشراف الروس واغنيائهم ، هرب من روسيا الى انكلترا لسبب سياسي ، وخاف ان تستصفي (تحجز) الحكومة الروسية املاكهُ ، فطلب من روتر ان يمضي الى روسيا ويبيعها لهُ ، ولم يكن في وسعهِ ان يعطيهُ توكيلاً بالكتابة ، لان الحكومة الروسيَّة لم تكن تدع احداً يدخل بورقة الى بلادها . ومن وجد معهُ شيء من ذلك فعقابهُ النفي الى سيبيريا . فاعطاهُ خاتماً قديماً يخص عائلتهُ ، فمضى بهذا الخاتم الى بطرس برج واقنع بهِ اقرباءهُ انهُ آتٍ من قبلهِ فاتمَّ لهُ المهمة التي ارسلهُ فيها

بعد سنتين عاد الى روسيا ، وعرض على حكومة الروس مد التلغراف من شرقي روسيا الى بكين عاصمة الصين . وسار الى بكين برًّا لهذه الغاية فقطع صحراء غوبي وقضى في هذه الرحلة سنة كاملة ، لكنهُ لم يوفق الى مد سلك التلغراف حينئذٍ . وبقيت الجرائد تمتنع عن نشر اخباره الى سنة ١٨٥٨ . فاقتنعت حينئذٍ ان في نشرها فائدة لها ، وانشأ وكالة كبيرة لجلب الاخبار التلغرافية من اقطار المسكونة وبيعها للجرائد ثم جعل هذه الوكالة شركة مساهمة سنة ١٨٦٥ . وبقي هو مديراً لها حتى سنة ١٨٧٨ . وامتاز بسرعة جلبهِ للاخبار السياسية ، حتى ان اخبارهُ كانت تسبق اخبار الحكومة الانكليزية . وكانت الحكومة تعتمد عليها كانها اخبار رسمية مرسلة اليها من رجالها

وحاول ان يفعل في برلين ما فعلهُ في لندن . فلقي من الحكومة الالمانية اشد المقاومة . فشكا امرهُ الى بسمارك وقال لهُ على مَ تقاومونني ؟ هل تجدون في اخباري شيئاً من عدم الصحة ؟ فقال لهُ بسمارك بل نجد انها صحيحة اكثر مما يلزم ، وهذا سبب اعتراضنا عليها ؟ ثم ابان لهُ ان الحكومة لا تسمح الاَّ بنشر ما تريدهُ من الاخبار ، وانها مستعدة ان تعطيهُ شيئاً عوضاً عمَّا يخسرهُ بالغاء الوكالة من برلين

ومن اعماله المشهورة انهُ التفت الى بلاد ايران فرآها مفعمة بالخيرات الطبيعية ولا تحتاج الاَّ الى اناس يستثمرونها ، فاقنع شاه ايران حتى اعطاهُ امتيازاً يجعل لهُ شأناً كبيراً في استثمار خيرات البلاد . لكن روسيا اعترضت على ذلك ، واقنعت الشاه حتى سحب الامتياز . الاَّ ان روتر لم يعدل عن طلبهِ . واخيراً اقنع الشاه حتى اعطاهُ امتيازاً آخر بدل الامتياز الاول . فحوَّله الى بنك ايران الشاهاني Imperial Bank of Persia . وبقي الى ان ادركتهُ الوفاة سنة ١٨٩٩ يشارك مديري شركتهِ في توسيع نطاقها وادارة اعمالها . وكان قصير القامة ، نحيف الجسم ، مدققاً في اعماله اصيل الرأي ، حازماً ، مقداماً ، لا يكل من الشغل ، ولا يعبأ بالمشاق . وهذا سرُّ نجاحهِ

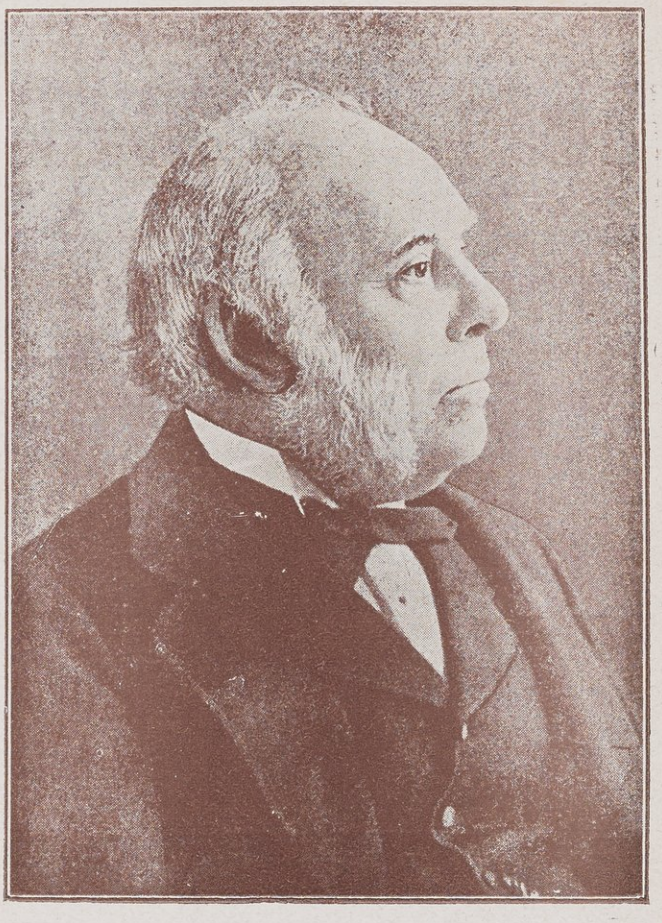

وليم هنري سمث

(امام ص ٣٩)

سمث

لا نظن ان قارئاً من قراء المقتطف يقرأ هذا العنوان الاَّ ويستغرب اننا نحشر باعة الجرائد بين ارباب الاموال. ويزيد استغرابهُ اذا علم ان صاحب الترجمة ارتقى من بيع الجرائد الى ان صار وزيراً من وزراء الانكليز، ورئيساً لمجلس النواب الانكليزي، فوق ما جمعهُ من الثروة الطائلة من بيع الجرائد ومات منذ عشر سنوات، وترك مليوناً و٧٧٦ الف جنيه عدا العقارات الكثيرة، ولا يزال بيته يبيع الجرائد الى الآن

كان ابوه وليم سمث بائع جرائد وورق واقلام وما اشبه، مما يطلبهُ الكتاب. وكان عالي الهمة لا يكلُّ ولا يملُّ، جعل شعاره «السابقون السابقون» فكان يستلم الجرائد من المطابع حال صدورها، ويوزع بعضها في انحاء المدينة، ويرزم البعض الآخر ويرسله الى الجهات البعيدة واستخدم اناساً كان يركبهم خيولاً سريعة العدو لكي يسبقوا غيرهم في ارسال الجرائد الى اصحابها. ولما شب صاحب الترجمة اراد ان ينتظم في سلك خدمة الدين، فمنعهُ ابوه عن ذلك واشركه معه في عمله، وكان الاب صعب المراس مع ما اتصف بهِ من الهمة والانصاف. لكن الابن كان من الين الناس عريكة كما كان من اعلاهم همة واكثرهم اجتهاداً. فكان ينهض كل يوم الساعة الرابعة صباحاً، ويلبس ويفطر ويمضي الى مكتبهِ، فيكون فيهِ الساعة الخامسة صيفاً وشتاء. ويشرع للحال في فرز جرائد الصباح ولفها وارسالها الى حيث يجب ان ترسل. واتسع عملهُ بسرعة فائقة، واضاف الى بيع الجرائد التزام بيع الكتب في محطات سكك الحديد. وكان يبيع فيها الكتب المفيدة والروايات الادبية لا غير. فكان ذلك من افعل الوسائل في اصلاح آداب الامة الانكليزية

ونشبت حرب القرم، وبعثت جريدة التيمس مكاتباً خاصًّا اليها، وكان التلغراف قد مُدَّ وصارت الاخبار تنقل بهِ. فزاد اقبال الناس على قراءتها اضعافاً كثيرة. وكان وليم هنري سمث البائع الوحيد لها في البلاد الانكليزية. فزاد ربحهُ من ذلك ومن ازدياد سكك الحديد وكثرة محطاتها. فصار معدوداً بين ارباب الثروة، وانتُخب عضواً في مجلس النواب سنة ١٨٦٨، وجُعل وزيراً للمالية سنة ١٨٧٤، وللبحرية سنة ١٨٧٧، وللحربية سنة ١٨٨٥، واعيد الى وزارة المالية في وزارة سلسبري، وجُعل رئيساً لمجلس النواب، وتوفي وهو في ذلك المنصب. ولما جُعل وزيراً للبحرية سلَّم اشغالهُ لاناس اكفاء لادارتها، واستراح من عنائها. ويعدهُ قومهُ من دعائم بلادهم وحسبهُ فخراً انهُ ربح من بيع الكتب والجرائد مليونين من الجنيهات. ولم يبع قصة مجونية، ولا باع جريدة تطبع يوم الاحد، لكي لا يخل بعقيدتهِ الدينية

ركفلر

كان الشأن الاكبر في القرن الماضي للفحم الحجري لاعتماد المعامل والبواخر عليهِ . اما المعامل فبعضها لا يزال اعتماده على الفحم، والبعض الآخر صار اعتماده على الكهربائية، سواء كانت متولدة من الفحم او من انحدار الماء. واما السفن البخارية تجارية كانت او حربية فصار اكثر اعتمادها على البترول، توقده بدل الفحم. وستقتصر كلها عليهِ في القريب العاجل على مايظهر. واضيفت اليها السيارات والطيارات ، ولذلك صار البترول من الحاجيات التي لا يستغنى عنها. وهو ليس من المواد التي تزرع وتستغل كالحبوب والاثمار، فتولد البزرة مئات، ولا مما يتيسر الحصول عليهِ في اكثر الاماكن كالمياه والاماكن، بل هو مما خصت به بعض الاراضي. ولذلك انصرفت همة الدول الحربية والتجارية الى امتلاك تلك الاراضي، والاَّ تعذَّر عليها وجود القوة المسيَّرة لاساطيلها البحرية والبرية والهوائية من البواخر والسيارات والطيارات

ولما كان العثور على الينابيع الغزيرة من البترول غير خاضع لارادة الانسان ولا هو مرتبط بقاعدة معلومة، صار هذا العثور نوعاً من المضاربة. فقد ينفق الباحث مالاً قليلاً فيصل بهِ الى غنىً وافر، وقد ينفق ثروتهُ كلها ولا ينال شيئاً . وهذا لا يعني ان ليس في الاكتساب من البترول مجال للبحث والعمل المنتج، فان ما يستنبط منهُ من الارض لابدَّ من تكريرهِ وتقطيرهِ على اساليب مختلفة، حتى يصير صالحاً للاستعمال فيما يراد استعمالهُ لهُ، وحتى يسهل نقلهُ من مكان الى آخر . واستلزمت الاعمال اللازمة لذلك معارف اكبر العلماء وابرع المهندسين . فهو مادة طبيعية كالفحم الحجري والحديد، ولكنها لا تصلح للاستعمال الاَّ بعد ما تعالج على أساليب شتى

واذا ذُكر ملوك البترول فاول من يخطر على البال منهم ركفلر الاميركي صاحب الملايين الكثيرة والمبرات الوافرة، الذي أعطى ابنهُ نحو مائة مليون جنيه. ووهب المدارس والمكاتب والمستشفيات ونحوها مائة مليون اخرى. ولم يزل في يده ثروة طائلة لا يدري كيف ينفقها حتى يموت فقيراً . وها نحن أولاء موردون شيئاً من ترجمتهِ وما فيها من الاعمال التي تصلح ان تكون دستوراً لغيرهِ

ولد جون ركفلر بولاية نيويورك في ٨ يوليو سنة ١٨٣٩. فكان يشتغل اولاً بالفلاحة ١٥ ساعة في اليوم لقاء خمسة غروش. ثم انتقل بهِ ابوهُ الى كليفلند سنة ١٨٥٥، حيث نيط بهِ مسك الدفاتر في بيت تجاري هناك، وجعل راتبهُ ١٢٠ جنيهاً في السنة . وحدث حينئذٍ امران كان لهما الشأن الاكبر فيما وصل اليهِ من الغنى الوافر . الاول ان صاحب ذلك البيت التجاري

روكفلر الصغير

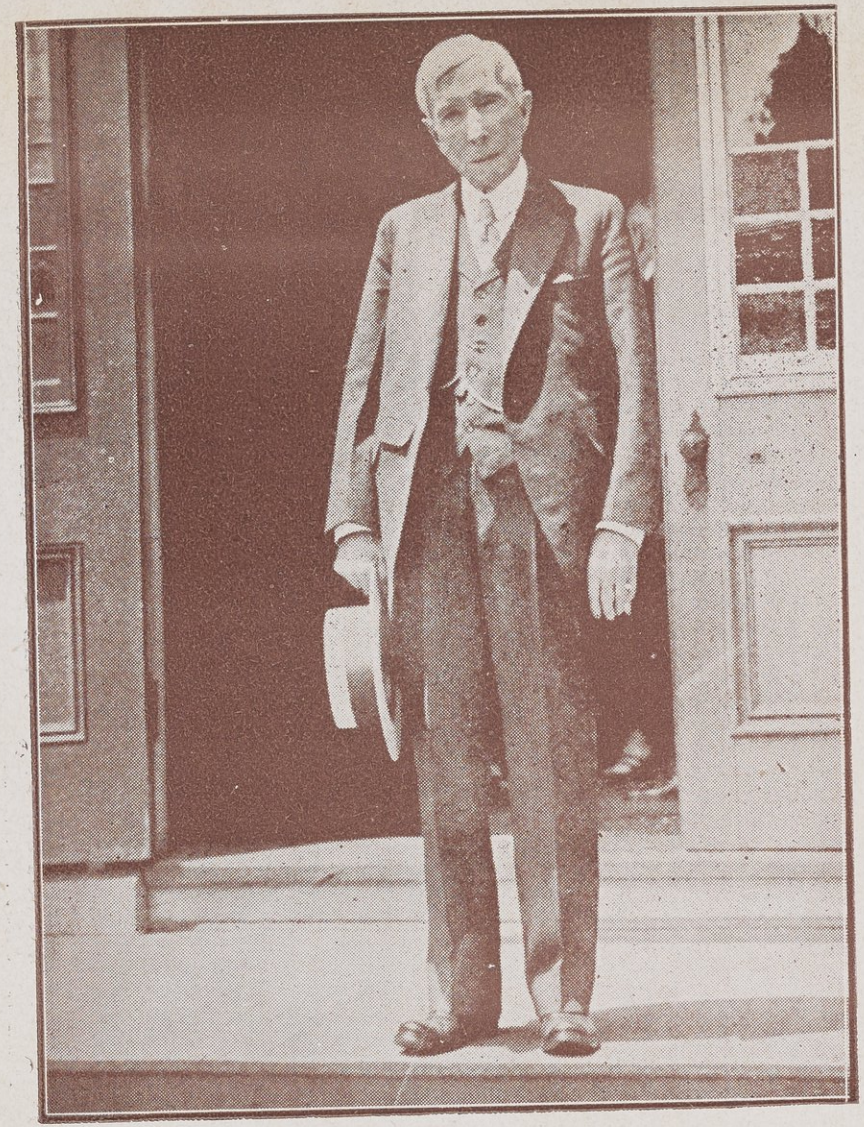

روكفلر الكبير (امام ص ٤٠)

امرهُ ان يدفع لرجل ثمن ادوات صحية وضعها لهُ في بيتهِ، فنظر في الاثمان المطلوبة لتلك الادوات فوجد انها مقدَّرة باكثر من ثمنها الحقيقي ولو قليلاً، فأبى دفعها فسرَّ بهِ صاحب البيت التجاري . وكان هذا شأنه في كل اعمالهِ التالية، فانهُ كان ينظر في الجزئيات ويهتم بها كما يهتم بالكليات . والامر الثاني انهُ لما جمع من اجرتهِ ٨٠٠ ريال اتاهُ رجل اسمهُ كلارك وقال لهُ انهُ عازم على انشاء محل تجاري ويود ان يشركهُ معهُ اذا اتاهُ بالفي ريال. فنظر في الامر واستحسنهُ، وذهب الى ابيهِ وطلب منهُ ان يقرضهُ الف ريال، فقال لهُ ابوهُ انهُ كان عازماً ان يعطي كل ولد من اولادهِ الف ريال حينما يبلغ سن الرشد، اما وهو لم يبلغ تلك السن (اي ٢١ سنة) فانهُ يعطيهِ الف ريال ديناً ربا عشرة في المائة ، فرضي بذلك وتمت الصفقة على هذه الصورة، وانشئ محل كلارك وركفلر واخذ ابوهُ الربا منهُ . وهذا دليل على ما اتصف بهِ ذلك البيت من حسبانهِ المعاملات المالية أساليب تجارية لا محل فيها للعواطف ومراعاة الخواطر

***

لم يكن البترول منذ خمسين سنة يكرر كما يكرر الآن وينقى من الشوائب التي تخالطهُ. وكان كل ما يتعلق بالبترول، من حين استنباطهِ من الارض الى ان يصل الى من يستعملهُ، في حالة الاضطراب والتشويش ، حينما تناول ركفلر هذا الموضوع ، فعزم على اصلاح ذلك كلهِ واستخراج نوع من البترول يكون في جودتهِ مقياساً (ستندرد) يقاس غيرهُ عليهِ. ومن ثمَّ سميت شركتهُ الآتي ذكرها شركة ستندرد اويل اي شركة البترول الذي هو مقياس . وقد جعل الاقتصاد أساساً لاعمالهِ . مثال ذلك ان اغطية صفائح البترول كان الغطاء منها يلحم باربعين نقطة من اللحام ، فوجد بعضهم ان تسعاً وثلاثين نقطة تكفي فجرى ركفلر على ذلك. فبلغ ربح شركتهِ من اقتصاد نقطة واحدة من اللحام خمسين الف ريال في السنة . وكان خشب براميل البترول يقطع في الغابات ويؤتى بها حالاً الى حيث تصنع البراميل منهُ. فصار يتركهُ في الغابات حتى يجفَّ بعد قطعهِ، فيخف وزنهُ ويقتصد ربع نفقات نقله

ولركفلر الفضل في انهُ ادخل في اعمال الشركات ٣ اساليب كان لها شأن كبير في نجاحها . الاول اسلوب الاحصاء ، فقد كان عمل شركتهِ حينئذٍ ابتياع البترول الخام من مستخرجيهِ وتكريرهُ وبيعهُ مكرراً، وكان سعرهُ قبل تكريرهِ يكتب ويعلّق يومياً على جدران غرفة الانتظار في مكتبهِ كما تعلق اسعار القطن الآن في البورصة . وذات يوم دخل تلك الغرفة شاب اسمهُ بيمس ورأى السعر منشوراً، فاخذ ورقة وجعل يحسب نفقات تكرير الجالون من البترول نسبة الى ثمنهِ، ورآهُ ركفلر حينئذٍ فأعجب بهِ، واستخدمهُ لهذا العمل ، وانشأ فرعاً للاحصاء في معملهِ اي لحساب النفقات، وهو فرع الاحصاء الذي يرى الآن في كل معمل واسع

حسن الادارة . ثم لما اراد انشاء شركتهِ الكبيرة « ستندرد اويل كمبني » جعل هذا الشاب من مديريها. وهو الذي ادخل بترول ركفلر الى الصين، وناظر الشركات الاخرى في الشرق كلهِ. ولما توفي كان قد صار نائب رئيس الشركة

والاسلوب الثاني انشاء المطاعم للرؤساء والمديرين في المعامل نفسها ليتناولوا فيها طعام الظهر. وغرضهُ من ذلك الاقتصاد في الوقت والاهتمام بامور الشركة. فان الرؤساء والمديرين كانوا يضيعون جانباً كبيراً من الوقت في ذهابهم الى حيث يتناولون الغداء. فصار المطعم في المعمل نفسه، وصاروا يجتمعون معاً ويدور حديثهم على مصلحة العمل . فالقليل الذي ينفق على طعامهم لا يوازي الاَّ جزءًا صغيراً من الربح الذي يربحهُ المعمل من النظر في اموره . وكان ركفلر وهو صاحب الشركة ومديرها لا يجلس الى رأس المائدة، بل بين سائر المديرين كانهُ واحد منهم واعطى الرآسة لغيره، وكان عدد المديرين حينئذٍ ١٦ ولم يبق منهم الآن حيًّا الاَّ ركفلر

وانتقل مقرّ الشركة الى اماكن مختلفة بحسب اتساع اعمالها. وكانت غرفة المائدة ابهج غرف الاماكن التي انتقلت اليها. ويدعى اليها اصدقاء المديرين والرؤساء ليتغدوا معهم. ولا يقتصر الحديث فيها على ما يتعلق باشغال الشركة، بل يتناول كثيراً من الموضوعات الفكاهية. فهي رابطة الالفة بين مديري الشركة وموسعي نطاقها وموفري مكاسبها

ولما انقسمت أعمال الشركة الى دوائر مختلفة صار لكل دائرة منها غرفة غداء خاصة بها. والاساس الذي بني عليه هذا النظام هو ان المؤاكلة من اقوى وسائل الالفة بين الناس

الأسلوب الثالث انشاء مجلس الادارة حيث يجتمع المديرون كل يوم ويتذاكرون في مصالح الشركة، فيصير كل واحد منهم على علم بكل الاعمال التي تتعاطاها

ودامت الحال على هذا المنوال وركفلر ينشئ شركات جديدة ويضمها هي وغيرها الى شركتهِ الاصلية ويسيطر عليها. الى ان كانت سنة ١٩١١، فادَّعى عليهِ حينئذ ان في هذا الضم وهذه السيطرة احتكاراً غير جائز. فحكمت المحكمة بتفريق هذه الشركات ، فافترقت واستعفى ركفلر حينئذٍ من ادارتها ومن ادارة شركتهِ الاصلية ، ولكن هذا الافتراق لم يضعفها بل زادها قوة وانتشاراً ، وزاد اعمالها اتساعاً. وقد كان مجموع رؤوس اموالها ٢٨٥٠ مليون ريال سنة ١٩١١. فصار ٩٢٥٠ مليون ريال سنة ١٩٢٣. وكان لركفلر ٢٤٤٣٤٥ سهماً في شركتهِ الاصلية، وكان السهم منها يساوي ٦٥٠ ريالاً سنة ١٩١١، فقيمتها كلها كانت اقل من ١٥٩ مليون ريال، فصارت قيمة السهم سنة ١٩٢٩ ٣٥٠٠ ريال. فتساوي كلها ٨٥٦ مليون ريال او نحو مائتي مليون جنيه

والراسخ في الاذهان ان ركفلر لا يملك الاَّ اسهم البترول ، والحقيقة انهُ يملك اسهماً كثيرة في شركات سكك حديد ومناجم الحديد ، فثروتهُ بلغت اكثر من الف مليون ريال

مائتي مليون جنيه . ولكنهُ انفق اكثر من نصفها في الاعمال النافعة كالمدارس والمكاتب ومعاهد البحث الطبّي وما اشبه

ومما جرى عليهِ في هباتهِ انهُ لا يهب نقوداً ، بل اسهماً من اسهم شركاتهِ ، ويبقي لمديري شركاتهِ شيئاً من السيطرة عليها ، فتزيد قيمتها مع الزمن وتزيد قيمة هباتهِ بها . مثال ذلك ان ثمن السهم في شركتهِ القديمة كان ١٢٥ ريالاً سنة ١٨٩٣ . فلو وهب مدرسة ٤٠٠ سهم منها حينئذٍ اي ٥٠٠٠٠ الف ريال لصار ثمنها ١٤٩٠٠٠ ريال سنة ١٩٢٣ وتكون المدرسة قد تناولت ربحاً في هذه السنين يبلغ ٧٢٢٠٠٠ ريال مع انهُ لو اعطاها ٥٠٠٠٠ الف ريال نقوداً لبقيت كما هي ولما زاد ربحها في هذه السنين على ١١٦٠٠٠ ريال

ولما استقال من الادارة العامة وقت افتراق الشركات صار لكل شركة مدير خاص يتولى شؤونها ، فنمت واتسعت فزادت قيمة ممتلكاتها اكثر من عشرين ضعفاً ، وهذا سبب الزيادة العظيمة في ثروتهِ . وقد ثبت من ذلك ان اتحاد الشركات مفيد في بداءة الاعمال الى ان يتدرب المديرون على العمل ، ثم يصير الانفصال اصلح من الاتحاد

ما تعلمت من والدي (١)

﴿ التوفير والاحسان ﴾ من أقوالهِ المأثورة : « كل شاب يجب ان يعتني كل الاعتناء بماله . وانهُ لفرض مقدس عليه ان يجمع كل ما يستطيع جمعهُ من المال . وان يحتفظ بكل ما يستطيع الاحتفاظ به وان يُحسن بكل ما تنبسط لهُ يده » . فقد كان ابي في حداثته ، وهو عامل بسيط لا يكاد يكسب الاَّ ما يقوم بأوَدهِ ، يعني بتوفير شيء من ماله والاحسان بجانب من هذا المال الموفّر . ولديه الآن يومية كان يحفظها في تلك السنوات يظهر منها انهُ كسب بين سبتمبر ١٨٥٥ ويناير ١٨٥٦ عشرة جنيهات ، أنفق منها على طعامه وغسل ثيابه ، ووفّر جانباً منها . ومع ذلك كان يبسط يده كلّ اسبوع لمساعدة مدرسة احدية بمليمين . مليمان كل اسبوع ! مبلغ حقير ولا ريب ، ولكنهُ عوّد ركفلر العامل الفقير ان يكون ركفلر الغنيّ محسناً سخيًّا . ولما زاد راتبهُ الشهري حتى صار ٥ جنيهات كل شهر سنة ١٨٥٧ ، جعل يحسن الى جمعية من جمعيات التبشير بقرشين كل شهر ، والى جمعية اخرى بقرشين واربعة مليمات . ومن الدروس التي اغرم بالقائها على اصدقائه وابنائه ان الاحسان لا يستدعي ان يكون المحسن غنيًّا . وهذه اليومية تثبت ان ركفلر كان يمارس في صغره عقيدته هذه

وقد جرى على هذا المبدإ في تربيتنا فقد علّمنا منذ صغرنا اننا لا نستطيع ان ننال منهُ

---

(١) هذه الحوادث مقتطفة من حديث لركفلر الصغير — ضيف مصر الكريم سنة ١٩٢٨ — مع احد الكتاب الاميركيين ومن ترجمة ركفلر الكبير في كتاب «ملوك التجارة»

كل ما نريده . بل كان كثيرون من أبناء عمومتنا ينالون من اللعب والهدايا اكثر منا . وعلّمنا اننا يجب ان نعمل عملاً مفيداً مقابل كلّ ما نأخذ منه او من امنا من النقود . وكان كلما وفّر احدنا جنيهين مثلاً ، يضيف عليهما جنيهين من جيبه ، ويفتح له حساباً في البنك . وكان يجازينا عن قيامنا بما يجب علينا قياماً تامًّا بجوائز مالية يحتم علينا توفير جانب منها والاحسان بجانب آخر . ولما بدأت أنا أشتغل في ارضنا بولاية كليفلند كنت اتناول اجوراً كباقي العمال

﴿ رحابة صدرهِ وكرمه ﴾ ومع تدقيقه هذا دهش الناس منذ بضع سنوات لما جُردت أسماء اصحاب الاسهم في شركاته المختلفة فوُجد ان ركفلر الصغير صاحب اكثرها لا ركفلر الكبير . ذلك ان ركفلر الكبير وجد ان ابنه يقوم باعباء العمل ويحمل كل المسؤولية في ادارتها فوهبه من الاسهم ما قيمته ثمانون مليوناً من الجنيهات !

قال ركفلر الصغير : وبعد ما توفي مورغان الكبير نقلت مجموعتهُ الخزفية النفيسة الى المتحف المتروبوليتان بنيويورك ، ثم عرضت للبيع ، فوددت ان اشتري بعضها ، فكتبت الى ابي اطلب منهُ ان يقرضني المال اللازم لشرائها . فجزع لعظم المبلغ ورفض الطلب . فكتبت اليهِ ثانية اقول « لم انفق في حياتي مالي جزافاً في القمار وما اليهِ من اسباب الترف والاسراف . وهذه المجموعة النفيسة لها قيمة فنية وتهذيبية كبيرة لانها من آيات الفن المشهورة » وطلبت اليهِ ثانية ان يقرضني المال اللازم ، فقبل ولكنهُ بدلاً من ان يقرضني المال أهدى اليّ المجموعة التي اخترتها . وكانت قيمتها مائتي الف جنيه

ومرة لما كنت لا ازال حديث العهد بالاعمال المالية ضاربت بمبلغ من المال كنت قد وفرتهُ مع اختي ، فخسرت مبلغاً كبيراً لان السمسار خدعني ، فذهبت اليهِ وعرضت عليهِ الامر ، وطلبت ان ينشلنا من الهوّة التي وقعنا فيها . فاخذ يوجه اليّ اسئلة دقيقة كشفت لي عن اسرار المضاربات وخطر التمادي فيها ، ثم قال انهُ مستعد ان يدفع كل الخسارة التي خسرتها من غير ان يؤنبني بكلمة واحدة . وحين اذكر تلك الحادثة واذكر كرمهُ وشممهُ واسئلتهُ الدقيقة يثبت لي ان ابي لم يكن قادراً ان يجد طريقة لتأديبي في هذا الموقف افعل من هذه الطريقة

وهاتان الصفتان فيهِ لا تدلان على انهُ سهل الانخداع ، بل تلازمهما صفة اخرى هي التدقيق في كل عمل قبل ان يقدم عليهِ . ومتى وصل الى نتيجة حاسمة في الموضوع مضى فيهِ من غير تردُّد

﴿ الصبر ﴾ اذكر مرة اننا كنا نتناقش في موضوع يتعلق باعمالنا فقال « هذه الخطة سليمة ولا بدَّ من ان تؤدي بنا الى النجاح في هذا الامر ولو لزم الامر ان نصبر خمساً وعشرين سنة » وحياتهُ ابلغ مثل على انتصار الصبر والمثابرة على كل المثبطات . واي مثبط اعظم من الفقر وضعف الصحة والشيخوخة . ومع ذلك ترى ركفلر الكبير قد فاز على فقرهِ بالاجتهاد والصبر حتى صار اغنى اغنياء العالم واسخى محسنيهِ . وفاز كذلك على ضعف صحتهِ وشيخوختهِ بمثابرتهِ

على علاج مملٍّ نتيجتهُ بطيئة الظهور . ولكنهُ الآن (سنة ١٩٢٩) في التاسعة والثمانين من عمره ولا يزال يلعب الجولف

﴿ تواضعه ﴾ ارادت اسرة روكفلر قبل بضع سنوات ان يعنى سارجنت المصور الاميركي الشهير بتصوير رأس الاسرة صورة كبيرة بالزيت . فسأل قبل قبوله عن نفقاتها ، فلما عرف وجد المبلغ كبيراً فرفض قائلاً ان لهُ اصدقاء بارعين في التصوير في بلدتهِ لا يتقاضون عن عملٍ كهذا اكثر من مائة جنيه . فلما قيل لهُ ان سارجنت من اشهر مصوري الاشخاص قال «ولماذا يجب ان يصور صورتي رجل مشهور يتقاضى هذا المبلغ الكبير ؟ من انا وماذا فعلت ؟ لقد اتفق ان اثريت ولكني اعرف رجالاً كثيرين اثروا كذلك » ولكن لما قيل لهُ إن كلَّ اعضاء اسرتهِ يتوقون الى رؤية صورتهِ مرسومة بريشة سارجنت قبل ولكن ابنهُ دفع الثمن

دارسي

كان صاحب الترجمة محامياً في بلدة روكامبتن بمقاطعة كوينزلند المتوسطة ، في اواخر العقد التاسع من القرن الماضي،وكان اكثر موكليه من اصحاب المزارع والقطعان . وبينهم رجل معروف يدعى سندي مورغن يملك ارضاً بين الآكام المجاورة. فجاء هذا الرجل مكتب موكلهِ ومعهُ قطعة من الحجر البراق اراه اياها وقال « ما هذه ؟ . ان لديَّ جبلاً منها» قلَّبها المستر دارسي في يديه،فعرف انها من الكوارتز الذي يوجد فيهِ الذهب.ولكي يتحقق ذلك ارسلها الى مدينة سدني لتحليلها.ولما جاءه تقرير المحلل عرف ان ثروة كبيرة كامنة في ذلك الجبل.فاتفق مع المستر مورغن،وأسس شركة لتعدين الذهب رأسمالها مليون جنيه.ونال لقاء عمله وبعض المال الذي وضعه في تأسيس الشركة ثلث الاسهم،وقيمتها الاساسية ثلث مليون جنيه . وقد تبين بعدئذ ان هذا المنجم من غرائب مناجم الذهب في العالم لوفرة ذهبه

ومضى دارسي في عمله كحام نحو عشر سنوات،ولما جمع من ايراد اسهمهِ مائة الف جنيه عزم ان يسيح مع زوجته ، ليرى البلدان التي يتوق الى رؤيتها . وقبل ان برح استراليا طلب الى شركائهِ ان يبيعوا جانباً من اسهمه متى بلغ سعر السهم ٨ جنيهات،مع ان سعره الاساسي جنيه واحد

هبط مصر فراقه شتاؤها،فبقي فيها نحو ستة اشهر.ثم انتقل منها الى ايطاليا فالنمسا من

غير ان يعرف شركاؤه عنوانهُ ومحل اقامته، لانه كان يبيت دائماً على سفر . ولما كان في فندق بفينا وقعت عينه اتفاقاً على عدد قديم من اعداد جريدة التيمس. فاذا فيهِ اعلان من البنك الذي يتعامل معهُ في لندن يطلب، فيهِ مديره حضور المستر دارسي « ليعرف امراً يهمه ». مع ذلك لم يعجل في الذهاب الى لندن لولا ان نفد صبر زوجته. فحثته على الذهاب فذهبا ولما دخل البنك قال لاحد الكتاب « انا دارسي وقد بلغني انكم تبحثون عني » وكان كل مستخدمي البنك يعرفون قصته الغريبة. فسار به هذا الكاتب توًّا الى المدير، فأحسن وفادته وأراه رزمة من التلغرافات والرسائل، علوها قدم، بعثها البنك للبحث عنه. وذلك ان اسعار الاسهم التي وكل بها شركاءهُ ارتفعت ارتفاعاً سريعاً، حتى بلغ ثمن السهم ١٨ جنيهاً. فباع له شركاؤه جانباً من اسهمه بين ٨ جنيهات و١٨ جنيهاً، وتجمع له في هذا البنك مليون ومائتا الف جنيه. وكان كل دقيقة يزداد ثروة. لو ذكرت هـذه الحادثة في كتاب روائي لقلنا انها موضوعة لغرابتها. ولكنها حقيقة واقعة

لم يقنع دارسي بما اصاب من ثروة في مناجم الذهب على اهون سبيل . ولم يحصر همه في الذهب بل حوَّله الى البترول، فجعل يبحث عن ينبوع لهذا السائل الثمين قبل ان تشعر انكلترا بحاجتها اليه . نظر الى خريطة آبار البترول فوجد ان شركة برما، وكانت شركة البترول الانكليزية الوحيدة في ذلك العهد، قد حصرت آبار البترول التي في الهند تحت سيطرتها . وكانت شركة «شل» لا تزال تشتغل بنقل الزيت لا باستخراجه من منابعهِ. وكان اكثر البترول الوارد على بلاد الانكليز من الولايات المتحدة وروسيا وجزائر الهند الغربية. فجعل دارسي غايتهُ تأليف شركة بترول تكون انكليزيةً قلباً وقالباً

وكان من الامور المعروفة ان الاراضي المجاورة لخليج فارس تحوي بترولاً. حتى قيل ان سكان البلاد كانوا يستعملونه في قضاء حاجاتهم منذ اقدم عصور التاريخ. وقيل ايضاً ان الحمر الذي استعمل في بناء برج بابل بدل الطين هو القار المستخرج من منابع البترول . وقد جاء في هيرودوتس ان القار استعمل طيناً في بناء بابل القديمة . ويقال ان شاهات فارس وامبراطرة الارمن كانوا يستخرجون البترول في تلك الانحاء. فادَّى بهم تنافسهم عليهِ الى الحروب، فكان التاريخ يعيد نفسهُ الآن فيما يمثَّل على مسرح السياسة من اختلاف الدول التي تشتبك مصالحها في بلاد ايران واهمها استخراج البترول

وفي سنة ١٨٧٢ منح البارون يوليوس ده روتر، وهو مثرٍ متجنس بالجنسية الانكليزية، الحقَّ في بناء السكك الحديدية والتعدين في بلاد فارس. فاعترضت على ذلك حكومة روسيا، فالغيت هذه المنحة. وهذا هو السبب في تأخر الشركات عن استخراج البترول من آبار ايران الغنية

وفي اواخر القرن الماضي بدأ بعض المهتمين بشؤون البترول يحفرون آباراً منفردة في ايران

هنا وهناك، تحت اشراف البنك الامبراطوري الايراني الذي انشأهُ البارون ده روتر، ومن امتيازاتهِ النقب عن مصادر الثروة المعدنية في تلك البلاد. وكانت المصاعب في نقل ما يستخرج حينئذٍ كثيرة، فحال ذلك دون التوسع في العمل وصيرورتهِ مشروعاً تجاريًّا كبيراً

وفي سنة ١٩٠٠ ظهر المستر دارسي على مسرح البترول، وذلك حين كان عصر الفحم في ذروتهِ، والناس لا يعلمون ما للبترول من الشأن العظيم في مستقبلهم القريب. وكأنّ دارسي كان يسمع صوتاً خفيًّا من الارض يدعوهُ للبحث. فجعل يبحث عن مكان يحفر فيهِ آبار البترول. وفاوض في ذلك كثيرين من الخبراء فلم يوفق الى ضالتهِ

واتفق حينئذٍ انهُ عرف شابًّا ايرانيًّا يدعى كتابجي. فاخبرهُ هذا انهُ يعرف اماكن تكثر فيها ينابيع البترول في شمال ايران، فارسل دارسي للحال عالماً جيولوجيًّا خبيراً الى تلك البلاد للبحث العلمي. فعيَّن لهُ بقعتين يكثر فيهما البترول، احداهما الى شمال بغداد على مقربة من الحدود التركية الايرانية، والثانية في ناحية شوستر على مقربة من نهر قارون. وكانتا طرفي منطقة طولها ٣٠٠ ميل، تكثر فيها ينابيع هذا السائل الثمين

وللحال عزم المستر دارسي ان يجعل ايران ميداناً لاعمالهِ المقبلة. كما كانت استراليا ميداناً لاعمالهِ السابقة في مناجم الذهب. فحصل من شاه ايران سنة ١٩٠٠ على امتياز باستنباط البترول والغاز الطبيعي والاسفلت من كل ايران، عدا خمس ولايات في الشمال، هي ولايات اذربيجان وغيلان ومازنداران واسدرباد وخراسان. ومدة هذا الامتياز ستون سنة. ولا تزال هذه الولايات الى الآن موضع نزاع بين شركة الستندرد اويل الاميركية والانجلو برشن للاستيلاء على منابعها الغنية

وانشأ دارسي شركتهُ الاولى، واكتتب بمعظم رأسمالها. وبدأ العمل على ١٠٠ ميل الى الشمال من بغداد. فاصاب بئرين غنيتين، ولكنهُ ادرك للحال، مما لقيهُ من مصاعب النقل، ان البترول في ايران لا يستطيع تحويلهُ الى مادة تجارية قبل ان تسهل وسائل نقلهِ بانابيب خاصة، من آباره الى خليج العجم، ومنهُ ينقل بالناقلات البحرية. ذلك عمل كبير يقتضي نفقات طائلة لمد هذه الانابيب في الجبال والاودية

على ان عملهُ حوَّل ابصار شركات البترول من مختلف البلدان الى ايران. وفي مقدمتها شركات الالمان الذين كانوا قد جعلوا استعمار تركيا الاقتصادي، وبناء سكة حديد بغداد، غايتهم الكبرى. وكانوا حينئذٍ قد اشتروا امتياز سكة حديد الانافضول، يعضدهم في ذلك بنك المانيا الذي حاول ان يشتري حقوق دارسي في بلاد العجم

على ان داسي بدلاً من ان يبيعهم حقوقهُ في بلاد العجم شرع ينافسهم في الحصول على منابع الموصل وبغداد. وكان العراق حينئذٍ لا يزال من ولايات السلطنة العثمانية. فنشأ عن

ذلك نزاع بين الانكليز والالمان خاضهُ الهولنديون بعدئذٍ. وتمكن دارسي على انفرادهِ في العمل من الاحتفاظ بحقوقهِ في ايران، ومن الحصول على نصيب في شركة البترول العثمانية، فساعد الانكليز فيما بعد على السيطرة عليها

على انهُ ادرك انهُ يصعب عليهِ الاستمرار منفرداً في عملهِ، وخصوصاً بعد ما انفق نحو ٣٠٠ الف جنيه من ماله في سنتين، من غير ان يصيب سوى بئرين متوسطتي الانتاج

ولم يمض زمن طويل حتى ادركت قيادة الاسطول الانكليزية بزعامة لورد فشر ما للبترول من الشأن العظيم في الاساطيل البحرية. رأى اللورد فشر ان اكثر ينابيع البترول في روسيا واميركا وغيرها تسيطر عليها شركات غير انكليزية. وكان من الذين يعتقدون انهُ لا بد من يوم تدور فيهِ رحى الحرب بين انكلترا والمانيا، وان البترول في ذلك اليوم سيكون العامل الفاصل في احراز النصر. ولذلك حثَّ قيادة الاسطول البريطاني على السيطرة على منابع للبترول تكفي الاسطول البريطاني. تلك كانت الخطوة الاولى فيما فعلتهُ وزارة البحرية البريطانية بعدئذٍ، لما كان تشرشل وزيراً لها، من شراء نصيب كبير من اسهم شركات الزيت الانكليزية

وزادت نفقات دارسي على آباره من غير ان يصيب ربحاً يقابل تلك النفقات، حتى كاد يعجز عن القيام بها، فحاول ان يبيع امتيازه الى شركة الستندرد الاميركية. على ان قيادة الاسطول الانكليزي طلبت اليهِ ان يرجىء الاتفاق مع هذه الشركة الاجنبية، حتى تتمكن شركة انكليزية من شراء امتيازهِ، لتبقي آبار البترول الايرانية في حوزة الانكليز. فقبل الطلب، وتقدمت شركة بترول برما، فالفت شركة جديدة حلت محل شركة دارسي الاولى. وكان لورد ستراثكونا اكبر رجالها، وهو كلورد فشر يرى ضرورة سيطرة الاميرالية البريطانية على آبار من البترول يكفي بتروله لتجهيز الاسطول بكفايتهِ منهُ. ولكن تقلبات السياسة حالت دون موافقة الحكومة على هذا الرأي. فبقيت المسألة في طي السكينة ست سنوات. وبقيت الشركة الجديدة تعمل في ايران حتى اصابت سنة ١٩٠٧ في ميدان النفط بئراً بلغ من قوتها حين حفرها انها اغرقت الآلات التي حفرتها، ولا يزال البترول ينبع منها بقوة الى الآن

وتلا ذلك ان اتفقت الشركات المهتمة بآبار البترول الايرانية، فتألفت شركة جديدة دعيت شركة الانجلو پرشن، جعل اللورد ستراثكونا رئيساً لمجلس ادارتها، والمستر دارسي مديراً. وكان رأسمالها مليوني جنيه، فصار سنة ١٩٢٦ اكثر من ٣٤ مليوناً

ولا يهمنا في هذا المقام الاساس الذي بنيت عليهِ الشركة الجديدة، ولا كيف يؤلف مجلس ادارتها، بل يهمنا دخول الحكومة الانكليزية في شراء نصيب وافر من اسهمها، لأن ذلك من الامور التي لها اثر كبير في تاريخ الامم، وقلما تذكر في كتب التاريخ. فمن الخطط المقررة في الحكومة الانكليزية انها لا تشترك في الاعمال المالية اشتراك تاجر، الاَّ اذا كان

ذلك لسبب حيوي في حفظ الامبراطورية. كما فعل دزرائيلي في شراء اسهم قنال السويس. وكما فعل المستر ونستن تشرشل بعدئذٍ في شراء اسهم شركة الانجلو برشن

تقدم معنا ان اللورد فشر أثبت للحكومة البريطانية ان السيطرة على آبار من البترول، يكفي ما يستخرج منها للاسطول حين تشتبك في حرب مع المانيا، لازمة لها كل اللزوم. وكان قد مضى على هذه المسألة وهي معلقة ست سنوات لما تربع المستر تشرشل في منصب وزير البحرية الانكليزية . فادرك للحال بما اوتيهِ من الزكانة والذكاء صحة ما قال بهِ اللورد فشر، وصرَّح ان امام الاميرالية البريطانية مشكلة كبيرة يجب ان تعالجها. وهي مشكلة التلاعب في أسعار البترول، الذي تقوم بهِ بعض الشركات لاحتكار هذه المادة الحيوية . وابان انهُ يتحتم على قيادة الاسطول البريطاني الحصول على مقدار وافٍ من البترول بسعر معقول، وخصوصاً لان المستنبطات والمخترعات الحديثة في البوارج كانت متجهة نحو استعمالهِ للوقد بدل الفحم. او بكلمة واحدة ادرك واعلن ان بريطانيا ستنافس المانيا في السيطرة على آبار البترول، لان ذلك امرٌ حيويٌّ لسيادتها البحرية

وكانت شركة الانجلو برشن سائرة في عملها في ايران. توسع نطاقهُ على قدر ما تسمح لها اموالها. ثم اتضح لها ان هذه الاموال لا تكفي لتنفيذ خطة التوسع التي وضعتها. فعرضت عليها بعض الشركات الهولندية ان تمدها بالمال . ومات في تلك الاثناء اللورد ستراثكونا وانتخب السر تشارلس غرينوي رئيساً لمجلس الادارة. فخطر على بالهِ ان يحمل الحكومة الانكليزية على شراء بعض اسهم الشركة، لتثق بالحصول على مقدار الزيت اللازم لها في الاسطول، وفي مقابل ذلك تحصل الشركة على الاموال التي تساعدها على التوسع في اعمالها

ففعلت الحكومة الانكليزية ما يفعلهُ كل تاجر حذر في هذا المقام. وارسلت لجنة من الخبراء يرأسها الاميرال سلايد، ومن اعضائها السرجون «كادمن» الذي صار بعدئذٍ خبير الحكومة البريطانية في مسائل البترول في مؤتمر فرسايل . بحثت هذه اللجنة في مقدار ما يخرج من الآبار التي تحت سيطرة الشركة، وقررت انهُ اذا حسنت ادارتها وادارة غيرها مما ينتظر حفرهُ، جعلت تموين الاسطول البريطاني بالبترول في حرز حريز

فبنى المستر تشرشل حجتهُ في اقناع الحكومة على هذا التقرير. لكنهُ لقي في ذلك معارضة شديدة من الحكومة الانكليزية نفسها ، ومن اصحاب الشركات الاخرى الذين كانوا يتطلعون الى الاشتراك مع الانجلو برشن في عملها . وكانت احدى شركات البترول الكبيرة، المؤلفة من الشركة الهولندية الملكية وشركة شل، قد عرضت ان تمدَّ شركة الانجلو برشن بالمال بدلاً من الحكومة الانكليزية . وكتب الاتفاق وكاد يوقع لما اخذهُ رؤساء الانجلو برشن الى المستر

تشرشل واطلعوهُ عليهِ، وقالوا لهُ انهم اذا لم تمدّهم الحكومة الانكليزية، بالمال على سبيل القرض او الشراء لجانب من اسهم الشركة، اضطروا ان يوقعوا الاتفاق مع شركتي الدتش رويال وشركة شل، فتخرج آبار البترول من حوزة الانكليز حينئذٍ

ادرك تشرشل في الحال ما في ذلك الدليل من القوة. واقنع السر ادورد غراي وزير الخارجية حينئذٍ بتأييدهِ. ومضى جانب من سنة ١٩١٤ قبلما اقرَّ البرلمان الانكليزي قانون الاتفاق مع شركة الانجلو برشن، لشراء جانب من اسهمها، بحيث تسيطر عليها الحكومة الانكليزية. ومن غرائب الاتفاق ان ملك الانكليز وقع هذا القانون في ١٠ اغسطس سنة ١٩١٤. اي بعد انقضاء ستة ايام على دخول انكلترا في الحرب. فصح ما توقعهُ اللورد فشر بحذافيرهِ

واتسع نطاق شركة الانجلو برشن بعد الحرب. فامتدت فروعها والشركات التي اتحدت معها الى فرنسا ورومانيا وترانسلفانيا باوربا واوستراليا، وزيلندا الجديدة وبورنيو وغينيا الجديدة وكندا والمكسيك وترنداد ونوفاسكوشا ونيوفوندلند وهندوراس البريطانية وبيرو وفنزويلا ومصر وغرب افريقية وشاطيء الذهب وشرق افريقيا البرتغالي واتحاد افريقية الجنوبية. بل قيل ان لهذه الشركة الآن نصيباً كبيراً او صغيراً في كل البلدان التي فيها آبار للبترول. وتقوم باعمالها هذه بواسطة ٦٠ شركة صغيرة منضوية تحت لوائها لها اعمال في ٢٧ بلداً

بيرستد

في ما ننشره من ترجمات هؤلاء الرجال شيء من الفكاهة لكنها ليست مقصودة بالذات. وانما المقصود منها ما فيها من العبرة والحث على السعي والاجتهاد واغتنام الفرص

كيفما سرت في شوارع القاهرة رأيت اعمدة حمراء قائمة الى جانب الارصفة ارتفاع كل منها نحو مترين، وقد كتب على كل منها كلمة Shell اي «صدف» تفتح الحنفية فينصبُّ البنزين منها في خزانات السيارات على قدر معلوم. واذا وقع نظرك على صفائح البترول رأيت على الكثير منها رسم صدفة مضلعة. فالبترول الذي فيها هو بترول الصدف — شل —. ولهذا الاسم تاريخ من اغرب تواريخ الاعمال الكبيرة

حدث في اوائل القرن الماضي ان يهوديًّا اسمهُ مرقس صموئل استأجر بيتاً صغيراً في حي من افقر احياء مدينة لندن، وجعل واجهتهُ دكاناً لبيع اللعب ونحوها، ومؤخره مسكناً لعائلتهِ. وذات يوم ذهب اولاده الى شاطيء البحر للنزهة، فرأوا عليهِ كثيراً من الاصداف والحلازين المختلفة الاشكال والالوان. وكان معهم صندوق صغير فيهِ طعامهم. فلما اكلوا الطعام جمعوا

الاصداف ووضعوها في الصندوق ثم الصقوها بظاهره لما عادوا الى البيت . فرآه والدهم فسرَّ بمنظره وخطر على باله حينئذ ما لا يخطر الاَّ في بال رجل مستيقظ لاغتنام الفرص، وهو ان يجعله سبيلاً لعمل رابح . فجعل يصنع الصناديق الصغيرة ويلصق بها انواعاً مختلفة من الاصداف الجميلة ويبيعها، فراجت سوقها وجعل الناس يشترونها ويتهادون بها. ولكنهُ لم يكتف بذلك بل جعل يوزعها على الباعة في كل احياء لندن. واقترن اسمها باسمه، فألف شركة لعملها وجعل يجلب الاصداف من بحار الشرق . ثم وسع نطاق هذه التجارة واضاف اليها جلب مصنوعات اليابان التي من هذا القبيل . ولما نشأ ابنهُ مرقس صموئيل الذي صار لورداً باسم لورد بيرستد كانت اعمال شركة بيت صموئيل قد اتسعت وانتشرت في كل البلدان ، وصار لها فروع في الهند الشرقية الهولندية ، وغيرها ومعاملات مالية كبيرة مع حكومة اليابان، وصارت تتجر بالبترول تبتاعهُ وتبيعهُ . وكان كله من البترول الروسي الذي يستخرجه بيت روشيلد من باكو . لكن صاحب الترجمة لم يكتف بأن يكون شارياً وبائعاً بل تطال الى ان يكون مستخرجاً للبترول ، اي صاحب آبار يستخرج منها

وسنة ١٨٨٠ نال رجل هولندي اسمهُ منتن امتيازاً في بلاد بورنيو باستخراج البترول والفحم الحجري . وكانت تعوزه النقود فلجأ الى مرقص صموئيل هذا ، فرأى فيهِ ضالتهُ التي كان ينشدها، والف شركة هندية هولندية بمعاضدة بيت روشيلد لاستعمال هذا الامتياز، فاتسع نطاقهُ رويداً رويداً حتى شمل ٥٠٠ ميل مربع اي اكثر من ٣١٧ الف فدان، وجد فيها البترول غزيراً ووجد فيها ايضاً التيلوين ، وهو من اقوى المتفجرات التي استعملت في الحرب العالمية . وصار في طاقة مرقس صموئيل ان يناظر شركة ركفلر (ستندرد اويل كمبني) في البلدان الشرقية اذ صار في يده زمام البترول الروسي والبترول الهندي واهتمَّ حينئذ بأمر النقل لان البترول كان ينقل في البحار بالبراميل . والبرميل الذي يسع مائة اقة يبلغ ثقله ٢٥ اقة فتضاف اجرة نقله الى ثمن البترول . وخطر على بال رجل المماني ان يستعمل لنقل البترول سفينة فيها حوض كبير يملأ بترولاً ولم يسجل ذلك. فاقتبس صموئيل وشركاؤه هذا الفكر، وبنوا سفينة كبيرة لهذا الغرض سنة ١٨٩٢ وكانت اول سفينة ذات حوض للبترول مرَّت في ترعة السويس . ومن ثمَّ اكثرت شركة صموئيل من بناء السفن ذات الحياض التي تنقل البترول وانشأت لذلك شركة خاصة سنة ١٨٩٧ سمتها شركة الصدف للنقل والتجارة

وكان في تجارة البترول رجل هام اسمهُ دتردج، كان مديراً لشركة البترول الهولندية الملكية في سنقافورة. وقد ناظر شركة الستندرد الاميركية، ولكن كانت تعوزه وسائل النقل. فلما بنى مرقس صموئيل هذه السفن، اتفق معهُ على نقل بتروله من صومطرى وجاوى الى الصين وغيرها من بلدان المشرق. ومن ثمَّ اتسع نطاق شركة الصدف الهولندية الملكية، وعمَّ البلدان

الشرقية فناظرت شركة روكفلر قبلما تمكنت هذه من انشاء السفن الكثيرة لنقل بتروولها . وكانت بلاد الصين ميدان المناظرة . الاَّ ان بيت روشيلد بادر لمعاضدة دتردنج، كما عاضد مرقس صموئيل وانضمَّ اليهم اغنياء اليهود في فرنسا والمانيا، وساعدتهم الحكومة الانكليزية. فامتد عمل شركة الصدف الى اميركا فانشأت شركتين جديدتين ضمتا شركات كثيرة ، اشترتها شركة الصدف الهولندية . وقد كانت شركة الصدف هذه تملك في اميركا مؤخراً ٢٤١ الف فدان من الارض، فيها ٤١١٤ بئراً يخرج منها ٤٦٠٠٠٠٠٠ برميل من البترول في السنة، ولها هناك خمسة معامل لتكريره

والخلاصة ان امراً طفيفاً مثل الصاق الاصداف على صندوق صغير اوحي الى رجل واسع الحيلة ، فأنشأ هو ونسله عملاً من اوسع الاعمال التجارية والصناعية واوفرها ربحاً

دتردنج

سبق لنا في هذه الفصول ان ذكرنا من ملوك البترول (رُكفلر) الاميركيَّ ودارسي ولورد بيرستد الانكليزيين وسنخص هذا الفصل برجل هولندي يعرف في الاندية المالية بنبوليون البترول او روكفلر اوربا، وهو مدير شركة الدتش رويال اكبر شركة بترول في العالم . وتاريخ ارتقائهِ انما هو تاريخ اتساع أعمالها وامتداد نفوذها في كل اقطار المعمور

لما تحرَّر الهولنديون من نير الاسبان في القرن السادس عشر حاول بحارتهم ان يجدوا طريقاً بحرية الى الشرق الاقصى . فوصل احدهم كرنيليوس هوتمان الى صومطرى حيث رفع العلَم الهولندي ، وضمَّ اول قطعة ارض من تلك البلاد الى حكومة هولاندا . ومن ثمَّ اخذت مستعمرات هولاندا في الشرق الاقصى تتسع، وهي تعرف الآن بجزائر الهند الشرقية الهولندية، ومنها جاوى وجانب من بورنيو وغرب غينيا الجديدة وجزائر اخرى صغيرة . ومصادر الثروة الطبيعية في تلك الجزائر كثيرة ، الاَّ ان البترول اعظمها كلها الآن

وكان الهولنديون على اول عهدهم في مستعمراتهم الجديدة لا يعرفون ما فيها من البترول، فحوّلوا انظارهم الى زراعة التبغ والبن . وفي اواخر العقد التاسع من القرن الماضي اكتشف احد زرَّاع التبغ في صومطرى آثار البترول على مقربة من ارضهِ . فنال امتيازاً من السلطان الحاكم حينئذٍ باستخراج البترول . واقنع الحكومة الهولندية ان تمدهُ بالمهندسين ، فحفروا بئراً خرج منها ٥٠ برميلاً من البترول النقي في ثلاثة ايام ، ثم صار ينبع منها ٣٠٠ برميل في اليوم . وكانت سبل المواصلات ووسائل النقل صعبة ، فمهّد طريقاً من البئر الى اقرب مرفإ

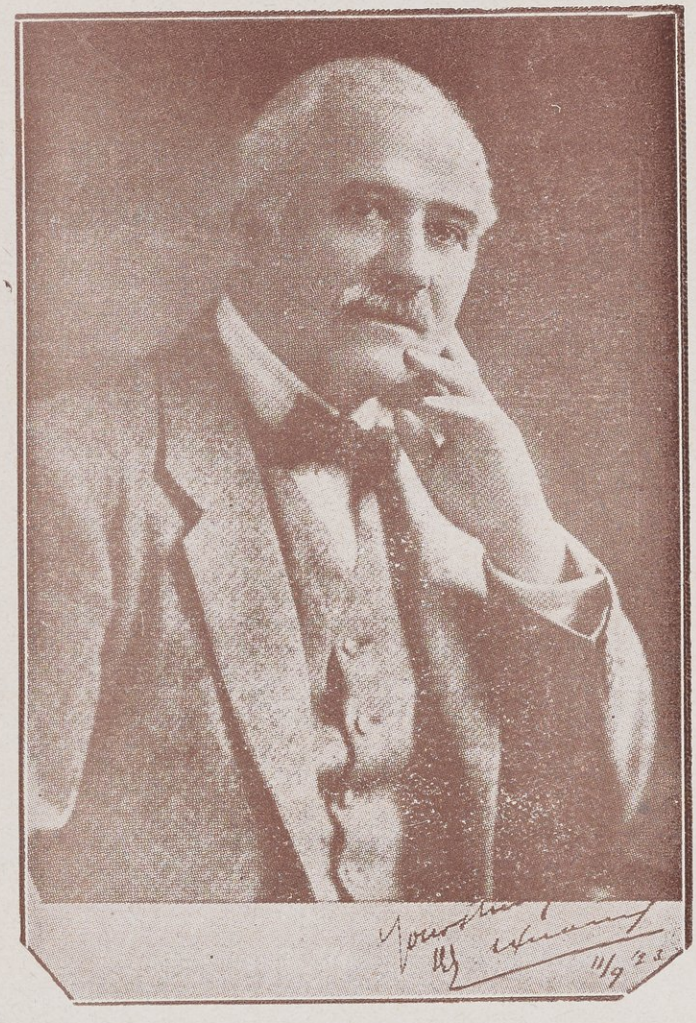

السر هنري دتردنج

(امام ص ٥٢)

لنقل البترول وكانت هذه البئر النواة التي انشئت حولها الشركة الهولندية الملكية (رويال دتش) كما سيجيء . وكان اناس آخرون قد عثروا على البترول في جاوى وبورنيو، فانشئت شركات لاستخراجهِ وتكريرهِ

واهتمت الحكومة الهولندية باستخراج البترول، فبعثت برجل الى الولايات المتحدة ليتعلم الاساليب المستعملة فيها لاستخراج البترول وتكريرهِ. ولما عاد حاول ان يقنع الحكومة بحفر الآبار على حسابها فاخفق، فجعل يشتغل لحسابهِ

ولما استهلّ القرن العشرون كان استخراج البترول في جزائر الهند الشرقية الهولندية متأخراً جدًّا عما كان عليهِ في الولايات المتحدة . لان الشركات كانت تعمل منفردة احداها عن الأخرى . ولم يحاول احد ان يوحّد العمل بينها حتى تتمكن من التوسع فيهِ

وكان في باتافيا بجاوى رجل يدعى كسلر من اصل الماني هولندي ، يمثل بيتاً من البيوتات التجارية الالمانية، استرعى نظرهُ امر البترول فبحث فيهِ ما استطاع، وعرف ان لهُ مستقبلاً عظيماً في التجارة والسياسة، فذهب الى لاهاي عاصمة هولندا سنة ١٨٩٠، وانشأ فيها شركة دعاها الشركة الهولندية الملكية لاستخراج البترول من آبار الهند الشرقية. وجعل رأسماله الاساسي نحو مائة الف جنيه . فاشترت هذه الشركة امتياز زلكن في صومطرى بثلاثين الف جنيه. فكانت صفقتها هذه بدء سلسلة من صفقات مالية تمّ اكثرها على يد دتردنج، جعلتها الآن اكبر شركة بترول في العالم ينضوي تحت لوائها ١٢٥ شركة رأسمالها معاً مائتا مليون جنيه

جُعل كسلر مديراً للشركة الجديدة. وبدأ للحال ينفذ خطتهُ التي تتلخص في كلمة «الضم». يراد بذلك ضمّ كل شركات البترول التي تعمل في جزائر الهند الشرقية ، حتى يوحّد العمل ويتوسع فيهِ

وكانت السنتان الاوليان من حياة الشركة الهولندية الملكية كثيرتي المصاعب. لان جانباً كبيراً من رأس المال انفق على مدّ الانابيب لنقل البترول وانشاء محطات التكرير . ولكن كسلر رأى ان المجال امامهُ متسع جدًّا. فلم تقعدهُ المصاعب عن المضي في عملهِ

كذلك كانت الحال في شركة الدتش رويال لما انضم اليها دتردنج . ذلك ان كسلر اخذ يبحث عن رجل همام يشترك معهُ في العمل، فقال لهُ احد معارفهِ ان في باتافيا في بلدة بينانغ شاباً يدعى دتردنج وهو ذكي همام لهُ مستقبل باهر يجب ان تتعرّف بهِ

فارسل يستدعيهِ ووجد انهُ كان مساعداً لمدير شركة تجارية هولاندية . ومن غرائب الاتفاق ان دتردنج كان قد اهتمّ بالبترول واخذ يدرس دقائقهُ. والسبب الذي حملهُ على الاهتمام بهِ انهُ كان يبيع مصابيح البترول في صباهُ ، وكان يعتقد ككسلر ان البترول اعظم ما تدور عليهِ التجارة في الشرق الاقصى . فاتفق مع كسلر على ان يشتغل معهُ ناظراً في قسم المبيع. وكان

ذلك سنة ١٨٩٢ . وللحال ظهرت مقدرتهُ فكأن الطبيعة كانت تسوق اليهِ التوفيق في جميع افعاله. ولم ينقض زمن طويل عليهِ حتى صار في مقدمة المديرين في قسم البيع . وفي سنة ١٨٩٦ طُلب اليهِ ان يتولى ادارة قسم المبيع في سنقافورة فبدأ في منصبهِ هذا المناظرة القوية مع الشركات المزاحمة لهُ في استخراج البترول وبيعهِ في الشرق الاقصى. واعظمها حينئذٍ شركة الستندرد اويل الاميركية التي مرَّ ذكرها حين الكلام على ركفلر وبترول شل . وكانت هذه الشركة لا تزال في اوج قوتها ونفوذها في اميركا وخارجها، ولها متاجر واسعة في الشرق الأقصى وخصوصاً في الصين . ذلك ان الصينيين كانوا يستعملون للانارة مصباحاً مؤلفاً من فتيلة مغموسة في زيت السمك او زيت غيره، فجاء رجال الستندرد اويل ووزعوا على سكان الصين الوفاً من مصابيح البترول باثمان بخسة، لكي يمهدوا الطريق لبيع البترول، ولذلك دعيت شركة الستندرد اويل « نوراسيا » وصارت كلمة « ماي فوي » وهي اسم هذه الشركة بالصينية من الكلمات المألوفة عند كل صيني، حتى انهُ لما قبض بعض قطاع الطريق من الصينيين على سيدة اميركية من اقرباء ركفلر جعلت هذه تصيح «ماي فوي» وهي العبارة الصينية الوحيدة التي تعرفها فاطلق سراحها . ذلك كان مقام الستندرد اويل في الصين حينما عزم دتردنج ان يناظرها هناك . لكن شركة الستندرد كانت قديمة العهد بالعمل ولها نظام دقيق وخطة محكمة تجري عليهما، فكان من الصعب على دتردنج مناظرتها لولا انهُ رأى ما تتحمله من المشاق في نقل البترول الذي تبيعهُ في الصين من اميركا. وهو على الضد من ذلك كانت منابع البترول الذي في حوزتهِ اقرب الى الصين من بنسلفانيا او كليفورنيا . وكانت تعوزهُ وسائل النقل اللازمة فاتفق مع لورد بيرستد مدير شركة « شل » على نقل بترولهِ من صومطرى وجاوى الى الصين وغيرها من بلدان الشرق

وكانت شركة شل تبيع بترول آل روتشيلد الروسي في الشرق الاقصى . فادرك دتردنج ان الشركة التي يستعمل ناقلاتها لنقله بترولهِ هي من مزاحميهِ في المبيع ، فرأى فائدة الاتحاد فأنشئت شركة جديدة تدعى شركة البترول الاسيوية في ٢٩ يونيو سنة ١٩٠٣ . لتتولى بيع البترول في الشرق الاقصى ، وقسمت اسهمها الى ثلاثة اقسام متساوية . نالت شركة دتش رويال احدها، وشركة شل القسم الثاني، وشركة روتشيلد القسم الثالث . فساعد هذا الاتفاق دتردنج على تجديد المناظرة مع شركة الستندرد اويل ، لان اتفاقهُ هذا اضاف قوة الى قوتهِ. فصار في امكانهِ ان يعتمد على معاضدة بيت روتشيلد المالية ونفوذ الحكومة الانكليزية المعنوي . ولم تمضِ سنة على الاتحاد الجديد حتى ظهر نفوذهُ القوي، وصار بترول الدتش شل يباع في جنوب افريقية وشرقها وفي استراليا وزيلندا الجديدة واليابان والفيليبين

على ان دتردنج كان يرمي الى ما هو أبعد من ذلك . رأى ان اتحاد هذه الشركات على

المنوال المتقدم ازال كل مناظرة بينها في بيع البترول، ولكنهُ لم يزل المزاحمة بينها في انتاجهِ. لذلك اراد ان يوحد بين هذه الشركات في الانتاج والتوزيع . فانشأ شركتين تسيطران على اعمال الشركات المتحدة، احداها هولندية دعيت شركة بترول بتافيا، وحصر عملها في استخراج البترول وما يتركب منهُ . والثانية انكليزية دعيت شركة البترول الانجلو سكسونية وعهد اليها في نقل البترول وخزنهِ وتوزيعهِ . وجعل رأس مال هاتين الشركتين ٢١ مليون جنيه وجعلت السيطرة لشركة الرويال دتش . وقد جرى دتردنج في عملهِ هذا على الخطة التي جرى عليها مديرو شركة الستندرد اويل الأميركية . وغايتهُ السيطرة على تجارة البترول خارج الولايات المتحدة

ومن الغريب ان لاتحاد شركة الرويال دتش والشل منابع بترول في الولايات المتحدة ، يستخرج منها ٧٠ الف برميل يوميًّا . وهكذا تمَّ لدتردنج ان ينشىء هذه السلسلة المحكمة من شركات البترول التي تستخرجهُ وتكررهُ وتنقلهُ وتوزعهُ على احدث الاساليب واحكمها . وقد امتدَّ نفوذها الى كل البلدان التي فيها منابع بترول الاَّ بلاد فارس حيث تسيطر شركة الانجلو برشن ، تعضدها في ذلك الحكومة الانكليزية، التي اشترت جانباً من اسهمها سنة ١٩١٤ لتضمن مقداراً كافياً من البترول لتموين بوارجها

هذا وقد نال دتردنج لقب سر من الحكومة الانكليزية، مع انهُ لايزال محتفظاً بجنسيتهِ الهولندية ، ومكتبهُ الآن في لندن يدير منهُ هذه الاعمال المالية العظيمة

قابلهُ حديثاً احد مكاتبي الصحف فسألهُ : هل غايتهُ السيطرة على تجارة البترول في العالم حتى لا تمخر سفينة عباب البحر الاَّ وتشتري جانباً من بتروله منهُ ؟ . فقال « نحن نتجر بالبترول ومن الطبيعي اننا نريد التوسع في تجارتنا الى اقصى حدٍ مستطاع . فالاراضي التي يستخرج منها البترول في جزائر الهند الشرقية تقل رويداً رويداً وليس عندنا اراضٍ بترول غيرها هناك . لذلك نستعمل اموالنا ومعداتنا ونظامنا المحكم في اماكن اخرى، وعلماء الجيولوجيا الذين في خدمتنا يطوفون الارض للبحث عن اراضٍ فيها بترول . فاذا اريد بهذا السيطرة فانها غايتنا »

روتشيلد

تقدَّر ثروة بيت روتشيلد سنة ١٩١١ في انكلترا وفرنسا والمانيا والنمسا باربع مئة مليون جنيه . اي لو شاء لاشترى القطر المصري كلهُ اطيانهُ وبيوتهُ وكل ما فيهِ . واذا فرضنا ان ربحهُ يساوي اربعة في المائة فقط بلغ دخلهُ السنوي ١٦ مليوناً من الجنيهات، اي قدر « ايرادات » الحكومة المصرية سنة ١٩١١ . ولا يدانيهِ في الثروة الاَّ بيت هرش ، وتبلغ ثروتهُ نحو مئة مليون جنيه . اما بيوت بت وبرناتو ووذمر وفردلند فتبلغ ثروتها كلها نحو مائتي مليون جنيه، وكلها من بيوت الاسرائيليين . ويليها بيوت كثيرة مثل بيت ساسون روتشيلد الشرق ، وبيت سترن وبيت غولد سمد ومنتفيوري وكاسل، وغيرهم من بيوت الاسرائيليين ، اصحاب الثروة الواسعة. فهل يصدق فيهم قول موسى الكليم انهم سيرجعون (الى فلسطين) بغنى الامم ؟

وبيت روتشيلد يشتغل بكل ما منهُ ربح ، كالمناجم والمعامل وسكك الحديد . فله معامل قطن في لنكشير، ومعامل حديد في شفيلد ، ومزارع في جاميكا ، وحراج في البرازيل وسيبيريا، ومحايك في الهند وفارس، ومناجم في اسبانيا وافريقية، ومخازن في كل عواصم اوربا . ولهُ مدن بكاملها في النمسا، واملاك في كل المدن الكبيرة . هذا فوق مالهُ من الديون على كثير من الممالك

ومما لا يخلو البحث فيهِ من فائدة هو كيف اجتمعت هذه الثروة الطائلة ، وكيف حفظت حتى الآن ، وما هو المستقبل الذي يقدَّر لها ؟ .

اما جمعها فكان اولهُ بالمضاربة المقرونة بالتعقُّل والروية ، فان مبدأ الثروة كان في ناثان مير روتشيلد . وقد دلَّهُ عقلهُ على ان الفوز سيكون على بونابرت لا لهُ . فاشترى السندات التي اصدرها دوق ولنتون وقتما كانت الحكومة الانكليزية عاجزة عن ايفائها، واقرض الحكومة وحلفاءها الاموال لمحاربة بونابرت. واشترى كثيراً من اوراقها بثمن بخس، فعرّض ثروتهُ كلها للضياع لو فاز نبوليون . ولا شبهة في انهُ هو واخوتهُ وسائر المتولين ادارة بيت روتشيلد ضاربوا مراراً كثيرة. وقد خسروا خسائر فاحشة بالثورة الفرنسوية سنة ١٨٤٨، ولكن ربحهم كان دائماً اكثر من خسارتهم . لان العقل رائدهم، ولانهم اقدموا على المضاربة كتجار لا كمضاربين . ولما مات ناثان مير سنة ١٨٣٦ قدرت ثروتهُ بثمانية عشر مليوناً من الجنيهات

ولما كان ناثان رئيس البيت الانكليزي كان اخوهُ جمس في باريس رئيس البيت الفرنسوي. وهو اول من بنى سكك الحديد في فرنسا . وقد جمع ثروتهُ من ذلك ومن المتاجرة مع اميركا بالتبغ والقطن . وكانت سفن بيت رتشيلد تحمل البضائع من اميركا واليها ، لانهم كانوا وسطاء

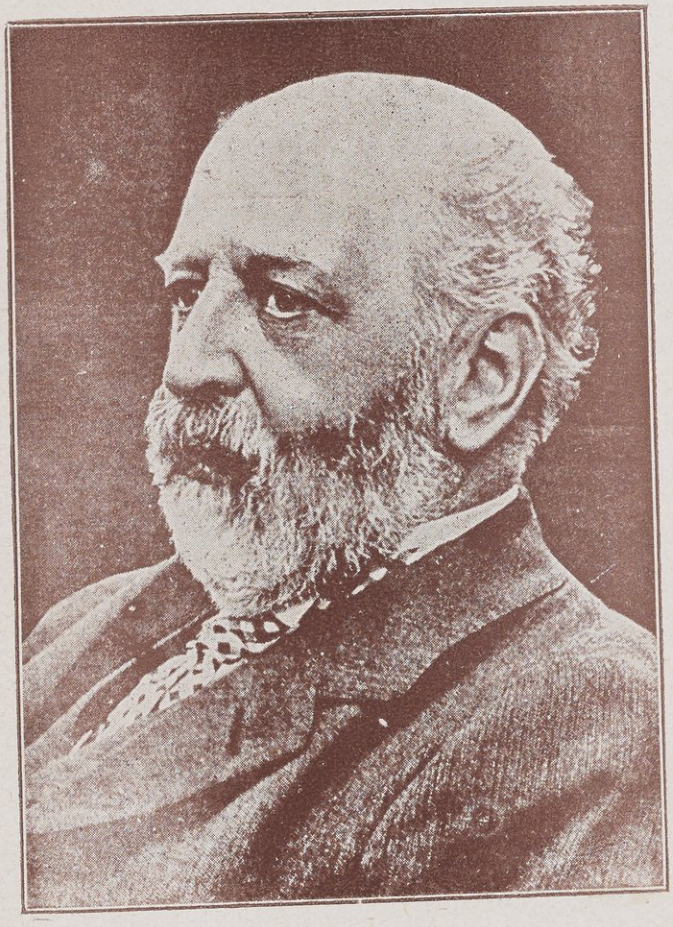

لورد روتشلد

(امام ص ٥٦)

بين الزارع والصانع، فقبضوا على تجارة الصادر والوارد، فلما بطلت الوساطة وصار الصانع يشتري المواد من الزارع مباشرة، ضعف شأن هذه التجارة وقل ربحها، الى ان زالت فتركوها، واخذوا بدلاً منها اسهماً وسندات في كثير من الشركات الاميركية، ولاسيما شركات سكك الحديد. وكان عندهم من الاسهم والسندات الاميركية سنة ١٩١١ ما يساوي عشرين مليون جنيه. ولهم عدا ذلك اراضٍ في المدن الاميركية ولاسيما في نيويورك، وقد جمعوا ايضاً ثروة طائلة بالسمسرة في عقد القروض الدولية. فان ليونل بن ناثان عقد ١٨ قرضاً دولياً مجموعها اكثر من مئتي مليون جنيه. فاذا فرضنا انهُ لم يكسب منها الاَّ السمسرة القانونية وهي ٢ ½ في المئة فربحهُ منها خمسة ملايين من الجنيهات. ولكن الادلة متوفرة على ان ربحهُ منها كان اكثر من ذلك كثيراً في بعض الاحيان ولا يبعد ان يكون قد ربح منها عشرة ملايين او اكثر. وهو الذي أقرض الحكومة الانكليزية اربعة ملايين من الجنيهات لتشتري اسهم ترعة السويس من اسمعيل باشا واخذ عليها فائدة وسمسرة

وظل بيت روتشيلد يعقد القروض للدول الى ان كانت سنة ١٨٤٨ حين خرجت فرنسا من ثورتها الاخيرة، وكان على حكومتها ان تعقد قرضاً كبيراً جدًّا لتوفي ديونها السائرة، وتقوم بنفقاتها. وكان مرادها ان تفوض عقدهُ لبيت روتشيلد وبيت برير. لكن خطر على بالها ان تقترض الاموال من الشعب الفرنسوي نفسهِ من غير وساطة احد. فاجاب الشعب طلبها. وكان ذلك مدعاة لربح الشعب الفرنسوي ولاعتماده على الاقتصاد حتى صار اغنى شعوب الارض. وقد اصبح دين الحكومة الفرنسوية (سنة ١٩١١) ١٣١٤ مليون جنيه. واقساطهُ السنوية ٥١ مليون جنيه من فائدة واستهلاك. وكل هذه الاموال تعود الى الشعب الفرنسوي. ولكن فرنسا عادت فرأت حاجتها الشديدة الى بيت روتشيلد في حربها مع المانيا. فقد كان فيها حينئذٍ رئيس بيت روتشيلد الفونس بن جمس المار ذكرهُ، وكان مثل عمهِ ناثان في سرعة الخاطر واقتحام المخاطر. الاَّ انهُ كان عرضة للوعيد والتهديد

قيل زارهُ الشاعر هنرك هين ذات يوم فرآهُ جالساً عابساً والغيظ يتدفق من وجههِ. فقال لهُ امريض انت ؟. فقال لست مريضاً ولكني مجنون. فقال هين لا اصدق انك مجنون حتى اراك ترمي اموالك من هذه الكوة. فقال الفونس اني مجنون لاني لا ارمي اموالي. قال ذلك واراهُ كتاباً من كُتب الوعيد والتهديد التي كانت ترد عليهِ

ولما احتاجت فرنسا اليهِ على اثر حربها مع المانيا ائتمنتهُ على دفع الغرامة الحربية عنها. وهي خمسة آلاف مليون فرنك. فاضطرت اسرة روتشيلد كلها لان تشتغل في تدبير هذا المال الطائل، وبقي هو وكتَّابهُ يشتغلون اشهراً متوالية نهاراً وليلاً

هذا من حيث جمع الثروة. اما الاحتفاظ بها، وهو في الغالب اصعب من جمعها، فاستخدموا لهُ واسطتين. الاولى: ان يتزوجوا بعضهم من بعض حتى لا يذهب شيءٌ من ثروتهم الى غيرهم، والذي لا يجد زوجة لهُ من بنات اعمامهِ يبقى عزباً. ولم يخالفوا هذه القاعدة الاَّ حيث كانت لهم فائدة كبيرة من مخالفتها، كما في تزويج ابنة غستاف روتشيلد من لورد روزبري وهو من كبار الوزراء

والواسطة الثانية: تربية اولادهم وتدريبهم على اعمالهم، حتى اذا مات الواحد منهم او انقطع عن العمل لسبب من الاسباب وجد من اولاده من يقوم مقامهُ، فيستمر عمل البيت جارياً مجراهُ. وكانوا كلهم اهل عمل وجدٍّ، اما الآن وقد كثرت ثروتهم جدًّا، وانتظمت احوال الممالك والشركات، حتى صارت الثروة تحفظ نفسها اذا كانت قروضاً للدول وسندات على الشركات فعادت الحال لا تدعو الى الاهتمام الشديد بحفظ المال. واذا كان دخل ثروتهم ١٦ مليون جنيه في السنة على اقل تقدير، وانفقوا منها اربعة ملايين جنيه في السنة، بقيت الثروة تزداد ازدياداً يفوق كل ما يحتمل ان يقع بها من الخسارة. ولذلك انقطع بعضهم الى الاشتغال بالعلم والادب، او الى الاكتفاء بغرس الحدائق وتربية الحيوانات، ونحو ذلك من وسائل التسلية

ولبيت روتشيلد مقام اجتماعي رفيع في اوربا كلها، فهم من اشراف النمسا، وليونل بن ناثان روتشيلد اقنع الحكومة الانكليزية بالغاء الموانع التي تمنعها من توظيف اليهود. وانتخب عضواً لمجلس النواب الانكليزي. ولما طُلب منهُ ان يتلو القسم المعتاد أبى، لانهُ مخالف لمعتقده، واضطرَّ ان يعتزل. فانتُخب ثانية وثالثة، واخيراً رأت الحكومة ان تغير صورة القسم، لكي لا تحرم البلاد خدمة امثاله. فجعل عضواً في مجلس النواب، وابيح لليهود ان ينتخبوا لعضوية ذلك المجلس. وزاد على ذلك انهُ فتح قصره في ضواحي لندن للولائم والحفلات. وعاونهُ على ذلك اخواهُ انثوني ومير، وهما اول من زهد في جمع المال من بيت روتشيلد. فعكفا على تربية الجياد فاحرزت خيولهما قصب السبق في اعظم ميادين الانكليز

وتوفي ليونل سنة ١٨٧٩ وخلفهُ ابنهُ نثنائيل. ورقي الى مصاف اشراف الانكليز سنة ١٨٨٥. وصار بعد ذاك لورد روتشيلد رئيس هذا البيت

وبينما كان ليونل في انكلترا يقرع ابواب مجلس النواب كان جمس في فرنسا ينشيء سكك الحديد، وانسلم في فرنكفورت بالمانيا، وكارل في نابلي بايطاليا، وسليمان في فينا بالنمسا، وكلٌّ منهم ساعٍ في انماء ثروة هذا البيت وتعظيم سطوتهِ. وكانت الرئاسة الكبرى لليونل في انكلترا، فلما توفي خلفهُ الفونس في فرنسا. فلما توفي خلفهُ البرت في فينا. لكن مدة رئاسة البرت لم تطل، لان احد ابنائهِ واسمهُ اسكار ساح في اميركا، واحبَّ ابنة المانية المولد وخطبها، ولما عاد اخبر اباهُ بذلك. ويقال ان رجلاً عدوًّا لهُ ارسل صورة الابنة الى ابيهِ وهي بثياب الممثلات. وكانت قد لبستها في تمثيل رواية بيتية. فقال لهُ ابوهُ ان ابن روتشيلد لا يمكن ان يقترن بممثلة. فحاول

ان يقنع اباهُ ان هذا اللبس لبستهُ في تمثيل رواية بيتية . لكن ابوهُ اصرَّ على قولهِ وبلغ الخبر الابنة . فقضي عليها من الغم . وبلغ الشاب ذلك فدخل غرفتهُ وانتحر . وكان ذلك في خريف سنة ١٩١٠ فاستولى الغم على ابيهِ الى ان انصدع فؤادهُ ، وتوفى في ١٠ فبراير سنة ١٩١١ فانتقلت رئاسة البيت الى لورد روتشيلد . والرئاسة في بيت روتشيلد مبنية على الكفاءة والأقدمية

قلنا ان رئيس بيت روتشيلد سنة ١٩١١ هو لورد روتشيلد في لندن . ولذلك فمركز أعمال هذا البيت هناك . ومقر أعمالهم في المدينة (الستي) التي هي مقر عالم الاموال . وهو بناءٌ ساذج في شارع ضيق . لا يدلُّ ظاهرهُ على شيءٍ من عظمتهِ . لكنهُ كعبة ملوك الأرض يرسلون اليهِ سفراءهم لعقد القروض واستدانة الاموال . هناك اقام ناثان مير رتشيلد مؤسس هذا البيت ولا يزال اسمهُ على بابهِ N. M. Rothschild & Sons

والظاهر ان بيوتات الانكليز القديمة تتباهى بهذه البساطة . فترى البيت الذي امواله تحسب بالملايين ادارتهُ في بناءٍ ساذج بعيد عن الشوارع العمومية وعن كل مظاهر الابهة والمجد . مثال ذلك بيت بيرنج ، وهو من البنوك الكبيرة ، لا يكاد الانسان يرى صفيحة النحاس التي فيها اسم المحل عند بابهِ الخارجي

اذا دخلت بنك روتشيلد تمرُّ اولاً بساحة كبيرة وغرف فيها الكتبة ، الى ان تصل الى غرفة عالية السقف فيها ثلاث موائد او مكاتب ، وراء الوسطى منها التي امام الباب رجل ربعة قصير اللحية شائبها حاد البصر . هو لورد رتشيلد . تكلمهُ فيجيبك بمسائل يطرحها عليك الواحدة بعد الاخرى . حتى يأخذ منك اكثر مما يعطيك . ولكن لا يراهُ ولا يكلمهُ الاَّ من لهُ معهُ شغل هام . وهو اول لورد اسرائيلي دخل مجلس الاعيان ، وكان قبل دخولهِ مجلس الاعيان نائباً حرًّا في مجلس النواب عشرين سنة

وامام المكتب الثاني ليوبلد رتشيلد اخو لورد رتشيلد . وهو انيس المحضر ، مغرم بتربية الخيل ، وزوجتهُ ابنة اشيل برجيا احد اغنياء النمسا . وامام المكتب الثالث اخوه الثالث الفرد رتشيلد . وهو من رجال العلم لا من رجال المال . لكن عندهُ من المال ما يغني نصف رجال العلم

والاخوة الثلاثة شيوخ فان اصغرهم وهو ليو بلد ولد سنة ١٨٤٥ ويقال ان الذي يخلفهم في انكلترا هو نثنائيل تشارلس الابن الثاني من اولاد لورد روتشيلد وهو من رجال المال ، ومن رجال العلم ايضاً ، ولهُ مقالات عديدة في الحشرات . واخوهُ الاكبر لا يهتم الاَّ بالامور العلمية ، ولاسيما علم الحيوان ، وقد الَّف كتباً في هذا الموضوع

فاذا كان اولاد هذا البيت كلهم او اكثرهم ينقطعون للمباحث العلمية ، ويخدمون العلم بمالهم ، ويجرون في انفاقهِ على سنة العلماء اي لا ينفقون منهُ جزافاً ، بقيت ثروة البيت الى ما شاء الله . واستفاد نوع الانسان منهُ فوائد لا تقدَّر . وهذا أحسن مستقبل نتمناهُ لهُ

مورغان

بيربنت مورغان معروف عند كثيرين من سكان هذه العاصمة ، لا سيما وانهُ اقام فيها شتاء سنة ١٩١٣ قبل ان ذهب الى رومية حيث وافتهُ منيته ظهر الحادي والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩١٣. وقد ترجمناه في المقتطف سنة ١٩٠٢ وقلنا فيهِ ما يأتي

«هو رجل رزين قليل الكلام . يجلس في مكتبه حيث يدير اشغاله الكثيرة مفصولاً عن الكتَّاب الذين في خدمته بفواصل من الزجاج حتى يراهم ويروه، واذا دخل عليهِ وزير قابله كما يقابل جمهور السماسرة والتجار سواء بسواء . يختار في حديثه الكلمات الوجيزة اللفظ الكبيرة المعنى مثل كلمة نعم وكلمة لا ، ويلفظ الكلمة منها نبراً لفظ رجل بات الحكم غير متردد . ولا تبلغ ثروتهُ الآن ثروة ركفلر، ولا ثروة كارنجي، ولكنهُ اقدر منهما على ادارة الاعمال وسلطتهُ اعظم من سلطتهما . وقد اثريا اكثر منهُ لان جانباً كبيراً من ثروتهما اتاهما عفواً بنمو البلاد وازدياد الطلب على البترول والحديد . وأما هو فأنمى ثروتهُ بجده وحسن نظره في العواقب

«كان ابوه صانعاً عند فلاح، ثم صار كاتباً عند بائع منسوجات، وبقي كذلك الى ان صار عمره ٣٨ سنة . وخطر له حينئذ ان يشتغل مستقلاً ففتح بنكاً صغيراً في مدينة بوستن ، واشتهر باجتهاده واستقامتهِ فاتسعت ، اشغاله رويداً رويداً ، وصار من اعرف الناس بالاسواق المالية في الدنيا كلها . فوثق بهِ معاملوه ثقة تامة ، لانهُ كان يخلص النصح لهم ولا يدعهم يضاربون مضاربات تعود بالخسارة عليهم . واقتصر على مايسمى باشغال البنك القانونية . وزادت اشغاله بازدياد ثقة الناس بهِ حتى صار له المقام الاول بين الماليين . فزار بلاد الانكليز، وكانت شهرته قد سبقتهُ اليها، وتعرف فيها بالمستر بيبدي المشهور بغناه ومبراته، فقدره بيبدي قدره وعرض عليهِ ان يشاركه في اعماله المالية ، فزادت تلك الاعمال نجاحاً ، وجرى على اسلوب الانكليز في استثمار المال، وبذل جهده في حمل الانكليز على الثقة بالبيوت المالية الاميركية، فزادت الثقة بين نيويورك ولندن، ورسخت على قواعد متينة ، فكثرت بسببها المعاملات المالية . ولما عاد الى نيويورك سنة ١٨٧٧ قوبل باحتفال عظيم، وأولم له كبار الاغنياء وليمة فاخرة اعترافاً بفضله عليهم. ويقال ان ثروة الذين حضروا تلك الوليمة كانت نحو مئتي مليون جنيه

« ونشأ المستر مورغان صاحب الترجمة في كنف ابيه، وتدرب عنده على المعاملات المالية. وتوفي ابوه سنة ١٨٩٠، فاستقل بادارة اعماله ووسع نطاقها بهمته، واشتهر باصالة الرأي والحزم في الاعمال . قيل جاءه رجل يملك منجماً كبيراً من الفحم الحجري وقد صمم على بيع المنجم له بأغلى ثمن ، لانهُ كان في حاجة شديدة اليهِ . وجعل يحدث نفسه بما يقوله وما يجيبه المستر مورغان بهِ حتى لم يبق عنده ريب في ان البيع يكون صفقة رابحة جدًّا له . فدخل مكتب

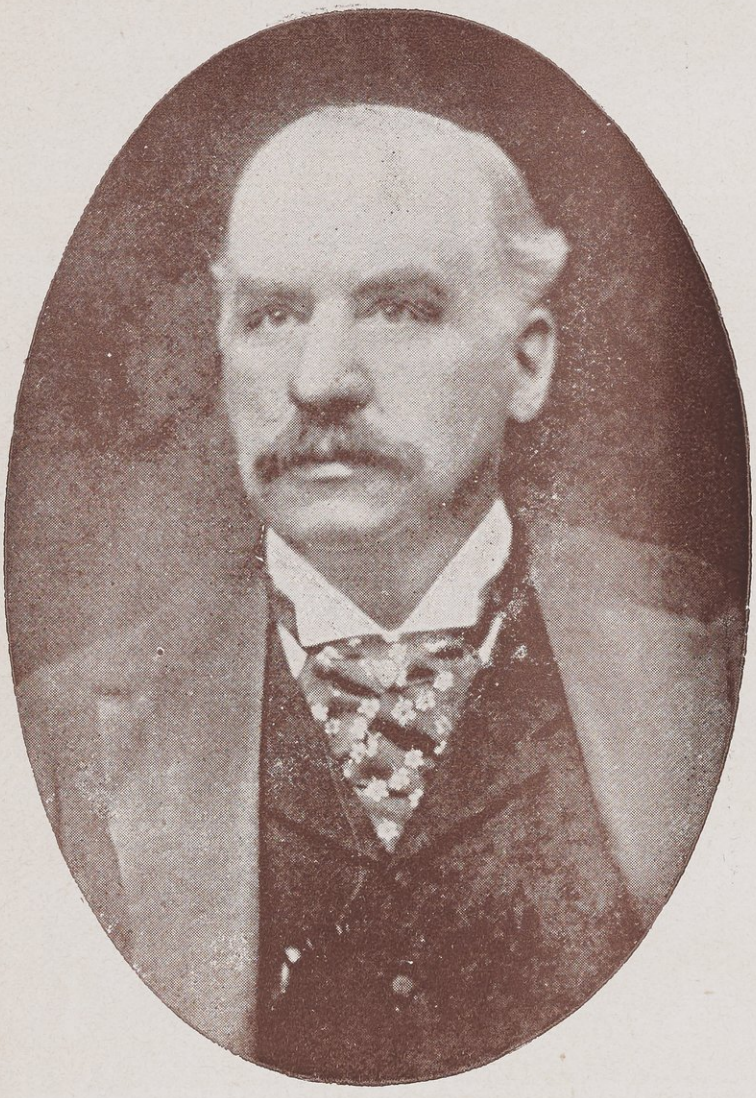

بيربنت مورغان

(امام ص ٦٠)

المستر مورغان واخبر الكتبة باسمه وجلس ينتظر الى ان عيل صبره . وأخيراً خرج مورغان اليه وقال انني ادفع في المنجم كذا وكذا من الريالات فان كنت تقبل فامضِ صك البيع . قال ذلك وعاد الى مكتبهِ فأمضى الرجل البيع ولم يفه بكلمة

« وقال احد السماسرة جئته يوماً لاقترض منهُ مليوناً من الريالات على ضمان . ولم اكن اعرفه ولا كان يعرفني ، فتفرَّس في وجهي لحظة من الزمان ثم نظر الى الورقة التي كتبت فيها اسماء الضمانات وقال «نعم» واشار الى احد شركائهِ ليدفع اليَّ المال المطلوب . فأمضى في ربع دقيقة عملاً ماليًّا كبيراً قد لا تستطيع دولة كبيرة ان تمضيه في اسبوع

« واكبر الاعمال المالية التي اشتهر بها ضم الشركات بعضها الى بعض، حتى تزول المناظرة من بينها وتقل نفقاتها وتزيد ارباحها . من ذلك ضم ثمان من شركات الفولاذ (الصلب) وجعلها شركة واحدة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه. واهم هذه الشركات شركة كارنجي، وكان لكارنجي في شركته ٨٥٠٠٠ سهم يساوي السهم منها ٣٠٠ جنيه فجملة ما يمتلكه فيها ٢٥ مليوناً ونصف مليون من الجنيهات . فاتفق معهُ اولاً على بيع اسهمهِ للشركة العمومية واخذ اسهم جديدة بدلاً منها تساوي اربعين مليوناً من الجنيهات، وريعها السنوي اكثر من ثلاثة ملايين من الجنيهات . ولما تم له ذلك لم يتعذر عليهِ ان يبدل اسهم بقية المساهمين في الشركات السبع الاخرى بأسهم جديدة من الشركة العامة . وكان رأس مال هذه الشركات السبع ١١٢ مليون جنيه . فجعل اسهم الشركة الجديدة ٢٢٩ مليون جنيه . وكان هذا الرفع حقيقيًّا لا وهميًّا . لان ارباحها زادت مليونين ونصف مليون من الجنيهات بزوال المناظرة وبتقليل نفقات الادارة كما سيجيء . وغني عن البيان انهُ تناول اجرتهُ من هذا العمل الكبير، ولم نقف على مقدارها. ولكنها لا تقل عن بضعة ملايين من الجنيهات. ذلك كلهُ وهو لا يعرف شيئاً عن الفولاذ

وقد تدرج الى هذا العمل العظيم، وهو تأليف شركة رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه، بعمل آخر يقاربه في عظمته ، وهو ضم خمس شركات من شركات سكك الحديد التي في الجهات الشمالية الشرقية من اميركا ، رأس مالها مئة مليون جنيه . فانهُ ابتاعها الواحدة بعد الاخرى ووحَّدها ووفَّر ارباحها بتقليل نفقاتها . ثم ضم الشركات التي في الجهات الجنوبية وبعض الشركات التي في الجهات الغربية. فصار المتصرف المطلق في اجرة النقل وثمن الفحم الحجرى. وبلغ ربحه من ذلك كله ما اشرنا اليه قبلاً . ذلك انهُ ورث عن ابيه مليونين من الجنيهات فصيرها ثلاثين مليوناً في بضع سنوات . ولم تكفهِ اميركا بل قصد انكلترا ، وابتاع بواخر بعض الشركات التجارية . لكي لا يبقى الاميركيون معتمدين على الانكليز في نقل بضائعهم

« وهو من كبار المحسنين دفع ٣٠٠ الف جنيه لبناء مستشفى الولادة في نيويورك. و٢٠٠ الف جنيه لدار البحث البيولوجي في جامعة هارفورد و ١٠٠ الف جنيه لانشاء مدرسة للتجارة

في نيويورك . وستين الف جنيه لبناء دار الاسقفية فيها ، وخمسة آلاف جنيه لانارة كنيسة مار بولس في لندن بالنور الكهربائي

« ولهُ ولع شديد بجمع التحف ابتاع صورة من تصوير غاينسبر المصور الانكليزي بثلاثين الف جنيه وهي المعروفة بصورة « دوقة ديفنشير » وابتاع صورة اخرى من تصوير رفائيل بنحو مئة الف جنيه . وهو اعظم ما دفع ثمن صورة واحدة في ما نعلم . وكلما اتى الى اوربا ذهب الى فرنسا واقام اياماً في نورمندي يزور الفلاحين في بيوتهم ، ويبتاع منهم اشياء صغيرة باثمان باهظة . يرى لوحاً منقوشاً عند امرأة فلاّحة فيقول لها بكم تبيعين هذا اللوح؟ فتقول ليس للبيع . فيقول لها كم يساوي؟ فتقول لا يساوي شيئاً . فيقول ولكني اريد ان اشتريهُ . فتقول لهُ لقد اخبرتك يا موسيو انهُ ليس للبيع فيضحك . ويقول لها هذه الف فرنك فهل تعطينيهِ بها ؟ فتأخذها وهي لا تصدق ما ترى بعينيها » انتهى . ويقال ان التحف التي جمعها من صور وبسط وادوات ذهبية وفضية وما اشبه تساوي عشرين مليوناً من الجنيهات

ولا يعلم مقدار ثروتهِ تماماً . فالذين يبالغون فيها يوصلونها الى اربعين مليوناً من الجنيهات . والذين يبخسونها يحطونها الى عشرة ملايين . ولكن ان اختلف المقدرون في تقديرها فهم لا يختلفون في ان اصحاب الف ومئتي مليون من الجنيهات وضعوا اموالهم كلها في يده ، ليتولى ادارتها . فهو من هذا القبيل اقدر مالي قام في الدنيا حتى الآن

لما حدث الضيق المالي سنة ١٩٠٧ واشتدّ في نيويورك حتى هدّد البلاد بخراب عام ، جعل الذين عندهم اسهم وسندات يعرضونها للبيع ، ولا من يشتري لقلة النقود المتداولة . وطلب بعضهم ان يستقرضوا ويدفعوا فائدة بمعدل ستين في المئة . في السنة فلم يجدوا من يقرضهم . فذهب المستر طوماس رئيس بورصة نيويورك الى المستر مورغان . وطلب منهُ ان يفرج ضيقة الناس . وهاك ترجمة ما قالهُ في هذا الصدد منقولاً عما شهد بهِ في العام الماضي امام قاضي التحقيق قال « قلت للمستر مورغان لقد عزّت النقود واعضاء جمعية البورصة يحتاجون الى خمسة ملايين من الجنيهات . وبعد ما تذاكرنا بضع دقائق قال نعم ستعطون خمسة ملايين . فعدت الى البورصة وقلت لاعضاء الجمعية ان النقود ستأتينا حالاً . وبعد خمس دقائق جاءت النقود وزالت الازمة . فان البنوك التي يتولى المستر مورغان ادارتها فتحت ابوابها ، وللحال انخفضت الفائدة السنوية الى ستة في المئة ، ثم الى ٣ في المئة » . وهذه ليست اول ازمة فرّجها . ففي سنة ١٨٩٣ اشتدّ الضيق على الحكومة الاميركية لكثرة صدور الذهب من البلاد ، وخيف من وقوف الاعمال فرأس لجنة من الماليين واشترى ما يساوي ١٢ مليون جنيه من سندات الحكومة دفع ثمنها ذهباً فانفرجت الازمة حالاً

والبنك الذي انشأهُ هو وشريكهُ طوماس قبل ثلاثين سنة كان رأس مالهِ مئة الف جنيه . فبلغت ارباحهُ في هذه الثلاثين سنة ١٨ مليوناً من الجنيهات اي ان الجنيه الواحد ربح ١٨٠ جنيهاً

الفرد كروب ملك الفولاذ

(امام ص ٦٣)

كروب

معمل كروب الذي تصنع فيهِ المدافع اكبر معامل المانيا، ان لم يكن اكبر معامل المسكونة وقد كان فيهِ سنة ١٨٩٩ نحو ٤٢ الف عامل. وكان المكس الذي يدفعهُ في السنة الى الحكومة الالمانية يزيد على مليون من الجنيهات

اسَّس هذا المعمل كروب الاكبر في اوائل القرن الماضي. وتوفى سنة ١٨٢٦ وعمرهُ ٣٩ سنة فقط . وترك عملهُ في حالة يرثى لها، لامال ولا عمَّال . فقام ابنهُ الفرد كروب بعدهُ ورأس مالهِ سرٌّ صناعيّ هو عمل البواتق من الحديد الزهر واذابة الحديد الصلب (الفولاذ) فيها . وكان فتىً في الرابعة عشرة من عمرهِ. فاعلنت امهُ ان المعمل يبقى مستمرًّا في عمله ،وان الفولاذ الذي يصنع فيهِ يبقى كما كان في عهد زوجها من حيث الصلابة والمتانة. فقام هذا الفتى بعمل ابيهِ ،واظهر من الضعف قوة . ولم تمضِ عليهِ ست سنوات حتى صار يستخدم عشرة من العمال وبعد عشر سنوات أخرى صار عندهُ نحو مائة عامل . وكان لهُ اخوان اصغر منهُ فلما شبَّا انضما اليهِ وساعداهُ في عملهِ. وقد قال بعد ذلك انهُ بقي خمس عشرة سنة لا يربح الاَّ اجرة العمال ، لكنهُ كان مسروراً بانهُ احتفظ بالعمل الذي خلَّفهُ ابوهُ ولم يهملهُ

ثم استنبط ثلاثة اشياء جمع منها ثروتهُ الوافرة، وهي طريقة لعمل الملاعق المعدنية وطريقة لعمل الاطُر الحديدية من غير لحام، وطريقة لعمل المدافع من الفولاذ (الصلب). وباع امتياز الطريقة الاولى في بلاد الانكليز بثمن كبير جدًّا . واستعمل المال الذي ربحهُ من ذلك للتجارب في عمل مدافع الفولاذ وعمل الأُطر من الفولاذ لمركبات سكك الحديد . وكانت الاطر تصنع من الحديد الصاج وتلحم لحماً ، فتكون كثيرة العطب . فنجح النجاح التام في الامرين . وحتى الآن لم يزد المخترعون على ما فعلهُ الاَّ قليلاً جدًّا . ونال الامتياز باطرهِ في كل مكان، فربح منها ربحاً وافراً جدًّا . وصار لها الشأن الاكبر في اصلاح سكك الحديد وانتشارها في المسكونة . فلهُ الفضل الاكبر في ما نشأ عن انتشار سكك الحديد من العمران . لكن شهرتهُ العظمى وثروتهُ الكبرى جاءت عن طريق المدافع لا عن طريق سكك الحديد . ففي سنة ١٨٤٧ صنع مدفعاً صغيراً من الفولاذ (الصلب) وامتحنهُ امام لجنة المدافع البروسية فوفى بالغرض. ولما فتح المعرض العام في بلاد الانكليز سنة ١٨٥١ عرض فيهِ مدفعاً وقطعة كبيرة من الفولاذ ثقلها طنَّان، ثم اهدى هذا المدفع الى ملك بروسيا فمنحهُ نشان النسر الاحمر. ومن ثم

جعل يصنع المدافع من الصلب وحكومة بروسيا تعضدهُ وتجزل عطاياهُ، وامراؤها يزورونهُ في معملهِ ويضيفونهُ في بيتهِ تشديداً لهمتهِ . وزاد عدد العمال في معملهِ فبلغ ٣٦٠ عاملاً سنة ١٨٥٤، و٦٩٠ سنة ١٨٥٥، و١٠٠٠ عامل سنة ١٨٥٨. وكانت الآلات صغيرة لا تقوم بهذا العمل الكبير فابدلها باكبر منها. وصنع المطارق البخارية الكبيرة والاتاتين الضخمة، وبنى لاتون آلتها مدخنة ارتفاعها ٢٣٠ قدماً، وقطرها عند قاعدتها من الداخل ٣٠ قدماً . وظل معملهُ يتسع وعدد العمال يزيد حتى بلغ ٢٠٣٧ عاملاً سنة ١٨٦١، اي عشر اهالي مدينة اسن حيث كان المعمل

واي شيءٍ تطلبهُ دول الارض اكثر من المدافع وهي عماد عزها وحامية حوزتها؟ . فلما رأت ان مدافع كروب امتن من غيرها وافتك، اقبلت عليها ايَّ اقبال حتى الحكومة المصرية فانها ابتاعت ثمانية عشر مدفعاً منها سنة ١٨٥٦ و ١٨٥٧

وزارهُ الملك ولهلم الاول سنة ١٨٦١ ومعهُ ولي عهدهِ . فسبك امامهما قطعة من الفولاذ ثقلها تسعة اطنان من ٣٠٠ بوتقة، وطرق قطعةً اخرى ثقلها سبعة اطنان ونصف طن، وطولها ١٥ قدماً، بمطرقة بخارية ثقلها خمسين طنًّا، وتحتها سندان ثقلهُ الف ومائة طن . فدهش الملك من قوة هذه المطرقة، ومن كل ما رآهُ في المعمل . وقويت عزيمتهُ من ذلك الحين على مقاومة نبوليون الثالث واحباط مساعيهِ . ومن ثم كثر الطلب على مدافع كروب. فصنع مائتين منها سنة ١٨٦٣ وطُلب منهُ ٨١٧ مدفعاً في السنة التالية وبلغ عدد العمال في معملهِ ٤٠٣١ سنة ١٨٦٣ و٦٤١٣ سنة ١٦٦٤ و٨٢٥٥ سنة ١٨٦٥. وكان وزن الفولاذ الذي سبكه سنة ١٨٦٣ خمسة وعشرين مليون رطل . فبلغ سنة ١٨٦٥ مئة مليون رطل

ومما يذكر بالاسف الشديد ان اكثر الاغنياء جمعوا ثروتهم في الحروب كانها من اسلاب المغلوبين. او كأنهم يضرمون نار الحرب بأنفسهم لهذه الغاية . والحقيقة انهم يتحينون الفرص ويغتنمونها . فمتى طاشت احلام الناس وبادر القائد الى تحلية صدرهِ بوسام الفخار، ولو مخضباً بدماء الابرياء، والملك الى توطيد دعائم عرشهِ وتوسيع تخوم ملكهِ ولو ضمَّ الى بلادهِ بلاداً لا يضمر لهُ اهلوها غير الولاء، يبادر رجال المال والاعمال الى الكسب وتوسيع الثروة بتقديم الميرة، او بتسليف النقود، ولم يشذَّ كروب عن هذه القاعدة. فلما نشبت الحرب بين بروسيا والنمسا كان متأهباً لها، فابتاعت منهُ الحكومة البروسية ٨٢٦ مدفعاً وصنع لها ٧٣٦ مدفعاً تلك السنة وكان قد اضاف المناجم والمسابك الى معملهِ لكي يكون مستقلاً عن غيرهِ. فسبك تلك السنة. ١٢٥ مليون رطل من الحديد او اثنين وستين الف طن وخمس مائة طن

وفتح المعرض العام في باريس سنة ١٨٦٧. فاغتنم تلك الفرصة لعرض مصنوعاتهُ فيهِ لكي يرى نوَّاب الدول ما يمكن ان يصنع في معملهِ من الغرائب . وعرض مدفعاً ثقلهُ نحو خمسين

طنًّا، وقطعة من الصلب ثقلها اربعون طنًّا . اما المدفع فكان طولهُ خمسة امتار وربع متر، وقطر فوهتهِ ٣٥ سنتمتراً، وفيهِ اربعون حفرةً لولبية، وقد قضى في عمله سنة واربعة اشهر، جرى العمل فيهِ كل هذه المدة نهاراً وليلاً، وبلغت نفقات عمله ٦٥٢٥ جنيهاً . ثم اهدى المدفع الى ملك بروسيا، فبعث بهِ الى كيل لتحصين مرفإِها

***

ومرَّت السنوات الثلاث التالية وكروب يصنع المدافع للدول، ويبتاع اسهم مناجم الفحم حتى يستقلّ بها ولا يبقى تحت رحمة اصحابها . الى ان نشبت الحرب بين فرنسا والمانيا سنة ١٨٧٠ وكان مستعدًّا لها. فاثبتت مزية مدافعهِ فباع منها ٩١٩ مدفعاً سنة ١٨٧١ . و٩٨٥ مدفعاً سنة ١٨٧٢ . و١٨٤٥ مدفعاً سنة ١٨٧٣ . و ١٣٩٢ مدفعاً سنة ١٨٧٤ مصداقاً لقول من قال : «مصائب قوم عند قوم فوائدُ» : وبلغ عدد المدافع التي صنعها ثلاثة وعشرين الف مدفع . وانهالت عليهِ سمات الاكرام من الملوك، لانهم رأوا في مدافعهِ ما يعزز شوكتهم، وزارهُ امبراطور المانيا وامبراطور برازيل في معمله سنة ١٨٧٧ ومعهما كثيرون من الامراء والقواد

ولما اقيم المعرض الاميركي في فيلادلفيا سنة ١٨٧٦ كان لمدافع كروب المقام الاول فيهِ . وهي سبعة اكبرها ثقلهُ ٥٦ طنًّا ونصف طن. وثقل مركبتهِ ٣٣ طنًّا ونصف طن. لكنهُ لم يقتصر على عرض آلات الهلاك، بل عرض ايضاً كثيراً من ادوات سكك الحديد المصنوعة من الصلب، فتعادل الضرُّ بالنفع . ثم صنع مدفعاً اكبر من كل ما تقدَّمهُ ثقلهُ ثمانون طنًّا . وقطر فوهتهِ اربعون سنتمتراً . وقنبلتهُ تخرق لوحاً من الحديد سمكهُ قدمان عن بعد خمسين متراً

وتوفي فردرك كروب سنة ١٨٨٧ وخلفهُ ابنهُ الفرد كروب الذي توفي حديثاً . فسار في خطوات ابيهِ وجده، وزاد على اعمالهما سبك صفائح الفولاذ لتدريع البوارج الحربية . وابتاع معملاً آخر لعمل هذه الصفائح ولعمل مركبات المدافع وقنابلها . واستخدم فيهِ ثلاثة آلاف عامل . وتولَّى ادارة شركة الملاحة والهندسة الالمانية في كيل وبرلين، وفيها ١٧٧٨ عاملاً . وزارهُ امبراطور المانيا سنة ١٨٩٢ فاطلق امامهُ مدفعاً، قطعت قنبلتهُ اثني عشر ميلاً ونصف ميل في سبعين ثانية، وبلغ ارتفاعها وهي سائرة ٢١٤٥٦ قدماً

ولما اقيم معرض شيكاغو باميركا سنة ١٨٩٣ بعث اليهِ مدفعاً ثقله ١٢٠ طنًّا، وطولهُ ٤٦ قدماً، وثقل القنبلة من قنابله ٢٥٠٠ رطل . وارسال مدفع هذا ثقله من اواسط اوربا الى اواسط اميركا، مع ما يقتضي نقله من النفقة والمشقة برًّا وبحراً، لاكبر دليل على علو همة الرجل. ولم يكن قاصداً الشهرة مجرَّدةً عن كل منفعة. بل كان قصده الاول، كما كان قصد ابيهِ وجدِّهِ من قبله، الكسب المالي وتعزيز مقام الصناعة الالمانية

واشتهر معمل كروب بعمل صفائح الفولاذ لتدريع البوارج الحربية، كما اشتهر بعمل المدافع لخرق دروعها. فكأنهُ يجهز الدول باقوى انواع المدافع فاذا رأى انها اكتفت منها، لانها تتلف بها امنع البوارج، صنع دروعاً منيعة للبوارج لا تقوى تلك المدافع على خرقها. فلا يبقى للمدافع قيمة فيصنع مدافع اقوى منها تخرق الدروع الجديدة، فتضطر الدول الى ابتياعها. ثم يصنع دروعاً امتن من الاولى لا تفعل بها هذه المدافع، فتضطر الدول الى استعمالها وهلمَّ جرًّا. وهو ليس منفرداً في ذلك بل له مماثلون ومناظرون من الانكليز والاميركيين والفرنسويين. وغرضهم كلهم واحد وهو كسب المال والجاه كأنهم في الدنيا خالدون. ولكن الممالك لا تقوم والامم لا تترقى الاَّ بهؤلاء الرجال وامثالهم ممن يوطدون دعائم عزها، ويعلون منائر مجدها

***

والاعمال التي تجري في معامل كروب سرّية كلها. لا يباح لاجنبي ان يطّلع عليها. ولذلك لا يؤذن لاحد ان يراها. اما العمال فيعتنى بهم اعتناءً خاصًّا حتى يكتموا اسرار العمل، ويعطى كلٌّ منهم معاشاً بعد ان يعمل اربعين سنة، واذا عجز عن العمل قبل ذلك أُعطي معاشاً يكفيهِ. وكل ما يحتاج اليهِ العامل يجدهُ في بلد المعامل من مأكل ومشرب ومأوى وملهى. فلا يضطر ان يخرج منهُ الى مكان آخر. ولذلك لا خوف من افشاء اسراره. وهذه المعامل تستخرج حديدها وفحمها وغازها وتصنع قرميدها، وتطبع كتبها. وفيها مكاتب للبريد والتلغراف ومطافئ للحريق ومدارس وكنائس ومغاسل ومطاعم واندية ومستشفيات. وكل ما يحتاج اليهِ الانسان في المدن الكبيرة

وقد بلغ عدد المدافع التي صنعها معمل كروب قبل وفاة رئيسهِ الاخير اربعين الف مدفع. وهو يحرق في السنة اكثر من مليون ونصف مليون طن من الفحم. وفيهِ سكتان حديديتان، الواحدة واسعة وطولها ٣٦ ميلاً. وفيها ست عشرة قاطرة و٧٠٠ عربة. والثانية ضيقة وطولها ٢٣ ميلاً وفيها ٢٦ قاطرة و١٢٠٩ عربات. وكل هذه العربات لنقل مصنوعاتهِ وفيهِ ٥٩٠ ميلاً من التلغراف. و٣٢٨ محطة للتلفون. و٤٥٨ آلة بخارية قوة بعضها ٣٥٠٠ حصان. وقد بلغ عدد العمال فيهِ (سنة ١٩٠١) ٤٦٧٠٠ عامل

***

وقد توفي السر كروب في ٢٢ نوفمبر ١٩٠٢ وعمرهُ ٤٨ سنة فقط. وترك ثروتهُ الوافرة لزوجتهِ ولابنتها الكبرى بعدها. ولم يجمع الكتّاب على مدحهِ، لكن امبراطور المانيا نفى عنهُ كل لوم. ولأبيهِ اليد الطولى في توسيع معمل كروب وتعزيز شأنهِ وشأن البلاد الالمانية بهِ

نوبل

ليس بين قرّاء المقتطف من لا يعرف اسم نوبل المهندس ، الكيماوي ، المستنبط ، الصناعي الكبير والمحسن الى العلم والادب والسلم ، صاحب الجوائز المعروفة باسمه التي تمنح كل سنة وينشر نبأ منحها واسماء الفائزين بها . ولكن قلّ من يعرف من سيرة نوبل الاّ انهُ مستنبط الديناميت . واقلُّ منهم من يعرف كيف تمنح هذه الجوائز . فرأت مجلة ناتشر ان تعقد فصلاً في هذا الموضوع ، على ذكر كتاب جديد ظهر في الالمانية ، ونقل الى الانكليزية يتضمن سيرتهُ واعماله وعنها نقلنا معظم الفصل التالي

وُلد الفرد برنارد نوبلي في استوكهلم ، في ٢١ اكتوبر سنة ١٨٣٣ . ومات في سان ريمو في ١٠ دسمبر ١٨٩٦ في الثالثة والستين من عمره . وبموجب الوصية التي تركها وقف جانباً من ثروته على ترقية العلم والادب واحكام روابط الوئام الدولية . اذ اشترط ان يقسم ريع هذا الوقف الى خمس جوائز تمنح للمبرزين من الباحثين في ميادين الطبيعيات والكيمياء والطب والادب والسلام ، ومجموعها نحو اربعين الفاً من الجنيهات

وتبدأ قصة هذه المؤسسة سنة ١٨٤٦ . اذ اكتشف اسكانيو سوبريرو من سكان مدينة تورين مادة النتروغلسرين ووصف طريقة تحضيرها في رسالة بعث بها الى اكادمية العلوم بتورين في فبراير سنة ١٨٤٧ . وفيها بسط الصفات التي تجعل هذا المركّب مادة متفجرة خطرة . وبعيْد ذلك التى خطبة في مؤتمر علمي ملتئم في البندقية (فينيسيا) فقال فيها : «ولا نستطيع ان نبتّ الآن في الفوائد التي نستطيع جنيها من هذا السائل الذي يتفجر بصدمة» . وعليهِ ظلّ النتروغلسرين الى اواخر العقد السابع من القرن الماضي تحفة علمية في نظر العلماء وظلّ استعماله كمادة مفرقعة في حيّز النظر لما تنطوي عليهِ معالجته من الخطر الداهم . ولكن ابداع نوبل وصبره ونبوغه في الاستنباط بدّل هذه الحال بحال اخرى

***

وكانت سنة ١٨٦٧ وكان نوبل قد اخذ يصنع «النتروغلسرين» في معامله . ولكنهُ كان مهدداً بالخطر من كل ناحية . ذلك ان باخرة من البواخر التي كانت في طريقها الى شيلي مشحونة بهذه المادة حدث فيها انفجار ، وهي في عرض البحر ، فغرقت بمن عليها . وما حدث لها حدث

لسكك الحديد التي كانت تنقل هذه المادة الفتاكة. حتى معامل نوبل نفسه في هلنبورج اصيبت بما اصيبت بهِ الباخرة والسكك الحديدية من قبل . فتفجرت المفرقعات فيها فتهدمت . وقتل في الحادث اخو نوبل الاصغر . فلا غروَ ان تهبَّ الحكومات لمنع استعمالها

قلنا : وكانت سنة ١٨٩٧ وكان نوبل يساعد بعض عماله في تنزيل حمل عربة من عرباته يشتمل على عدة صناديق من النتروغلسرين . وكان احد هذه الصناديق قد ثقب وسالت المادة المروعة على الارض. وامتزج قليل منها بالرمل ولم يلبث ان تجمد هذا المزيج . فسرَّ نوبل لهذه الصدفة الغريبة ، لانها كشفت له عن طريقة تمكنه من تحضير النتروغلسرين تحضيراً يمكنهُ من حمله ونقله من غير ان يتعرض للانفجار لدى اقل صدمة يصاب بها . هكذا صنع الديناميت . وبعد ذلك استنبط مفرقعاً جديداً اقوى فعلاً من الديناميت، على انهُ رخو وشفاف كالهلام. وذلك بمزج النتروغلسرين بمادة مفرقعة اخرى تدعى قطن البارود . وسنة ١٨٨٩ استنبط بارودا لا دخان لهُ سماه بلستيت . ومن الديناميت وما تلاه من المفرقعات جمع ثروة مكنتهُ من ان يصبح محسناً للانسانية بعد مماتهِ . وأدرك نوبل حالاً اثر المفرقعات في الحروب، مع انهُ طلبها اولاً للاستعانة بها في فروع الهندسة المختلفة . ففي عهد الامبراطورية كان حفر نفق طوله ثلاثة اميال في جبل صخري ، يقتضي عمل ثلاثين الفاً من العمال مدة عشر سنوات او اكثر . وكان نوبل يعلم ان حفر نفق في جبل الهرز طوله خمسة اميال يقتضي عملاً متواصلاً مدى قرن من الزمان او اكثر . فعزم ان يغير ذلك . ولولا اكتشافه للديناميت وما تلا الديناميت من المفرقعات لكان التقدم الذي تمَّ في فروع الهندسة العملية واعمال التعدين متعذراً . فان كل الاعمال الهندسية العظيمة كحفر ترعة بناما ، وحفر انفاق القطرات في المدن الكبيرة ، ومد خطوط السكة الحديدية في الجبال ، وبناء المرافىء الكبيرة، وحفر المناجم وغيرها ، اعتمدت على الديناميت وأشباههِ في سرعة انجاز الاعمال

ولكن نوبل كان يدرك ان مستنبطاتهِ ومكتشفاتهِ قد تستعمل في غير الاغراض الصناعية التي صنعت لها اولاً ، اي في الحروب الدولية . وهذا الادراك حلَّ في عقله همًّا تحوَّل الى وسواس، جعل اثره يزداد على مرّ السنين. فصار السعي لاحكام روابط السلام بين الناس موضوع عنايتهِ الاول ، والراجح ان العلم والفلسفة لم يكونا حينئذ في مقدمة المسائل التي عُني بها

***

فقد كتب سنة (١٨٩٢) في رساله خاصة : «لقد كنت اسائل نفسي لماذا لا تطبَّق القوانين المتبعة في مبارزة بين شخصين على مبارزة بين شعبين» . ان نزع السلاح في رأيهِ لا يمكن ان يتمَّ الاّ تدريجيًّا . ثم كتب ما يأتي : « لقد بدأت اعتقد ان الحلَّ الوحيد هو عقد مؤتمر

تتعهد فيهِ كل الحكومات بأن تدافع مشتركة عن اية امة تهاجم» : وقد نصَّ في وصيته على منح جوائز للساعين لتوطيد روابط الصداقة بين الشعوب ، والعاملين على تخفيض التسليح او ازالتهِ ، والداعين الى مؤتمرات السلام

وقد جاء موتهُ الباكر وفقاً لما كان ينتظر، لانهُ كان نحيف البنية عليلاً في صغره، حتى اضطر لما كان في العشرين من عمره الى ان يعالج معالجة منتظمة في بعض مدن المياه المعدنية . وقد زاد في طين صحته بلة كثرة اسفاره المنهكة ، ومواظبتهُ على العمل في غير هوادة . فلما اصبح في الستين (سنة ١٨٩٢) اخذ مرض قلبهِ يشتدُّ وطأة عليهِ .وقد كتب حينئذ الى زوجة اخيهِ من باريس فقال : من غرائب الاتفاق الساخرة ان يوصف النتروغلسرين لي شراباً. انك راسية في اطمئنان،ولكني اطفو حطاماً على بحر الحياة، لا دفة ولا بوصلة . ليس لي تذكارات تنعش خاطري ولا احلام لماعة تؤاسيني» . وقد دفن نوبل، اجابة لرغبتهِ،في مدفن كنيسة باستوكهلم حيث دفن والده واخوه

ومع ان نوبل كان اسوجيًّا كان يجيد اربع لغات غير لغة وطنهِ — هي الروسية والالمانية والفرنسية والانكليزية— كتابة وتكلماً .حتى لقد اشار كاتبو سيرتهِ الى انهُ كان يستطيع النظم بالانكليزية نظماً فوق المتوسط العام . وكان واسع الاطلاع في آداب العالم مثقف الذوق، محبًّا للصور الجميلة التي يبدعها المصورون المتفوقون ، الاَّ انهُ كان يسأم من رؤية الصور نفسها يوماً بعد يوم وشهراً بعد آخر.لذلك اتفق مع احد المحلات الباريسية التي تعني ببيع الصور ان تمده من حين الى آخر بطائفة جديدة منها . وكان بيرون احب الشعراء اليهِ

وصيته وجوائزه

وقد نصَّ في وصيته التي كتبت في ٢٧ ديسمبر سنة ١٨٩٥ على ان يوزع ريع المبلغ الذي يعينه على الذين خدموا النوع الانساني خدمة تذكر في السنة السابقة . وقسم نوع الخدمة الى الاقسام التالية :(اولاً) جائزة تمنح لمن يكتشف اعظم اكتشاف، او يستنبط اعظم استنباط، في ميدان الطبيعيات . (ثانياً) جائزة تمنح لمن يكتشف اعظم اكتشاف في ميدان الكيمياء (ثالثاً) جائزة تمنح لمن يكتشف اعظم اكتشاف في ميدان الفسيولوجيا والطب . (رابعاً) جائزة تمنح للمؤلف الذي يضع في ميدان الادب اعظم كتاب ممتازاً بنزعتهِ الكمالية . (خامساً) جائزة تمنح لمن يفوق غيره في سعيه لتوطيد اواصر الصداقة بين الامم وتخفيض التسليح ودعوة المؤتمرات السلمية

***

أما جائزتا الطبيعيات والكيمياء فتمنحهما أكادمية العلم الاسوجية باستوكهلم . وأما

جائزة الطب فيمنحها معهد كارولين الطبي في استوكهلم . وأما جائزة الادب فتمنحها أكادمية استوكهلم الادبية . وجائزة السلم يمنحها البرلمان النروجي . وقد أشار نوبل الى توزيع جوائزه بقوله «اعلن ان غرضي الصريح هو ان لايدخل اي اعتبار قومي في توزيع الجوائز. أي لتمنح الجائزة لمستحقها سواءٌ كان اسكندناويًّا او لم يكن» اما طريقة اختيار المرشحين للجوائز المختلفة فموضحة فيما يلي :

لكل من المعهدين اللذين يمنحان جوائز الطبيعيات والكيمياء والطب لجنة تدعى لجنة نوبل ، ويجب أن يكون أعضاؤها اسوجيين . هاتان اللجنتان تنظران في المقترحات التي تقدَّم فيما يتعلق بالاشخاص الذين يستحقون إحدى هذه الجوائز الثلاث. كما يحق لها أن تطلب المعونة من احد المتوفرين على احد فروع العلم التي تحت النظر

***

ففي شهر سبتمبر من كل سنة تنشر لجان نوبل منشوراً دوريًّا تبعث بهِ الى الذين يحقُّ لهم ان يرشحوا من يجدونهُ جديراً باحدى الجوائز .وهذه الترشيحات يجب أن تصل الى اللجنة المختصة باستوكهلم قبل اليوم الأول من فبراير التالي مع الوثائق التي تبين حق كل مرشح بالحصول على الجائزة المقترحة له . ولا بدَّ من ان يقترح اسم المرشح للجائزة عن الطريق الرسمي المذكور ولا تعتبر اية رسالة تبعث رأساً الى اللجنة من رجل يطلب فيها الجائزة لنفسه

اما الذين يحق لهم ان يقترحوا اسماء العلماء لجائزة الطبيعيات او جائزة الكيمياء فهم :

(اولاً) اعضاء اكادمية العلوم باستوكهلم الاسوجيون والاجانب

(ثانياً) اعضاء لجنتي نوبل للطبيعيات والكيمياء

(ثالثاً) رجال العلم الذين نالوا جائزة نوبل

(رابعاً) اساتذة الطبيعيات والكيمياء في جامعات ابسالا ولند واوسلو وكوبنهاغن وهلسنفور ومعهد كارولين الطبي الفني الملكي باستوكهلم

(خامساً) اساتذة الكيمياء والطبيعيات في جامعات اجنبية تختارها اللجنة، ولا يقلُّ عددها عن ست جامعات او كليات جامعة

(سادساً) كل رجل آخر من رجال العلم ترى اللجنة استشارتهُ

والترشيح لجائزة الطب والفسيولوجيا يجري المجرى نفسهُ مع الفارق . اما طريقة الترشيح لجائزة الآداب وجائزة السلام فلم نقف عليهِ فيما لدينا من المصادر

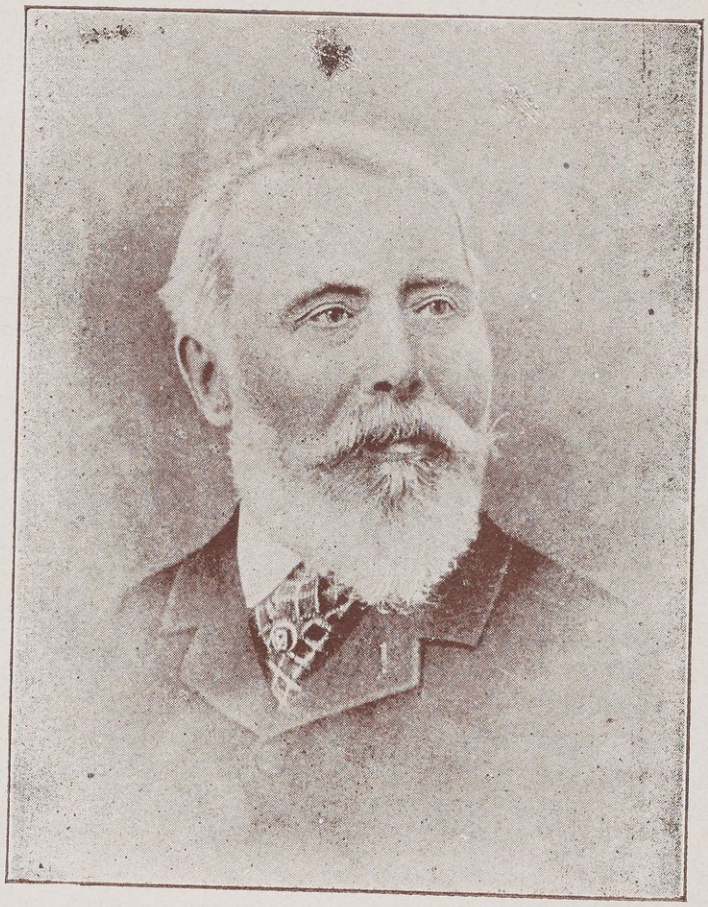

لورد مشام

(امام ص ۷۱)

مشام

قد يرى القراء في سيرة رؤكفار ما لا يستطيع احد منهم التمثل بهِ . فان الرجل نشأ في بلاد كبيرة غنية وجمع ثروتهُ مما لا يوجد في بلادنا حتى الآن، ووسعها بما في تلك البلاد من اساليب العمل واسباب النجاح. فرأينا ان نشفع سيرتهُ بسيرة رجل آخر جمع ثروتهُ مما اصله من بلادنا، من الصوف ومشاقة الحرير وليسينهِ ، وهو لورد مشام واسمهُ الاصلي المستر لستر ، وسنطلق عليهِ هذا الاسم الى ان نذكر ارتقاءهُ الى رتبة الاعيان

***

ولد المستر لستر سنة ١٨١٥ من عائلة وجيهة . وقصد والدهُ ان يدرس الدروس الدينية ويصير من خدمة الدين. وتركت لهُ جدتهُ املاكها، مشترطةً عليه ان يصير قسيساً. الاَّ ان العصر الذي نشأ فيه كان عصر اختراع واستنباط . كانت الآلات البخارية في بداءة عملها ، وكان كبار الصنَّاع مكبين عليها يتقنون ويتوسعون، والجمهور يحسب انها ستعمل العجائب. فلم يكد يخرج من المدرسة الصغيرة حتى اعرب عن رغبتهِ في التجارة والاعمال الصناعية فدخل محل احد التجار وسافر الى اميركا مراراً . وكان السفر اليها طويل الشقة بالسفن الشراعية لا يقدم عليهِ كثيرون، فعرف من احوالها ما لا يعرفهُ الاَّ قليلون . ولما صار لهُ من العمر ٢١ سنة اشترك مع اخيهِ في معمل صغير لمشط الصوف وغزلهِ ونسجهِ. فرأى مماشط الصوف لاتفي بالغرض، لان فيها خللاً ونقصاً من وجوه كثيرة، فجعل يفكر في اصلاحها. واول استنباط استنبطهُ مكوك لنسج الحرير المعرَّق ، وآلة لعمل اهداب الشيلان . ثم عكف على اصلاح مماشط الصوف وهو أهم أعمالهِ. وكان كثيرون قد حاولوا فانفقوا اموالهم واضاعوا اوقاتهم عبثاً. ولا غرابة في اهتمامهم الشديد بهذا الامر، لان مشط الصوف اهم ما يكون في صناعتهِ. ومن استطاع ان يستنبط آلة تمشطهُ جيداً ربح منها الالوف المؤلفة

ولما شرع في ذلك كان عمرهُ ٢٧ سنة . وكان الصوف يمشط باليد ومشطهُ بها كثير النفقات وشديد الضرر على المشاطين. ولم يكن احد يظن انهُ يمكن ان يصنع آلة تمشط الصوف كما يمشط باليد تماماً ، لكثرة الذين حاولوا ذلك وفشلوا . وكان رجل اسمهُ دونسترب قد صنع ممشطة واخذ امتيازاً بها ، ولكنها لم تفِ بالمراد . فرأى لستر انهُ يمكن اصلاحها حتى تفي بهِ .

فاشترى من صاحبها نصف حقه في امتيازها بألفي جنيه ، ثم اشترى منهُ النصف الثاني بعشرة آلاف جنيه. واصلح هذه الآلة كثيراً حتى وفت بالغرض المطلوب حاسباً انهُ هو ودونسترب المخترعان الوحيدان لها . ثم بلغهُ ان مخترعاً آخر اسمهُ كارتريت اخترع آلة مثلها تماماً قبلهما، ونال الامتياز بها، واعطاهُ البرلمنت الانكليزي عشرة آلاف جنيه اعترافاً بفضلهِ. لكن آلتهُ لم تشع لانها جاءت قبل زمانها، فزاد اعجاب لستر بهِ ، حتى عزم ان ينشىء لهُ تذكاراً عظيماً فانشأهُ كما سيجيء

ثم اصلح هذه الآلة ونوَّعها، فشاع استعمالها حالاً ، واضاف اليها آلة اخرى وهي آلة ندف الصوف القصير قبل مشطهِ. فقامت المماشط البخارية مقام المشط باليد . وهبطت نفقات مشط الرطل (الليبرة) من شلنين وثلاث بنسات الى اربع بنسات. وهذا هو السبب في رواج تجارة الصوف الانكليزية والاسترالية . وفوائد ذلك تقدَّر بالملايين الكثيرة كما لا يخفى . ولكن المناظرين لم يدعوهُ يهنأ بثمار اختراعهِ، فادعوهُ ورافعوهُ الى المحاكم، ولا سيما رجل الزاسي اسمهُ هيلمن . ففاز لستر عليهِ من بعض الوجوه وفاز هو على لستر من وجوه اخرى . واخيراً رأى ان نفقات المحاكم والمحامين قد تزيد على ما ينتظرهُ من الربح. فاشترى حقوق هيلمن بثلاثين الف جنيه، ووضع ضريبة الف جنيه على كل آلة يستعملها غيرهُ، وانشأ هو تسعة معامل للصوف، خمسة في انكلترا، وثلاثة في فرنسا، وواحداً في المانيا. فربح اموالاً طائلة جداً وجمع ثروة وافرة من هذه المعامل وغيرها، لانهُ صنع آلات اخرى لعمل المخمل وندف القطن

***

ودخل مخزناً في لندن ذات يوم فرأى كثيراً من مشاقة الحرير ولم يكن قد رآها قبلاً . فقال ماهذا ؟ فقيل لهُ مشاقة الحرير . فقال وماذا تصنعون بها ؟. فقيل لهُ انها نفاية لا تصلح لشيء. فاخذ قليلاً منها بيدهِ وفحصها وشمها وكانت وسخة قذرة مخلوطة بفضلات كثيرة مما ينفى من معامل حل الحرير، كالشرانق المثقوبة والديدان الميتة والزيزان الفاسدة وورق التوت وبعر الدود وما اشبه ممَّا يسمَّى موَّاتة وليسيناً

ولم يكن يعرف شيئاً من امر الحرير وتربية دود القز. فطلب ان يباع تلك النفايات. فبهت صاحبها من ذلك وباعهُ اياها حالاً . فذهب بها الى احد معامله، ووضع بعض المشاق في ممشطة الصوف ومشطت بها فتخلصت خيوطهُ بعضها من بعض، وتوازت وصار يسهل كب الحرير منها

ورأى للحال مجالاً واسعاً للعمل والكسب ، فدرس صناعة حل الحرير درساً مدققاً بالنظر والعمل. وظلَّ عشرين سنة يبحث ويصنع الآلات ويغيرها ويبدلها، حتى اهتدى الى آلة وافية بالمراد. ولكن بعد ان انفق عليها ثروتهُ كلها ثلثمئة وستين الف جنيه . ولم يبتدىء ربحهُ منها

الاّ سنة ١٨٦٤ . ثم صنع آلة لعمل المخمل من الحرير، وقد قال عنها اني لما كنت احاول عملها خطبت خطبة في جمعية غلاسكو الفلسفية قلت فيها : ان البعض يهتمون بسباق الخيل في دربي لان الرهان فيه يبلغ اربعة آلاف او خمسة آلاف من الجنيهات. ولكني انا مهتم الآن باختراع آلة اذا نجحتُ في اختراعها ربحت منها خمسين الف جنيه كل سنة. وقد حاول غيري اختراعها منذ خمسين سنة الى الآن فلم يفلحوا : ثم لما اخبرت الذين كانوا يسمعون خطبتي ان هذه الآلة يراد بها عمل المخمل ضحكوا عليّ . لكنني عملتُ الآلة بعدئذٍ انا ورجل آخر، وربحنا منها يزيد الآن على خمسين الف جنيه في السنة . وقد كانت الصعوبة الكبرى في ابقاء السكين ماضية لقطع زغب المخمل. وكنت مرة انظر من كوّة مكتبي فرأيت مجلخاً يجلخ مقراضاً. فقلتُ في نفسي انني اذا وضعت في النول حجر جلخ اصغر من هذا لتتجلّخ السكين عليهِ بقيت ماضية تقطع النسيجين اللذين المخمل بينهما، فجربت ذلك فرأيتهُ وافياً بالمراد، وهذه واحدة من مصاعب شتى تغلبت عليها انا وشريكي في مدة سبع سنوات

واكتشافه هذا اعاد صناعة نسج المخمل الى انكلترا . ويصنع في معاملهِ الآن كل انواع المخمل، وكل نسيج لهُ خمل حتى النسيج الذي يشابه جلد القمة والبسط المخملية على انواعها، والمنسوجات الحريرية على انواعها، وكلها من مشاقة الحرير التي كانت تطرح من المعامل كأنها زبالة

ولما رأى ان عملهُ نجح النجاح التام حوّلهُ الى شركه مساهمة رأس مالها مليون و ٩٥٠ الف جنيه، لكي يشرك غيرهُ معهُ في عملهِ وربحهِ. واشترى ارضاً مساحتها ٣٤ الف فدان بمليون من الجنيهات، وقصراً قديماً دفع ثمنهُ وثمن الحراج التي حولهُ ٤٧٥ الف جنيه. وبني بناءً فخماً تذكاراً لكارتريت مخترع آلة النسج انفق عليهِ ٤٧ الف جنيه و ٥٠ جنيهاً

واعترفت الحكومة الانكليزية بفضلهِ على صناعتها، فمنحتهُ لقب لورد مشام سنة ١٨٩١. واعترف اصحاب معامل الصوف بفضلهِ، فصنعوا لهُ تمثالاً كبيراً نصبوهُ لهُ في روض بردفورد. وهو المخترع الوحيد الذي نُصب لهُ تمثال في حياتهِ

وقد كان الصوف يجزّ ويمشط ويغزل ويحاك في هذا القطر والقطر الشامي منذ الوف من السنين. ولكن ما من احد منا خطر على بالهِ ان يصنع آلة لمشطهِ وغزلهِ. وكانت المشاقة والليسين والقشيرة وما اشبه من نفايات الحرير ترمى او تبيّض وتغزلها النساء بايديهنّ. ولم يهتم احد منّا بعمل آلة تنظفها وتغزلها . وبمثل ذلك يبين الفرق بين اقدار الرجال ومبلغ الهمم . واذا اغتنى هذا الرجل ورقي الى مراتب الاشراف فيكون قد جوزي جزاء العامل المستحق عند من يعرف اقدار الرجال

تشمبرلين

لهذا الرجل مقام عظيم بين رجال المال والاعمال وبين رجال الادارة والسياسة. وقد ترجمناه كرجل مالي سنة ١٩٠٣ قبيل انقطاعهِ عن السياسة. ونحن موردون الآن ما قلناه فيهِ حينئذ، ثم نشفعهُ بشيء عن حياتهِ السياسية

« المشهور ان تشمبرلين من رجال السياسة لا من رجال الاعمال . ولا شبهة في انهُ من اكبر ساسة العصر . ولعلَّ مقامهُ السياسي الآن في انكلترا اعظم من مقام كل سياسي آخر. لكن مقامهُ المالي ليس دون مقامهِ السياسي، والاول اساس الثاني ودعامتهُ

«ولد في اواسط سنة ١٨٣٦. ودرس في مدرسة لندن الكلية. ولم يستطع ان يطلب العلم في مدرسة من مدارس الانكليز الجامعة كاكسفرد او كمبردج او ادنبرج. لان هذه المدارس كانت تقفل ابوابها في وجوه الموحدين، وكان ابوه منهم. وهم فئة من البروتستانت لا تعتقد بالوهية المسيح . ومن المحتمل ان اقتصارهُ على الدرس القليل افاده ولم يضر بهِ ، لانهُ لم يغره بالايغال في العلم ومضايقه، ولو فعل ذلك لصار من العلماء المتبحرين، الذين يشار اليهم بالبنان. ولكن نفعهُ لنفسه ولامتهِ لم يكن قدر ما هو الآن

«كان ابوه يبيع الاحذية بيع تاجر لا بيع صانع. واشتهر بعلو الهمة وشدة الحزم مع شيء من الدعة . فورث منهُ مقاماً في التجارة ودراية في تعاطيها . ولما صار له ١٦ سنة من العمر اطلعهُ ابوه على اسرار صناعتهِ، وادخله معمل الاحذية، فتعلم صناعتها ونشأ اسكافاً من الاساكفة وتاجراً من التجار . وقد وقف خطيباً في جمعية الاساكفة منذ بضع سنوات وقال « اني بقيت في مدينة لندن الى ان صار عمري ١٨ سنة . وكان يمكنني ان اقول حينئذ ما لا يستطيع كثيرون من اعضاء هذه الجمعية ان يقولوهُ. وهو ان ابي وجدي وأبا جدي من الاساكفة الذين تعاطوا هذه الصناعة على التعاقب في بيت واحد مئة وعشرين سنة . وفي هذا المكان وقفت مع ابي وانا فتىً وخطبت الخطبة الاولى»

لكن تعلمهُ السكافة واتصاله بجمعية الاساكفة لم يطولا الاَّ سنتين . فان زوج عمتهِ واسمهُ نتلفورد كان يصنع لوالب الخشب. واشترى امتيازاً بطريقة لعمل اللوالب من مخترعها.

تشمبرلين واللولب الذي اغتنى بهِ

تشمبرلين عند اول دخوله مجلس النواب

(امام ص ٧٤)

واقنع ابا تشمبرلين ان يأتي الى مدينة برمنهام ويشاركه في هذا العمل . فاشترك الاثنان ودأبا زماناً طويلاً ، الى ان تكللت اعمالهما بالنجاح وصار لهما معمل كبير لعمل اللوالب. وكان يُصنع في برمنهام سنة ١٨٦٥ نحو ١٩ مليون لولب كل اسبوع، ونحو ١٣ مليون لولب منها تصنع في معمل نتلفورد وتشمبرلين (واللولب يعم ما يسمى في مصر بالفتيلة والالاووظ والبرمة وما يسمى في الشام بالبرغي)

والشائع ان الآباء ينشئون الاعمال الكبيرة مبتدئين من اسسها . واولادهم يرثونها قائمة الاركان مشيدة البنيان، فيتولون ادارتها وهم يجهلون مبادئها. فتضعف في ايديهم رويداً رويداً الى ان تزول. اما صاحب الترجمة فشارك اباه وزوج عمتهِ في عمل اللوالب وكل ما يتعلق بها. ولم يقتصر على ذلك، بل عني بالقسم التجاري من العمل، وهو القسم الاهم اي بيع اللوالب الى التجار وفتح الاسواق لها في اقطار المسكونة . وجرى ابن عمته مجراهُ، فتعلّم صناعة عمل اللوالب مثله، وكان يشارك العمال في عملها

«ولم تكن اللوالب دقيقة من رؤوسها كما هي الآن . فكان النجار يضطرُّ ان يثقب لها ثقباً تدخل فيهِ. واستنبط تشمبرلين طريقة تُصنع بها دقيقة من اعلاها. ونال امتيازاً بذلك فراجت لوالبهُ اكثر من كل اللوالب ، واتسع معمله حتى صار فيهِ اربعة آلاف عامل، وجمع من ذلك ثروةً وافرةً جدًّا . ومصدر ثروتهُ اتقانهُ عمل اللوالب ، وابتياع المعامل الصغيرة وضمُّها كلها الى معمل واحد ، وترويج مصنوعاتهِ في المسكونة . وقد تعب في كل فرع من هذه الفروع وبذل اقصى الجهد لنيلهِ ، واعتمد على الأقيسة الفرنسوية في عمل اللوالب التي ترسل الى البلدان الفرنسوية ، وعلى لفها بالورق الازرق الذي اعتاد التجار ان يروها فيهِ . ولما صارت له ثروة طائلة اعتزل العمل الصناعي والتجاري وعكف على السياسة ، وامرهُ في السياسة معلوم وكان سنة ١٩١٤ وزير المستعمرات البريطانية وصاحب الكلمة النافذة في سياسة الامبراطورية الانكليزية »

***

هذا ما كتبناهُ عن سيرته الصناعية التجارية سنة ١٩٠٣ قبل استعفائه من الوزارة . لكن سيرتهُ هذه لا تذكر في جنب سيرته السياسية الامبراطورية . مع ان الاولى اساس الثانية . ولو لم يثر ويكفَّ مؤونة الكدح في طلب الرزق لعاش ومات خامل الذكر. اما وقد جمع ثروة طائلة من الصناعة والتجارة في سنين قليلة فالتفت الى الاهتمام بما يبقي لهُ ذكراً بين عظماء الرجال، مدفوعاً الى ذلك بميل فطري فيهِ الى حب الظهور، ومقدرة طبيعية على الاحاطة بالمواضيع المختلفة ، والتعبير عنها بكلام يقنع او يفحم. فانتظم في المجلس البلدي بمدينة

برمنهام ورأس جمعية التعليم الوطني فيها. وانتخب محافظاً لها فاجرى فيها وفي التعليم كثيراً من ضروب الاصلاح . والّف جمعية من الاحرار المتطرفين، وانحى باللوم والتعنيف على سياسة المحافظين، ونعت رئيسهم الوزير دزرائيلي بانهُ الرجل الذي « لا يصدق الاَّ عرَضاً » وترشح للانتخاب في مجلس النواب عن مدينة شفيلد سنة ١٨٧٤ ففشل . فاعتزل اعمالهُ الصناعية والتجارية ولو حسب الظاهر. وترشح ثانية سنة ١٨٧٦ بدل عضو مستعف فانتخب عن برمنهام بدلاً منهُ. ودخل مجلس النواب كعضو من الاحرار المتطرفين . وللحال ظهرت قوة عارضتهِ في الخطابة والجدال . ورأى فيهِ المتطرفون من الاحرار اقوى نصير لهم . وظلَّ على ذلك عشر سنوات، دخل في غضونها وزارة الاحرار سنة ١٨٨٠ برئاسة غلادستون. وجُعل رئيساً لمجلس التجارة، فوضع قانون الافلاس واهتم بامور عامة الشعب واملاكهم. ولما اعيد الانتخاب سنة ١٨٨٦ اعيد الى الوزارة ، لكنهُ استعفى منها لما رأى رئيسهُ غلادستون عازماً على اعطاء الاستقلال الاداري لارلندا . وانحاز اليهِ جمهور من الاحرار اتحدوا مع المحافظين في مقاومة الاستقلال الاداري، فاطلق عليهم اسم المتحدين. فاشتد حنق بقية الاحرار عليهِ ولقبوهُ بالمرتد والخائن . ثم انتظم في وزارة المحافظين برئاسة لورد سلسبري فجُعل ناظراً للمستعمرات. وحملهُ البحث في امورها على وجوب الاهتمام بربطها كلها بالبلاد الانكليزية بربط محكمة. ومن ثمَّ شاعت عند حزبهِ وعند اكثر الانكليز فكرة الاتحاد الامبراطوري والنظر الى المستعمرات كلها كأعضاءٍ حية من جسم الامبراطورية البريطانية . وتدرَّج من ذلك الى انهُ يجب على الحكومة الانكليزية ان تضع رسوماً جمركية على كل ما يرد اليها من البضائع والسلع. وتستثنى من ذلك ما يرد اليها من مستعمراتها فتزيد دخلها، وتقوي الزراعة والصناعة الوطنية وتحكم عرى الاتحاد بينها وبين مستعمراتها. لكن هذا الرأي لم يرق لسائر انصارهِ من الاحرار، ولا لكثيرين من المحافظين، لاسيما وان علماء الاقتصاد مختلفون فيهِ. فاستخدمهُ خصومه سبباً لمقاومتهِ ومقاومة حزبه فافلحوا ، واضطر ان يعتزل الخطط السياسية سنة ١٩٠٣. ولكنهُ بقي يكتب ويخطب ويجادل ويفاضل الى ان اشتدَّ عليهِ داء النقرس سنة ١٩٠٦، فمنعهُ عن حضور مجلس النواب بعد ذلك. لكن انصارهُ ظلوا يرتشدون بارشادهِ ويستمدون من آرائهِ

***

وكانت وفاته في ٢ يوليو ١٩١٣ بداء السكتة واحتفل بدفنه في السادس منه. وابَّنهُ وزراء الانكليز وصحفهم وصحف اوربا واميركا والمستعمرات ، وكتبوا فيه الفصول الطوال

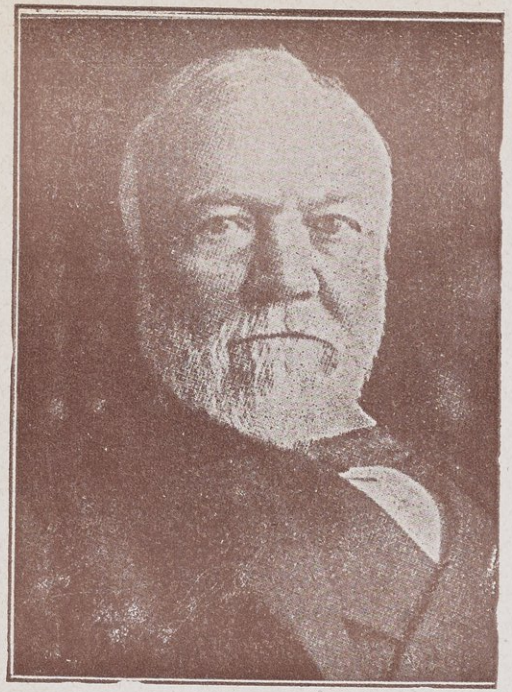

اندرو كارنجي

قصر السلام

(امام ص ٧٧)

اندرو كارنجي

نعى البرق في ١١ اغسطس سنة ١٩١٩ اندرو كارنجي الغني الكبير والمحسن الشهير . وقيل انهُ انفق على الاعمال الخيرية الى شهر يوليو الماضي سبعين مليون جنيه . ولعل اسمهُ ورد في المقتطف اكثر مما وردت فيه اسماء كل اغنياء هذا العصر وقد ترجمناه في مقتطف فبراير سنة ١٩٠٠ وقلنا فيه ماخلاصتهُ

يعرف قراء المقتطف اسم كارنجي لا لانهُ من رجال العلم ، ولا لانهُ من رجال السياسة، بل لانهُ غني كبير يستخدم غناه للنفع العام. ويحث غيره من الاغنياء على الاقتداء بهِ . وقد جمع ثروتهُ بجده واجتهاده لا بالمضاربة ولا بطرق الغش والخداع

ولد في الخامسة والعشرين من نوفمبر سنة ١٨٣٧ من عائلة اسكتلندية قديمة . وكان ابوه حائكاً عنده اربعة انوال. ولذلك كان يعدُّ من اهل اليسار بالنسبة الى غيره من الحاكة. وتعلم القراءة من امهِ وخاله، وبقيت امهُ خمسين سنة اكبر مرشد له في سبيل الحياة . وهي من النساء الاسكتلنديات المشهورات بالذكاء والحزم وشدة الاعتناء ببيوتهنَّ وتربية اولادهنَّ ، وقد ورث طباعه منها وتخلق بأخلاقها

قلنا ان اباه كان حائكاً، فلما شاعت معامل الحياكة ورخصت المنسوجات كسد عمله وعضهُ الفقر، فباع انواله وهاجر بزوجتهِ وابنيهِ الى اميركا. ذهبوا اليها في سفينة شراعية، فقضوا سبعة اسابيع حتى بلغوها، وكان ذلك سنة ١٨٤٨ . قال كارنجي ان اباه دخل البيت ذات يوم قبل ان هاجر من اسكتلندا وقال لزوجته قد كسدت الاعمال ولم يبقَ لنا سبيل للمعيشة في هذه البلاد . فاخذا يتذاكران في هذا الامر . ولما قرَّ قرارهما على بيع الانوال والمهاجرة شعرت اننا افقر خلق الله. والظاهر انهما هاجرا لاجل ولديهما، لانهما كانا يستطيعان المعيشة في بلادهما ولو بالتقتير . ولكن مصلحة ولديهما حملتهما على ترك وطنهما والمهاجرة بهما الى اميركا

ولما بلغ السنة الثانية عشرة من عمره دخل معملاً لغزل القطن ، كان ابوهُ قد وجد عملاً فيهِ . وجعل يلف الخيوط على الوشائع، وبلغت اجرته ثلاثين غرشاً في الاسبوع . وكان يشرع في العمل قبل شروق الشمس. ويظل عاملاً الى ما بعد غيابها . ثم انتقل الى معمل آخر وهو في الثالثة عشرة من عمره، وكان يلف الخيوط فيهِ ويوقد في آلة بخارية صغيرة . ولما رأى نفسهُ مؤتمناً على هذه الآلة شعر انه صار رجلاً . وكان العمل شاقاً جداً ولكنه قام بهِ مسروراً، لانه كان يجد ما يسره في بيت أبيه . والراحة البيتية تقوي العزيمة وتذكي الفؤاد . وفي السنة

التالية انتقل الى بيت التلغراف، فشعر كمن انتقل من الظلمة الى النور ومن الفقر الى الفردوس. وقال انه حسب نفسه اسعد خلق الله لما رأى حوله الكتب والجرائد والاقلام والدفاتر. وكان اولاً رسولاً يرسل التلغرافات الى اصحابها، ثم صار يعمل على آلة التلغراف. وتمرنت يده وأذنه حالاً، فصار يفهم الكلام من سماعهِ صوت مفتاح الآلة. فجعل راتبه خمسة جنيهات في الشهر، وهو بين الخامسة عشرة والسادسة عشرة

وكانت تلوح على وجهه امارات الذكاء، وتبدو من حركاته الهمة والنشاط. ورآه مدير سكة بنسلفانيان الحديدية مراراً. فأعجب باجتهاده وذكائهِ، ودعاهُ الى خدمتهِ وجعله كاتباً عنده ومديراً للتلغراف، فارتقى من منصب الى آخر مدة ثلاث عشرة سنة. حتى صار مديراً لقسم من تلك السكة. وتعرَّف بمخترع مركبات النوم، فشاركه وربح من ذلك ربحاً اعانهُ على الشروع في اعماله الاخرى التي كانت سبب ثروتهِ. واشترك مع بعض الاصدقاء وابتاعوا ارضاً بثمانية آلاف جنيه، وحفروا فيها آباراً لزيت البترول فربحوا بذلك مئتي الف جنيه. ولكنه بلغ الثلاثين من عمره قبلما عثر على الصناعة التي جمع منها ثروتهُ الوافرة

ذلك انهُ لما عُيِّن مديراً لسكة الحديد وجد ان شركة تلك السكة كانت تجرب عمل كبري (جسر) من الحديد. وكانت الكباري كلها الى ذلك الحين من الخشب. فقال في نفسه لا بدَّ من ان تبدل كباري الخشب بكباري الحديد، ويصير الاعتماد على الحديد وحده في المستقبل لانشاء الكباري فأنشأ معملاً صغيراً لعمل كباري الحديد واتسع عمله هذا اتساعاً عظيماً وزادت مكاسبه بازدياد السكك الحديدية. ثم رأى ان الصلب (الفولاذ) افضل من الحديد لخطوط السكك، وانهُ لا بدَّ من الاعتماد عليه. فانشأ المعامل لسبكه، وعمل هذه الخطوط منهُ وابتاع كل مناجم الحديد والفحم في البلاد المجاورة له، ثم في البلاد المجاورة لبحيرات اميركا. وأنشأ سكة طولها ١٨٦ ميلاً لجلب حجارة الحديد من المناجم الى المعامل. وكان يختار اغنى المناجم ويستخدم اقل الطرق نفقات في استخراج الحديد منها. فزادت ثروتهُ سريعاً الى ان بلغت ما بلغتهُ من الملايين الكثيرة

وكان على غناه المفرط وكبر سنه طلق المحيا انيس المحضر، كانهُ شاب في السادسة عشرة ليس في جيبه درهم. لم يورثه والده شيئاً من المال، ولكنهما اورثاه صحة جيدة واخلاقاً رضية وآداباً رائعة. فظلَّ ممتلئاً صحة ونشاطاً لا يدخن ولا يسكر ولا يعمل عملاً يلام عليه. وهو فوق ذلك من الكتَّاب المعدودين، حسن الانشاء منسجم العبارة واضح الحجة لا تمل كتابته ولو كانت في الاحصاء

ولما كتبنا ما تقدم في المقتطف كانت ثروته تقدر بأربعين مليوناً من الجنيهات. ثم زادت رويداً رويداً حتى بلغت مئة مليون جنيه

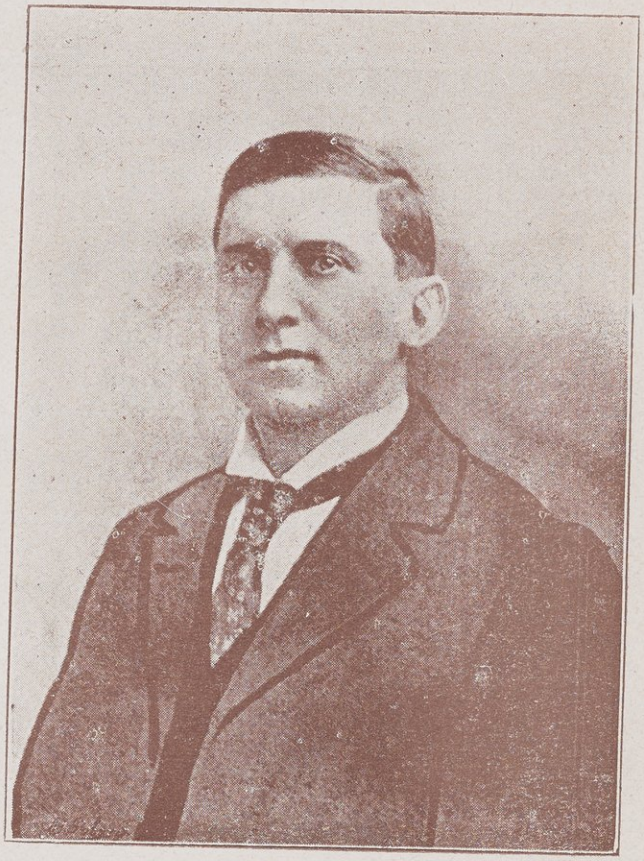

المستر شواب

(امام ص ٧٩)

والّف من الكتب المشهورة كتابه المعنون بما ترجمته : الديمقراطية الفائزة: طبع سنة ١٨٨٦ وانجيل الثروة : طبع سنة ١٩٠٠ . وهو صاحب المكاتب المجانية المنسوبة اليه . وقد انفق على انشائها عشرة ملايين من الجنيهات الى سنة ١٩٠٨. ومعهد كارنجي في بتسبرج وقد وهبه مليوني جنيه. ومعهده في وشنطن ووهبهُ مليوني جنيه ايضاً. ومال التعليم لجامعات اسكتلندا وهو مليونا جنيه . والمال الذي تدفع من ريعه المساعدات لاساتذة المدارس وعيالهم . وقلما تمر سنة الاَّ ويهب فيها جانباً كبيراً من دخله للاعمال النافعة. حتى بلغ مجموع الاموال التي وهبها سبعين مليون جنيه كما تقدم . وكان عازماً ان يهب كل ثروته ولا يبقى منها لابنته وذوي قرباه الاَّ القليل . ومن اقواله المأثورة ان من يموت غنيًّا يموت حقيراً . ويقال انهُ جرى في انفاق ثروته على الخطة التي وضعتها له امه

وكان من المؤمنين بامكان ابطال الحرب ونشر لواء السلام في المسكونة. وهو باني قصر السلام في هولندا لهذه الغاية . وله في ذلك خطبة نفيسة ترجمناها ونشرناها في مقتطف يونيو ويوليو سنة ١٩٠٦ بعنوان: رابطة السلام: وعقبنا عليها بمقالة مسهبة ابنا فيها انه لا يمكن ابطال الحرب الاَّ اذا انتفى الانتفاع منها ماديًّا وأدبيًّا

شواب

نجد بين ارباب الأموال كثيرين شبُّوا ودخل الواحد منهم بضعة غروش في اليوم، وشاخوا ودخل الواحد منهم الوف من الجنيهات. ولكن لم يذكر في تاريخ الامم ان اجيراً يعطى خمسة وعشرين جنيها في السنة. ثم تزيد اجرتهُ رويداً رويداً حتى تبلغ مائة وستين الف جنيه، وتصير لهُ ثروة تقدَّر بملايين الجنيهات . وهو لا يزال وكيلاً على اشغال غيرهِ ولا يزال في عنوان الشباب . هذه حال المستر شواب وكيل المستر كارنجي

قلنا في ترجمة المستر مورغان انهُ الف شركة من شركات الفولاذ رأس مالها ٢٢٩ مليون جنيه. وانهُ ابتاع حقوق كارنجي فيها باربعين مليوناً من الجنيهات. فلما تنحى كارنجي عن العمل طلب ان تعطي الادارة العامة للمستر شواب. واقترح ان يكون راتبهُ السنوي ١٦٠ الف جنيه، فكان كما طلب

وكان عمر المستر شواب (سنة ١٩٠٢) ٣٩ سنة. وبين الرجال الخاضعين لادارتهِ شيوخ وكهول

عركوا الدهر وادارو الاعمال الكبيرة حينما كان طفلاً يرضع. او فتىً يتعلم . ولد في قرية صغيرة سنة ١٨٦٢، وكان ابوهُ يعمل في احد معامل الصوف. وانتقل بهِ الى قرية اخرى اسمها لورتو وعمرهُ عشر سنوات. وهناك دير لراهبات الرحمة، فاحبنهُ وعلمنهُ وقام في نفسهِ ان لا بدَّ لهُ من ان يتعلَّم الهندسة ويصير مهندساً. فدرس العلوم الرياضية. واتمَّ دروسهُ سنة ١٨٨٠. وكان ابوهُ قد قاول ادارة البريد على نقل البوسطة الى لورتو، فجعل ابنهُ يحمل كيس البوسطة ويوزعها، ويساعد الفلاحين في اعمالهم، ويستعين بذلك على معيشتهِ. واحبهُ الفلاحون والرهبان والراهبات لوداعتهِ واجتهادهِ. فلما اتمَّ دروسهُ في المدرسة رأى ان لابدَّ لهُ من مغادرة تلك القرية. والاَّ اضطرَّ ان يدفن علمهُ ومواهبهُ فيها. فودَّع اهله آسفاً ومضى الى مكان فيهِ مسبك من مسابك كارنجي، عازماً ان يدخل فيهِ عاملاً. ولكنهُ لم يكن يعرف احداً فيهِ ولا كان معهُ كتاب توصية الى احد. وبعد اللتيَّا والتي دخل دكان بدَّال (بقَّال) صانعاً، وجعل يبيع عندهُ السكر والشاي والبن وما اشبهُ . وقد استفاد من ذلك فائدة كبيرة، لانهُ عرف اثمان الحاجيَّات

واتفق ان اتى الى هذا الدكان رجل من مديري مسبك كارنجي ليشتري شيئاً منهُ. ورآهُ شواب وكان يعرف من هو ويتمنى ان يتاح لهُ التكلُّم معهُ. فقابلهُ وافتتح الحديث معهُ بقولهِ ما احرَّ هذا النهار . فقال الرجل نعم الحر شديد هنا ولكنهُ لا يطاق في المسبك. فقال شواب ولكن ما اعظم الفرق بين المسبك وبين هذا الدكان! اواهُ لو اخذتني الى المسبك. فسرَّ الرجل بهذا الكلام، وقال لهُ انت فتىً فماذا تريد ان تصير لو دخلت المسبك؟ فقال اريد ان اصير مهندساً ميكانيكيًّا . فقال وهل تعلَّمت العلوم الرياضية اللازمة لذلك فقال نعم تعلمت كل ما يلزم. فقال وهل تقدر على دق الاوتاد . فاجاب اقدر على دق كل شيء . فقال وهل تقبل ريالاً في اليوم اجرةً . فاجاب اقبل اية اجرة تعطيني اياها . وكان ذلك سنة ١٨٨١ بعد ان اقام في دكان البدَّال ستة اشهر . فاتى بهِ الى المسبك، وجعل يعمل كل ما يُطلَب منهُ عملهُ بدقةٍ وهمةٍ واعتناءٍ . ولم يمضِ عليهِ ستة اشهر في المسبك حتى تمرَّن على كل الاعمال ، وارى كل من فيهِ انهُ رجل همةٍ وعزم وتفان في اتمام الاعمال من غير انتظار الاجر او الشكر. ورقي ذلك المدير الى منصب الادارة العامة في المسبك فجعل شواب مديراً بدلاً منهُ. فادار المسبك بهمةٍ لا تعرف الملل ولا تكلُّ من التعب. وارتقى رويداً رويداً حتى صار مديراً لاعظم شركة صناعية وجدت في المسكونة — لشركة رأس مالها ٢٢٩ مليوناً من الجنيهات كما تقدَّم وربحها السنوي عشرون مليوناً

ان من يقرأ السطور المتقدمة يرى في ارتقاء هذا الشاب، من اجير صغير اجرتهُ نصف ريال في اليوم الى مدير كبير اجرتهُ ١٦٠ الف جنيه في السنة. طفرة تكاد تكون من ضروب السحر او من انواع الخوارق. لانهُ قد لا يعلم ماهية الكفاءة، ولا كيف يقدرها اصحاب الاعمال قدرها . اما المستر كارنجي صاحب هذا المسبك فرأى ان الشاب مستوفٍ للشروط التي يطلبها

في مَن يدير اعماله. رآهُ سريع النظر سريع العمل سريع التغلُّب على المصاعب، كبير الهمة واسع الحيلة لا يعجزه شيءٌ ولا يعقدهُ شيءٌ. ومن مذهب المستر كارنجي ان الشبان الممتازين على غيرهم بالمواهب يجب ان يُفتَح امامهم المجال الواسع لاستعمال مواهبهم ويميَّزوا على غيرهم. وقد قدّر لهذا الشاب ان يفلح في كل عمل يتولاهُ، ولكن دخولهُ معامل كارنجي فتح امامهُ مجالاً للنجاح لا يجدهُ في غيرها. وكانت تلك المعامل في بدء عملها والطلبات تنهال عليها من كل فجّ. وكان عليهِ ان يديرها ويتولّى امر توسيعها بانشاء المسابك الجديدة، فأنشأ تسعةً منها تولّى رسمها بيدهِ، فاعرب عن مهارة فائقة في الهندسة الميكانيكية والادارة العامة. وبواسطتهِ أدخلت اصلاحات كثيرة حتى سهل على شركة كارنجي ان تناظر شركات الفولاذ في اميركا وفي اوربا ايضاً

ولما رأت الشركة منهُ ذلك جعلتهُ رئيس مهندسي قسم من معاملها، ومديراً لهُ. واشترك مع المدير الأول الذي جاء بهِ الى المسبك في استنباط اسلوب لمزج المعادن، اشتهر بهِ اسماهما وربحا منهُ ربحاً طائلاً. وسنة ١٨٨٧ عُرض عليهِ ان يكون مديراً للقسم الأهم من معامل كارنجي، فرأى هناك اوسع مجال لمهارتهِ. فاصلح آلات المعمل واساليبهُ حتى صار اقوى معامل الفولاذ كلها كما انهُ اكبرها

وكانت الحكومة الأميركية قد طلبت من شركة كارنجي مراراً أن تصنع لها صفائح الصلب لتصفيح مدرعاتها. فأبت لانها رأت ذلك مما يتعذّر عليها القيام بهِ. فلما اعطيت الادارة للمستر شواب ذكّر المستر كارنجي بهذا الموضوع. واقنعهُ ان اجابة طلب الحكومة من الممكنات، اذا كانت تطلب كمية كبيرة تفي بنفقات التجارب اللازمة للقيام بهذا العمل. فأجيب طلبهُ، ولم يمض وقت طويل حتى صارت شركة كارنجي أعظم الشركات لعمل صفائح الفولاذ للمدرعات الاميركية والروسية. ويعوزنا الوقت لو وصفنا التجارب التي جرّبها والمشاق التي عاناها للوصول الى هذه الغاية. وفيها الف دليل على ان نجاح هذا الرجل لم يكن نتيجة الصدفة والاتفاق بل نتيجة الهمة والتعقل

وتوفي مدير المسابك سنة ١٨٨٩ فجعل مديراً عامًّا بدلاً منهُ. ثم دعت الحال الى جعلهِ مديراً للمعامل والمسابك معاً وعمرهُ ثلاثون سنة. فتولى ادارتها كلها وفيها ألوف من العمال، ويخرج منها كل سنة ملايين طن من الفولاذ. فسهل على المستر كارنجي ان ينقطع للمطالعة والانشاء والسفر والنزهة، وهو عالم ان معاملهُ ومسابكهُ تدرُّ عليهِ ملايين الجنيهات، لأنها في يد مدير حكيم همام. وظلّ هذا الشاب يرتقي في اعتبار الشركة حتى جعل رئيساً لها. واخيراً جعل مديراً للشركة الجديدة التي الفها المستر مورغان من شركة كارنجي ومن سبع شركات اخرى كما تقدم

وقد يظن القارئ ان هذا الرجل اضاع عمرهُ في خدمة مستخدميهِ، فنجحت أعمالهم

باجتهادهِ ولم ينل منها غير الاجرة التي يتقاضاها سنة بعد سنة، ولو بلغت الوف الجنيهات، وانهُ رأى الارباح تزيد بسعيهِ وهو مكتفٍ بمدح الشركاء لهُ واجماعهم على زيادة راتبهِ. الاَّ ان ذلك امرٌ لايفعلهُ الاَّ كل خامل الذهن زاهد في الدنيا معتقد ان المال كثيرهُ وقليلهُ مجلبة للشقاء. اما المستر شواب فلم تبلغ منهُ سخافة العقل هذا المبلغ حتى يرى ابواب الكسب امامهُ ولا يلجها، بل كان يبتاع باجرتهِ اسهماً من اسهم شركة كارنجي، حتى بلغ ماعندهُ منها حينما انضمت الى سائر شركات الفولاذ ١٨٩٢٩ سهماً تساوي قيمتها الأصلية ٨٠٠ر٧٨٥ جنيه وتساوي قيمتها سنة ١٩٠٢ نحو تسعة ملايين من الجنيهات. اي ان صانع البدَّال صار من كبار الاغنياء باجتهادهِ الذي اغتنى بهِ غيرهُ . وقد كانت اجرتهُ وهو صانع عند البدَّال خمسين غرشاً في الاسبوع ، فصارت ٣٢٠٠ جنيه في الاسبوع . ولم يكن يملك شيئاً فصار يملك نحو تسعة ملايين من الجنيهات . ولهُ ايضاً ثلاثة قصور فخمة انفق على واحد منها ٧٥ الف جنيه . وان شئت ان تعرف رأيهُ في سبب نجاحهِ فاسمع ما قاله في هذا الصدد

« سألني البعض ما سبب ارتقائي حتى صرت آخذ ثمانمائة الف ريال في السنة بعد ان كنت آخذ ريالين ونصف في الأسبوع . وحقًّا اني لا أعرف السبب . ما من احد نجح بالصدفة او بالتوفيق . اذا لقيت رجلاً يقول انهُ لم ينجح لعدم التوفيق فاعلم ان التوفيق الذي عدمهُ هو الشيء الخفي اللازم للنجاح . وكثيراً ما يخطر ببالي ان هذا الشيء الخفي هو اندفاع الانسان الى الاعمال الشاقة واقتدارهُ على عملها

« يدخل ابن الغني ميدان الحياة مغلول اليدين ، لانهُ يرى حولهُ من المال ما يغنيهِ عن التعب والكدح، ولانه لايعرف قيمة لما عندهُ، لان قيمة الشيء على حسب التعب الذي ينال بهِ، وما تتعب على نيله كثيراً تزداد قيمته في عينيك عشرة اضعاف

« واني احسب ان اول نعمة انعم الله عليَّ بها هي انهُ خلقني فقيراً. فان الصفات التي بُني عليها نجاحي هي نتائج المشاق التي لقيتها في حداثتي، والاضطرار الى الكدح والاقتصاد وانكار الذات . ولا ابدل الاختبار الذي يكتسبهُ الولد من الفقر والمشاق باي مبلغ كان من المال، لاني اكون قد نزعت منهُ الاساس الذي يبني عليهِ نجاحهُ

« ولقد عرفت قيمة الريال وانا في السن الذي يدلَّل فيهِ الاولاد ويرفهون . عرفتُ ما يقتضيهِ من التعب وما يجلبهُ من الراحة والرفاهة. وانا عالم الآن كم بذلت من المشقة في كسب كل ريال كسبتهُ . ولا يضيع على المرء تعبهُ ولو تأخر جزاؤه »

وفي سيرة هذا الرجل صفحة اخرى لايصحُّ الاغضاء عنها . لما كان فتىً يتعلم في مدرسة لورتو احبَّ فتاةً فقيرةً مثلهُ، واحبتهُ هي كما احبها . وعزم ان يبذل كل ما في وسعهِ ليكتسب ما يمكّنهُ من الاقتران بها، والسكنى معها في مدينة من المدن بعيداً عن الجبال . ولما دخل

اللورد لفرهلم

(امام ص ٨٣)

دكان البدّال صانعاً ،ولم يجد امامهُ ما يحقق هذه الامنية ، بقي يكاتب الفتاة التي احبها وتكاتبهُ . حتى اذا دخل المسبك صار عمره ٢١ سنة وصار راتبهُ كافياً لمعيشتهِ ومعيشتها اقترن بها. وكان ذلك سنة ١٨٨٣. وزيدت اجرتهُ في العام التالي الف جنيه في السنة. ومن ثمَّ اخذت اجرتهُ في الازدياد وثروته في النمو حتى بلغتا ما ذكرناهُ آنفاً

وهو كاثوليكي المذهب ، وقد جازى الرهبان والراهبات الذين علموه في حداثته ببناء الكنائس والمدارس . ولم ينسَ بلدة لورتو التي قضى فيها ايام الصبا . فأنشأ فيها قصراً فاخراً ، ونوّرها كلها بالنور الكهربائي ، ووسع نطاق مدرستها . وهو يلجأ اليها كلما اراد الراحة من عناء الاعمال

لفرهلم

قال مؤلف «مرايا دوننغ ستريت» فيما كتبه عن اللورد لفرهلم «لا اظن احداً ينازع في ان اللورد لفرهلم اكبر ارباب الصناعة في انكلترا بل في المعمورة . انني لا اعرف احداً يقاربه في قوة الابتكار، حتى ولا في اميركا بلاد التجارة المتسعة التي انجبت كثيرين من كبار رجال المال والاعمال . فليس المستر روكفلر هناك سوى اسم للجنة من الماليين ، والمستر كارنجي لم يجمع ثروته الطائلة الاَّ بمعونة اعوانهِ المقتدرين . اما اللورد لفرهلم فقد انفرد في تشييد بنائه الصناعي العظيم . وقد كانت سلطته في جميع اعماله سلطة الحاكم بأمره » ولا نعلم لماذا لم يقارن المؤلف بين اللورد لفرهلم والمستر فورد فان بينهما وجوه شبه كثيرة اهمها قوة الابتكار والعناية بشؤون العمال

ولد لورد لفرهلم، واسمه الاصلي وليم هسكث لفر، في بلدة بولتن من اعمال لنكشير ببلاد الانكليز سنة ١٨٥١، وتلقى دروسه الاولية في معهدها الكنسي . وكان ابوه بقّالاً فانضم اليه بعد خروجه من المدرسة . واشتغل ببيع الصابون ، فصار فيما بعد اكبر صانعيه. وقد ذكر مرة امام نفر من اصدقائه ان الصابون الذي كان يبيعه في دكان ابيه ترك اثراً كبيراً في نفسه يقرب من الحب

وكان في سنة ١٨٨٤ قد استقل في الاتجار بأصناف البقالة والدهر يبسم له. فعزم ان يصنع الصابون، لكنه لم يجد لديه ما يصنعه بهِ. فاتفق مع شركة على ان تصنعه له في البدء ويتولى هو بيعه . ولعله اول رجال الاعمال الذين عرفوا قيمة الاعلان عن مصنوعاتهم. فانفق حينئذٍ خمسين

جنيهاً ليعلن عن صابونه هذا، فلم يقبل عليه الناس اولاً . وفي احد الايام دخلت عليه سيدة في محل تجارته وقالت «اريد مقداراً آخر من ذلك الصابون ذي الرائحة الكريهة». قال اللورد لفرهلم « ان هذه الامرأة اثبتت لي ان الصابون ، جيد فعزمت ان اصنعه بنفسي . والرائحة الكريهة التي ذكرتها كانت ناتجة عن عفن قليل على سطح الالواح، سببها فعل اكسجين الهواء بزيت الصابون ، ولكن الصابون كان جيد الصنع ينظف ما يغسل به »

وفي السنة التالية باع محل بقالته واقترض مالاً من ابيه. واشترى مصبنة في ورنغتون كانت تخص شركة مالية، باعته اياها لانها خسرت بها مبلغاً طائلاً من المال. فقضى شهوراً كاملة في اتقان صنع الصابون . بدأ في صنعهِ في شهر يناير سنة ١٨٨٦ بالاشتراك مع اخيه، فكان معملهما يصنع ٢٠ طناً في الاسبوع . ولم تمضِ عليهِ سنة حتى زاد ما يصنعه في الاسبوع من ٢٠ طناً الى ١٥٠ طناً . وكثرت عليهِ الطلبات فلم يستطع تلبيتها كلها، مع ان المعامل كانت تشتغل ليل نهار . ويقال انهُ كان ينهض صباح كل يوم فيقرأ الطلبات التي وردت ، فيلبي الطلبات التلغرافية اولاً ، واذا بقي من الصابون ما يكفي لتلبية الطلبات البريدية فعل والاَّ اهملها

وبعد ما انقضى على شرائه لمصبنة ورنغتون نحو ١٨ شهراً رأى وجوب التوسع في عمل الصابون والعناية بشؤون عماله، فاشترى ارضاً واسعة على ضفاف نهر المرسي مساحتها الآن نحو ٦٠٠ فدان، وبنى معامله الجديدة فيها ، فادخل في بنائها احدث المبادىء العلمية في التهوية والانارة، وبنى بيوتاً صحية متقنة يسكن فيها العمال . لانهُ اراد ان يكون المعمل اتقن ما وصل اليه العلم . وان يسكن العمال في بيوت نظيفة تحيط بها حدائق غناء يجدون فيها ما يستحقونه من الراحة والهناء

***

كان عمله هذا تجربة اجتماعية جديدة فجعل الناس ينظرون اليهِ شزراً . وكثير منهم تنبأ ان سينهار العمل الى الحضيض ويخسر صاحبه المتسرع كل ما جمعه من الثروة . ولكن هذه التجربة الصناعية الاجتماعية نالت من النجاح الباهر ما ناله الصابون الذي يصنعه صاحبها. بدىء ببناء هذه المعامل التي تعرف الآن « ببورت صنايت » سنة ١٨٨٨ . وما فرغ من بنائها حتى جاءها كثيرون من المصلحين والباحثين في احوال الاجتماع من كل امة وجنس، ليروا الاغراض الاجتماعية العالية مجسمة في المعامل والبيوت والحدائق ودور الالعاب والاجتماعات والحفلات المختلفة، ويقدر عدد الزائرين لمعامل صنليت بستين الف زائر في السنة

لا شك ان اللورد لفرهلم بدأ صناعة الصابون وغرضه النجاح فيها . ولكنه ما كان يتصور قط ان سيبلغ بنجاحه الدرجة العليا التي بلغها . فقد طلب من شركته بناء كنائس لعماله في بلاد النيجر بأفريقية لكثرة عماله هناك . ويقال ان الوف الجنيهات التي ربحها في السنة

الاولى جعلته يفكر هل ربحها محقّاً ، ولكنه بعد التأمل وجد انهُ احق من غيره بها . فقاده هذا الى النظر في حالة عماله الذين اشتركوا معهُ في نجاح عمله. فعزم ان يشاطرهم شيئاً من ربحه، وفي معامله سنة ١٩٢٥ نحو ١٧٠٠٠ عامل. لهم من اسهم شركتهِ ما قيمته مليونا جنيه ونصف مليون . وقد نالوا ارباحاً على هذه الاسهم تبلغ ٧٠٠٠٠٠ جنيه. وفيها ايضاً سبعة آلاف عامل أُخر منحوا تأميناً على حياتهم من غير ان ينفقوا مليماً واحداً عليها. وتبلغ قيمة هذه التأمينات مليون جنيه

من رأي ماركس ان الانتاج يتوقف على العمال فقط . ولكن اين تذهب قوة الاقدام والابتكار والتنظيم والادارة التي بدونها تتضعضع جميع الاعمال ؟ . وهذه الصفات العالية لا يأتي بها العمال بل صاحب المعمل ومنشؤهُ . واللورد لڤرهلم انشأ بفضل هذه الصفات ميداناً يعمل فيهِ الوف العمال وينالون جزاء عملهم جزاء وفاقاً

وكان شديد الثقة بالاعلان عن مصنوعاته بمختلف الوسائل والطرق . يقال انهُ استعمل الصور المتحركة وسيلة للاعلان سنة ١٨٩٧، حين كانت الصور المتحركة في مبدئها . وفي تلك السنة اعلن عن صابون «صنليت» في مسابقة اتوموبيلات جرت بين لندن وبريطن . وهذا يدلك على تمشيهِ مع الزمن ، وادراك الفرص حين سنوحها وقبل ان يدركها غيره . ولا يزال كثيرون يذكرون اعلاناً كبيراً نظمهُ اعوانهُ في جنيف، وهو اجراء مسابقة كبيرة بين غاسلات اوربا على ضفاف بحيرتها . فامَّ تلك المدينة غاسلات من كل انحاء اوربا وكانت المباراة اعظم اعلان عرف حتى الآن

كان للورد لڤرهلم ذاكرة قوية . وكان عقله خزانة حافلة بالحقائق والفوائد . قال اللورد ردِل في مقال كتبهُ عنهُ : انهُ كان قادراً ان يعدد فروع اعماله العظيمة ، وكل انواع اسهمها واسعارها، واثمان البضائع الاولية التي يشتريها ، واجور العمال وما ينفقهُ على الاعلانات . ولم تنحصر معرفتهُ في الامور المالية والتجارية، بل ضرب بسهم وافر في العلوم الاقتصادية. وكان من اكبر هواة الاثاث القديم والصور وفن العمارة . كان في وسعهِ ان يطلعك على تاريخ كل قطعة اثاث او صورة في مجموعتهِ الكبيرة النادرة. قال اللورد ردل زرتهُ مرة في قصره وحدث انهُ كان يبحث عن كتاب، فسار بي الى غرفة النوم، فوقع نظري على صور ازهار فسألتهُ عنها فقال انظر اليها كل صباح، فتنشطني . ثم شرع يحدثني عن مصوريها وتاريخها واسعارها واين اشتراها وفي اي وقت . بما يدلُّ على تملكه من ناصية الفن . وقد انشأ متحفاً للفن في بورت صنليت تذكاراً لزوجتهِ التي كانت لها اليد الطولى في نجاحهِ . ويقال ان في ذلك المتحف كأساً سوداء اشتراها بثمانمائة جنيهِ . وقد عرض عليهِ ٣٠ الف جنيه ثمناً لها فلم يبعها. واشترى سنة ١٩٠٢ دار ستفرد مقر دوق سذرلند واهداه الى الحكومة لتجعله داراً لمتحف لندن

كان ينام باكراً وينهض باكراً ، فلا يتأخر في نهوضه عن الساعة الخامسة . ويبدأ عمله كل يوم في الساعة السادسة. ولا يستريح الاّ ساعة واحدة بعد طعام الغدا . وقد ابتكر طريقة لكتابة رسائله. فكان يستدعي ثلاثة من الكتاب الذين يجيدون الاختزال ويملي عليهم الرسالة التي يريد كتابتها، فيدونوها . ثم يقابلون ما دونوه ويصلحون الاغلاط . ويتولى احدهم طبع الرسالة على الآلة الكاتبة . وذلك لكي لا يراجعها ويضيع الوقت في اصلاح اغلاط يقع فيها الكاتب لو كان وحده

هذا وقد انشأ فروعاً لاعماله في المانيا وفرنسا وسويسرا واستراليا والولايات المتحدة وكندا واليابان وغيرها. واشترى في بلاد الكنغو البلجيكية حراجاً واسعة الارجاء كان يستورد منها زيت النخل . وانشأ فيها مستعمرة سنة ١٩١١ سماها لفرفيل اي مدينة لفر . وهذا اسم عائلته الاصلي. واشترى سنة ١٩١٨ جزيرة لوِس من جزائر هبريديز قرب اسكتلندا. وغرضه ان يجعلها مركزاً لصيد السمك بالانتظام . ومنح لقب بارونت سنة ١٩١١. ولقب بارون لفرهلم سنة ١٩١٧. ولقب فيكونت سنة ١٩٢١ . وقد بلغ رأسمال شركتهِ المقرر ١٣٠ مليون جنيه سنة ١٩٢٢ . اكتتب بستة وخمسين مليوناً منها . وحاملو سنداتها عددهم ١٦٩ الف شخص. وكانت وفاته في ٧ مايو سنة ١٩٢٤

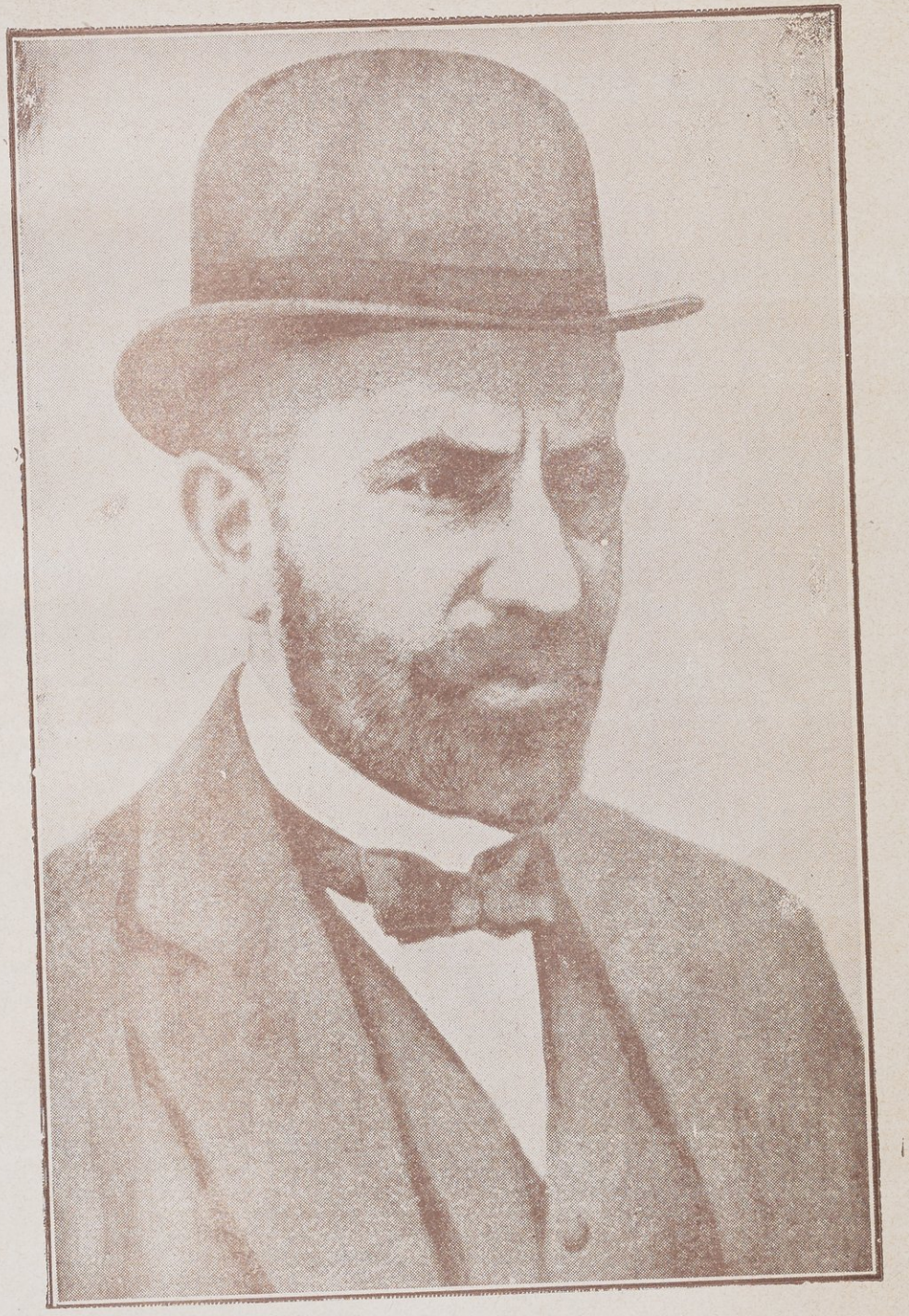

هوغو ستنس

(امام ص ٨٧)

ستنس

ملك المال الالماني

ورد اسم هذا الرجل مراراً في الجرائد اليومية. واطلعنا على وصف مسهب وصفهُ بهِ رجل اميركي، لقيهُ منذ عهد قريب وحدَّثهُ مليًّا في كثير من المسائل المعاشية التي يهمّ قرَّاءَ المجلات الاطلاع على رأيهِ فيها، لانهُ اعظم ماليّ في المانيا. واقدر مدير للاعمال الواسعة النطاق . فرأينا ان نقتطف من حديثهِ ما يلي :

قال الكاتب : ذهبت الى المانيا وغرضي الاول البحث في احوالها المالية ، لارى ما تستطيعهُ من حيث ايفاء الغرامة التي تُطلب منها، وتعمير ما تخرَّب من بلادها ومعاملها . وكان لي من وراءِ ذلك غرض آخر ، وهو ان التقي المالي ستنس واقف على آرائهِ . ولما تعذر عليَّ ان اجتمع بهِ في مدينة من المدن التي يتردد اليها، كسلسبرج وڤينّا ومونخ وهمبرج، قصدت ان انتظرهُ في برلين لكثرة تردده اليها. والسبيل الاكيد في المانيا للوصول الى رجل هو بواسطة البنك الذي يتعامل معهُ . فقصدت الدكتور فون ستوْس مدير البنك الالماني (دتش بنك). فاعطاني كتاباً الى ستنس يعرّفهُ بي ، ولكنهُ قال لي انهُ لا يظن انني اتمكن من مقابلتهِ. ثم ذهبت الى مدير شركة الاعمال الكهربائية التي لها اليد الطولى في ترقية المانيا صناعيًّا، وطلبت منهُ ان يساعدني على الاجتماع بستنس والتحدث معهُ، فقال لي ان ذلك ضرب من المحال لان ستنس لا يحادث احداً

ثم لقيت وكيل ستنس وهو ماجور من ضباط قلم المخابرات الالماني . ومن اعمالهِ تعيين الاوقات التي يقابل فيها ستنس من يريد مقابلتهم . فقال لي انهُ ينتظر مجيئهُ الى برلين بعد ايام قليلة ، ولكنهُ لا يقيم فيها اكثر من ٢٤ ساعة ، وكل ساعة من هذه الساعات لها شغل معين ومع ذلك وعدني ان يبذل جهدهُ حتى يجعلهُ يراني

وفي اليوم المعين جاء ستنس الساعة السادسة بعد الظهر. واخذ للحال يتذاكر مع مديري اعماله الى الساعة الرابعة بعد نصف الليل ونهض الساعة الثامنة صباحاً وعاد الى مذاكرة المديرين الى الساعة السابعة مساءً. ثم مضى الى مونخ آخذاً بعضهم معهُ في مركبتهِ لتتمة المذاكرة في اشغالهِ

وبعد أسبوعين عاد الى برلين، وكنت قد دعوت الماجور وكيلهُ الى العشاء مع رجل اميركي كان الماجور يريد ان يجتمع بهِ . ولما سألتهُ عن رئيسهِ قال لي انهُ آتٍ لأشغال مهمة جدًّا،

ولا يظن انهُ يستطيع ان يراني . فقلت لهُ انهُ يتعذَّر عليَّ ان أغادر المانيا من غير ان اجتمع بهِ ولو خمس دقائق . ثم ذهبت الى همبرج وبريمن وليبزك وليل ، وعدت الى برلين قبل الميعاد المضروب لعودة ستنس اليها . ولما جاءَ كانت أشغالهُ تستغرق كل دقيقة من وقتهِ ، فقطعت الامل من الاجتماع بهِ واخذت ورقة السفر الى بروكسل في القطار الذي يسافر الساعة الثانية بعد الظهر . وجمعت امتعتي الساعة الحادية عشرة ، وخرجت من الفندق في حاجة لي ، واخبرت كاتب الفندق انني اعود بعد عشرة دقائق . ولما عدت لاقاني هذا الكاتب وهو يقول مضطرباً ان ستنس سأل عني . فقلت واين هو الآن ؟ فقال ركب اتوموبيلهُ منذ دقيقة ومضى . فهرولت الى الغرفة التي ينزل فيها ، فقالت لي المرأة التي تديرها ان الرئيس (وهذا لقبهُ عندهم) كان يطلب ان تركب معهُ الى ادن هوتل . فنزلت حالاً قاصداً ان اتبعهُ ، واذ بالماجور يناديني ويقول لقد فتشنا عنك في كل مكان هاك بطاقة الرئيس . فاخذتها واذا هو قد كتب فيها بقلم الرصاص « اني متأسف جداً لانني لم اتمكن من الوصول اليك الساعة ١١ ونصف . واحييك »

والبطاقة بسيطة جداً واسمهُ عليها مطبوع بحروف عادية . اغنى اغنياء المانيا يحملهُ كرههُ للتبذير والظهور على حمل بطاقة مطبوعة بالحروف

فلم اقنع بهذه البطاقة ، وقلت للماجور لابدَّ لي من رؤية ستنس قبلما اذهب . فاشار عليَّ ان أخاطب ادن هوتل بالتيلفون واسأل عنهُ . ولم يكن الاَّ لحظة حتى رأيت ستنس داخلا ، فعرفتهُ من شدة مشابهتهِ لصورهِ التي رأيتها . وسرت نحوه ، وللحال عرَّفهُ الماجور بي ، فقلت في نفسي هذه فرصة لا تفوَّت ، وسرت امامهُ الى زاوية هناك وجلست معهُ نصف ساعة اكلمهُ واسمع حديثهُ

وهو عريض الوجه اصفرهُ ، متعب العينين اسود الشعر قصير اللحية اقنى الانف . كأنهُ من النسل السامي ولعل ذلك سبب ما يقال وهو انهُ يهودي . والحقيقة انهُ مسيحي انجيلي . الاَّ ان سحنتهُ شرقية ، حتى لو لبس عباءة لظن من عرب البادية . لباسهُ اسود ساذج مجعَّد كأنهُ ينام فيهِ . قبعتهُ واطئة وربطتها تكاد تصعد عنها . على رأسهِ بريطة سوداء ضيقة الرفرف يلبسها صيفاً وشتاءً . تراهُ فتحسبهُ كثير الهموم مضيَّع الافكار منهوكاً من التعب . ولكنهُ حالما يتكلم تبرق عيناهُ وتبدو منهُ قوة عزم وصلابة عود لم تكن تنتظرهما منهُ

سمعتهُ يشخص ادواءَ العالم الاقتصادية بالدقة والايجاز . ويبدي رأيهُ في ما تأول اليهِ كأن عينيهِ تخترقان حجاب الغيب . فقلت هنا رجل اعدَّتهُ الطبيعة لمحاربة الجبارين . عزيمة ماضية وهمة عالية وارادة من صلب الحديد وإقدام لا يعرف الاحجام . هذا ماتراهُ حينما تلقاهُ وتحادثهُ

حالما شرعنا في الحديث رأيت منهُ رجلاً لا يحجم عن مكاشفة محدثهِ بآرائهِ . قال لي انه آسف لانني اضطررت ان انتظر طويلاً قبلما تمكن من مقابلتي . وآسف ايضاً لانه لم يتمكن

من الاجتماع بي في اول النهار . وكنت احسب انه كتوم اضطر ان استخرج الكلام منه استخراجاً . لكنه لم يكن كذلك ، بل وجدته يفيض في حديثهِ بسرعة غريبة . وكنت قد عرفت بالاختبار ان خير السبل لتسهيل الكلام على من تحادثه ان تحادثه بلغتهِ . فحادثته بالالمانية ، واول سؤال القيته عليه هو « هل تستطيع المانيا ان تدفع الغرامة المطلوبة منها ؟ »

بادأته بهذا السؤال لانني اعرف مقدار اهتمام الالمان بامر الغرامة وامتعاضهم منها . فلم اذكرها لاحد منهم الاَّ احمرَّت وجنتاه واندفع في الكلام . فكان كما ظننت لانني لم اكد اطرح سؤالي عليه حتى قال

« يستحيل على المانيا ان تدفع ما طُلب منها . وهذا الاسلوب فاسد كله ، فاولاً المبلغ باهظ جدًّا لم يُسمع بمثلهِ . وثانياً اذا اردنا ان نوفّي القسط الاول وجب علينا ان نبتاع نقوداً اجنبية . فيرتفع سعر الريال ارتفاعاً فاحشاً ، ويهبط سعر المارك هبوطاً فاحشاً ، وتضطر مطابعنا ان لا تكف عن طبع ورق النقد . فيزيد مركزنا المالي ضعفاً على ضعف . وكيفما قلّبت نظرك في الغرامة وجدت فيها اموراً مستحيلة . فاذا ارادت المانيا ان توفّي ما يطلب منها مما يزيد في صادراتها احتاجت الى خمسة ملايين عامل فوق عمالها . فمن أين تأتي بهم ولم يبقَ لنا مستعمرات والحرب فتكت برجالنا ؟ . لم يصب امة مغلوبة من الذل ما اصابنا . كانت الامم المغلوبة تعطى وقتاً لتتنفس ، اما نحن فنشعر بيد الذين قهرونا آخذة بخناقنا » ثم جعل يصف حالة العالم المالية بعبارات وجيزة تكاد تكون من جوامع الكلم . وكنت اراها اميركية في ايرادها ومرادها اكثر منها المانية قال :

« العالم مريض كلهُ . وساسة اوربا لا يمهلونهُ حتى يشفى . نفر قليل من رجال الاعمال يجلسون وينظرون في حال العالم يستطيعون ان يصلحوهُ اكثر من كل رجال السياسة . اجمع مصيبة اوربا في ساستها ولا منجاة لها منها الاَّ اذا قضي عليهم

« لقد كان في طاقة فرنسا ان تجد منذ سنتين من الرجال والمواد ما يكفي لاصلاح ما خرب منها . لكنها لا تهتم بهذا الاصلاح على ما يظهر كما تهتم باذلال المانيا والقضاء عليها . جمهور الفرنسويين من اهل العقل الراجح الذين يحبون الاصلاح . ولكنهم خاضعون لصحافتهم وساستهم محمولون بها وبهم على ارغام المانيا

« على اوربا وسائر بلدان العالم ان تعلم انهُ لا يمكن العَوْد الى النظام الذي كان قبل الحرب من غير ان تعود المانيا منتجة كما كانت . لانها ضرورية لفلاح العالم ، فاذا اصلحت سريعاً اصطلحت احوال العالم سريعاً

« واذا لم تتعاون ممالك الارض معاً فقد قضي عليها لارتباطها بعضها ببعض . ولا ينجو العمران الاَّ بالتعاون »

وسألتهُ عن مستقبل المانيا فقال «يستحيل عليك ان تلاشي ستين مليوناً من النفوس، ولا سيما اذا كانوا من أهل العمل وصلاح حالهم يفيد العالم كلهُ . المانيا تودُّ ان تعمل وتتمم قسطها من الاصلاح، ولكنها تحتاج الى المواد الاولية التي تعتمد عليها في صناعتها . والذين عندهم هذه المواد لا يريدون ان يعملوا . الصناعة الالمانية انتعشت الآن بعض الانتعاش . وكان في الامكان ان يزيد انتعاشها لولا ما تجدهُ من العوائق

«ولا بد للصناعة من الشركات المنظمة . ولا يقصد بالشركات ابطال المنافسة بل التمكن من احراز ما يلزم من الوقود والقوة لكي يكثر المصنوع»

فسألتهُ ما هو اصلح تدبير تتفق عليهِ الامم المختلفة ويمكن العمل بهِ ؟

الى هنا كان كلامهُ وكلامي بالالمانية. فلما القيت عليهِ هذا السؤال جعل يتكلم بالانكليزية، وهو يحسنها غاية الاحسان فاجاب

« ان الحرب قد اثبتت بطلان المحالفات السياسية. وان اهم شيءٍ في العالم العمل الزراعي والصناعي . فعلى أمم الارض ان تهتم باعادة الحياة الى العمل . وعندي ان التحالف الصحيح المفيد هو التحالف الاقتصادي التحالف على اصلاح المعايش . تحالفٌ مثل هذا يجب ان يكون مؤلفاً من اميركا وانكلترا والمانيا، فيضمن معايش الناس، ومتى تمَّ ذلك سهل ابطال الحروب

فقلت اراك ادخلت انكلترا في هذا التحالف

فقال «نعم ادخلتها لانها اذا لم تدخل اقامت الدنيا واقعدتها . ويجب ان تدخل فرنسا ايضاً لانها عضو فعَّال ورجال فرنسا من رجال العمل »

ثم استطرد الى روسيا وقال « لا بدَّ من روسيا لاوربا وللعالم اجمع . لا بد من روسيا المنتظمة المشتركة في العمل روسيا التي تنتج وتصدر وتشتري . ولقد كان انفرادها وخروجها من مصاف البلدان المنتجة سبباً فعَّالاً في تأخر شفاء العالم ممَّا اصابهُ . لانه لا يمكن ان يبطل مائة مليون نفس ابتياع ما يحتاجون اليهِ من غير إخلال في ميزان تجارة العالم. اضف الى ذلك ان النمسا قد خربت، وان قوة المانيا على المشترى قد ضعفت جدًّا بما حلَّ بنقودها من الهبوط. وكانت النتيجة اللازمة عن ذلك ان حدثت هوة كبيرة في سوق التجارة . ولا بدَّ من ردمها، والاَّ بقيت الامور على ما نرى من التضعضع والخلل

« ولروسيا الفعل الاكبر في اوربا . ولا تستطيع بلاد واحدة ان تصلحها . بل ذلك يستلزم اتحاد اميركا وانكلترا والمانيا على اصلاحها . والالمان مؤهلون للعمل فيها بموقعهم الجغرافي ، ولانهم يعرفون لغتها ويدركون افكار شعبها »

وقبل ان اسأله مسألة اخرى استطرد الى موضوع آخر وقال « اتعلم ما هو اهم شيء للاصلاح بعد الخلاص من رجال السياسة ؟. هو في رأيي اشتراك اميركا الفعلي في امور اوربا .

فان السياسة التي يراد بها ابتعاد اميركا عن الاشتراك في مصالح اوربا من شأنها القضاء على اوربا. لاميركا مصالح كبيرة في اوربا فلا بدَّ لها من الاشتراك معها . ولكن ليس على الاسلوب الذي وضعه ولسن، لان اوربا محتاجة الى رجال فعَّالين لا الى رجال قوَّالين

وكلما تمادى في الكلام زاد اقتناعي بانه يحيط علماً بكل امور العالم . واستمرَّ يخاطبني بالانكليزية الاَّ حينما كان يصل في حديثه الى امر يريد تأكيد الكلام فيه ، فكان يعود الى الالمانية . واتضح لي انه كان متتبعاً لكل ما يجري بين الدول من المذكرات والاعمال . وقد اخبرني ثقة في اليوم السابق عن امر يمس علاقات اميركا الخارجية . وهو يقول هذا سرٌّ محض لكن ستنس ذكره لي حينئذٍ وقال انه لا يزال سرًّا

ولما رأيت انني ملأت جعبتي ، وان كتّابه وقفوا حولنا يرمقوننا بعين المنتظر المتضجر، قلت لا بدَّ من الوقوف هنا . لكن كانت نفسي تحدثني ان اسأله عن الغرض الذي يرمي اليهِ من كل هذا التعب وهذا الشقاء. فقلت له انك تزيد اشغالك وتوسع اعمالك كل يوم فالى اي غرض انت ترمي . ان بسمارك قصد ان يجمع شمل الممالك الالمانية ويجعلها امبراطورية واحدة ففاز ، فهل تقصد انت ان تجمع شمل المعامل وكل المصالح الصناعية وتديرها بنفسك ؟ .

وكان الى الآن يتكلم ووجهه اصفر لا حركة فيه. فلما القيت عليه هذا السؤال تبسم قليلاً وقال « هذا سؤال لا استطيع ان اجيبك عنه »

وكانت الساعة قد فاتت الواحدة فنهض فودعته وودعني بقولهِ auf wisdersehen اي الى اللقاء

***

لم ينشأ ستنس كاتباً بسيطاً في بيت تجاري. ولا عاملاً صغيراً كما نشأ كثيرون من اصحاب الملايين في اميركا. بل ورث من ابيهِ وجده ما كان يعدُّ في عصرهما ثروةً ولو لم يحسب شيئاً الآن . فان جدهُ متياس ستنس توفي سنة ١٨٥٥، وكان من كبار رجال الاعمال في عصرهِ، كان يملك مناجم فحم في وادي الرور Ruhr . وهو اول من اجرى السفن البخارية في نهر الرين لنقل الفحم من مناجمه . وفي تلك الرقعة نشأ كل رؤساء الاعمال من الالمان . وكان متياس ستنس واحداً منهم، وكلهم اهل جد ونشاط، لا همّ لهم غير السعي والكدح، بعيدين عن رفاهة العيش . ومنهم اغسطس تسن Thyssen وهو الآن في الثمانين من عمره، ولا يزال دئباً على العمل ورئيساً لاعظم المعامل في المانيا بعد معامل ستنس. تراهُ يسير اليها كل يوم الساعة الثامنة صباحاً بسيارة من سيارات الشوارع مع اصغر العمال كتفاً لكتف

ومن الغريب في امر هؤلاء الرؤساء ان اولادهم واولاد اولادهم حذوا حذوهم. كما يظهر من امر هوغو ستنس. فان جدهُ كان يعدُّ جباراً في عصرهِ. لانهُ بنى اكثر سفن النقل في نهر

الرين . وكان لهُ ثلاثة اولاد وكلهم ساروا في خطتهِ وزادوا في ثروتهِ . وهوغو ابن الولد الثالث وقد زاد ثروتهُ فوق كل ما كان يحلم بهِ جدهُ

ولد هوغو هذا سنة ١٨٧٠ ودرس في مدرسة عالية. وكان غرض ابيهِ ان يبقى مواظباً على العمل الذي انشأهُ جدهُ، اي استخراج الفحم الحجري ونقلهِ . ففعل ودخل المناجم عاملاً بسيطاً ، واقتلع الفحم بالمعول . ثم دخل مدرسة المناجم في برلين سنة ١٨٨٦، واقام فيها سنة وعاد الى الشركة التي انشأها جدهُ، وكان لامه ربعها وهي فرنسوية الاصل من الهغنوط البروتستانت الذين هاجروا من فرنسا . ولما صار لهُ من العمر ٢٣ سنة انفصل عن الشركة واشتغل وحدهُ . ورأس مالهِ ثلاثة آلاف جنيه لا غير . ومن ثم سار في عملهِ بخطى الجبابرة . فبلغ رأس مالهِ الخاص قبل الحرب مليوناً وربع مليون من الجنيهات . اما في زمن الحرب فاتسع نطاق اعمالهِ اتساعاً يفوق الوصف . وتضاعفت ثروتهُ اكثر من اربعة اضعاف . وبعد امضاء الهدنة صار الرئيس المطلق لادارة الشركات الصناعية

ولم يبلغ ما بلغهُ الاَّ لانهُ جرى على خطة معينة اختطها لنفسهِ ، ولو خالف بها كبار الاغنياء . فان خطة كارنجي كانت اختيار الرجال الاكفاء والاعتماد عليهم . اما ستنس فلا يعتمد على احد في اعمالهِ، بل يديرها بنفسهِ . ويحسب ان هذه الخطة يجب ان يسير فيها ابنهُ البكر بعدهُ ولذلك يدعوهُ ليحضر كل المذاكرات المهمة التي تستدعيها اشغالهُ . واذا تعذر عليهِ حضورها احضرها اخوهُ التالي، مع انهُ لا يزال في المدرسة الكلية . حتى اذا مات ستنس فجأة تولى اولادهُ اعمالهُ بعدهُ

وخطتهُ في ادارة الأعمال الصناعية الواسعة انهُ يقدّم الاموال اللازمة لانشاء العمل ، ويتولى ادارتهُ الى ان تروج اسهمهُ . فيحسب تسعة أعشار المال الذي دفعهُ، ويرسمل بهِ عملاً آخر وهلمَّ جرًّا . وعلى هذه الصورة انشأ سلسلة كبيرة من الاعمال . ولم يزل يديرها بنفسهِ . وهو يحسب ان ادارة العمل وانحصارها في شخص واحد من اول شروط النجاح فيهِ . ولما عرضت في مجلس النواب الالماني مسألة تولي الحكومة للاعمال الصناعية قال معترضاً على ذلك «انني حينما اريد الشروع في عمل اسأل هذين السؤالين: الاول من ينشىء لي هذا العمل؟ والثاني من هم العمال الاكفاء للسير فيهِ ؟ فاذا لم اجد الرجل الذي يستطيع انشاءهُ، ولا العمال الذين يستطيعون الجري فيهِ، تركتهُ . فيجب ان تتركوا لمديري الاعمال ما انشأوهُ وماهو خاص بهم»

كان الفحم الحجري الاساس الذي بني عليهِ ابوه وجدهُ ثروتهما . فلما صار عمره ٢٣ سنة رأى أنهما يكتفيان ببيع الفحم لسابكي الحديد . فيكون ربحهما منهُ قليلاً وربح السابكين كثيراً . فلم يكتفِ بما اكتفيا بهِ بل ابتاع كثيراً من مناجم الحديد، فملك ناصيتي الفحم والحديد الذي يسبك بهِ . ولم تمض عليهِ سنوات كثيرة حتى قبض على زمام هذين المعدنين في وادي

الرور. فانهُ صار يدير ستين منجماً من مناجم الفحم، يستخرج منها عشر ما يستخرج من مناجم المانيا كلها . ولعلهُ الرجل الوحيد الذي استطاع ان يصدر الفحم الى انكلترا . وزد على ذلك انهُ ابتاع كل سفن عائلة ستنس التي تمخر نهر الرين، واستقلّ بها. فصار النقل في انهر الرين والألب والاودر في يدهِ. وامتدت سفنهُ الى البحر الشمالي وبحر البلطيك والبحر الأسود وبحر الروم والاوقيانوس الاتلنتيكي

ونشبت الحرب العظمى وستنس يملك الفحم والحديد والفولاذ (الصلب) ، وهي عماد الحروب . وكانت المانيا تحسب النصر حليفاً لها، ولم يخامرها ريب في ذلك. فانفقت بكرم حاتمي على المواد اللازمة لها، واخصها الفولاذ. فارتفع ثمنهُ خمسة اضعاف . وقلّ الفحم عند الحلفاء ، وكان كثيراً عند الالمان . فحسبوا انهُ سيكون الواسطة الكبرى لقهر خصومهم . وباعوا منهُ لهولندا وسويسرا واسوج والدنمارك باثمان فاحشة . وكان لستنس نصيب وافر من الربح من بيع ما عنده منهُ ومن نقل ما عند غيره . ورأى فيهِ الجنرال لودندرف رجلاً يماثله هو في ادارة الحرب وستنس في ادارة الصناعة. فصار لهُ المقام الاول في ديوان المواد الاولية ببرلين، واليد الطولى في دفع الناس الى الخدمة العسكرية. وفي وضع صناعات البلاد لخدمة رجال الحرب . وادار مناجم فرنسا وبلجكا التي استولى عليها الجيش الالماني. واخذ العمال من معامل بلجكا وفرنسا الى معامل المانيا لما اقتضت الحرب تجنيد عمالها

ولم يخفِ ما كان يرمي اليهِ استيلاء المانيا على مناجم الفحم البلجيكية ومناجم الحديد الفرنسوية . وتظهر ثقتهُ بان الفوز يكون لالمانيا من اهتمامهِ بانشاء ثلاث شركات كبيرة وهي الشركة الصناعية والشركة التجارية والشركة المعدنية. والغرض من هذه الشركات الاستيلاء على كل صناعات البلجيك وقد انشئت سنة ١٩١٦ حينما كانت الدلائل كلها تدلُّ على ان الفوز سيكون للالمان. لكن هذه الشركات بقيت حبراً على ورق. فلم يتم امرها بل زالت كما زالت سائر امانيّ الالمان وبدَّدتها نيران نوفمبر سنة ١٩١٩. اما اعماله الخصوصية فلم يعترها الفشل بل قويت واتسع نطاقها اي اتساع . وكان الامبراطور قد قال: ان مستقبل المانيا على الماء: فبادر ستنس الى تحقيق ذلك. فابتاع بواخر شركة شرق افريقية الالمانية سنة ١٩١٦ . ثم ابتاع جانباً كبيراً من شركة همبرج اميركا وشركة نورث جرمان لويد . وسنة ١٩١٧ اشترى محل هدمن الذي كان مالكاً ناصية الملاحة في همبرج منذ سنة ١٨٤٨. وابتاع معهُ سفناً وارصفة ومخازن كثيرة

وسنة ١٩١٧ انشأ شركة الملاحة والتجارة الاوقيانوسية المسماة باسمهِ. وجاء في رخصتها (براءتها) انها تستطيع ان تبني السفن وتستعملها. وتصنع المركبات وتنشىء المعامل. وتشتغل بكل عمل صناعي او تجاري . فلا حد للاعمال التي يحق لها ان تتعاطاها . ويدير هذه الشركة ابنهُ الاكبر، ومقره في همبرج

وفي اوائل سنة ١٩١٨ اشترك في شركة البترول الالمانية الاميركية. وابتاع بعض فنادق همبرج وبيوتاً تجارية في كونتسبرج وبرمرهفن. ثم ابتاع شركة الملاحة في البلطيك. وشرع في بناء اثنتي عشرة باخرة كبيرة من البواخر التي تسافر في الاوقيانوس حتى اذا وضعت الحرب اوزارها يستطيع ان ينقل بضائع معامله في سفنهِ غير حاسب حساب الانكسار. ولهذه الغاية اشترى حراجاً فسيحة في المانيا لكي يأخذ الخشب منها لبناء سفنه ومعامله. فاخطأ في حسابهِ على غير عادته

لكن فشل المانيا في الحرب لم يفتّ في عضدهِ ولا اضعف عزيمتهُ. بل تراه قد جنى الفوز من الفشل. فصار صديقاً للجمهورية كما كان صديقاً للامبراطورية. وشارك العمال في كسبه من كل اعماله كاحد زعماء الديموقراطية

وابتاع الجريدة التي تعدّ نصف رسمية (دتش الجمن زيتونج) ثم ابتاع جرائد اخرى. ولما رأى ان ربحها قليل او ان لا ربح منها بحث عن السبب، فوجده غلاء الورق. فابتاع بعض معامل الورق ومعامل الرُّب الذي يصنع الورق منهُ، والحراج التي يستخرج الرب من خشبها. ثم ابتاع شركة التلغراف التي تجلب الاخبار التلغرافية، واعظم بيوت طبع الكتب ونشرها. فاستولى على كل وسائل النشر، من الحراج التي يصنع الورق من خشبها الى مطابع طبع الكتب والجرائد. وجرى في ادارة الكتب والجرائد كما جرى في ادارة مناجم الفحم والمعادن. ولو اردنا ذكر كل معامله والاعمال التي في ادارته لملأ ذلك صفحات كثيرة. فان منها مركبات الشوارع ومعامل الاتوموبيل ودور صنعة السفن، ومعامل الاصباغ والغاز والمواد الكيماوية وآبار البترول ومصايد الاسماك وسفن النقل وغير ذلك مما يطول شرحه. ولهُ مصالح كبيرة جدًّا في النمسا واسوج والدنمارك وايطاليا واسبانيا وبرازيل وفرنسا وانكلترا والولايات المتحدة

ولما حضر مؤتمر سبا مع الوفد الالماني لتخبير في مسألة الفحم الحجري عرفهُ الناس كما هو. فانهُ لما قرأ تقريرهُ عن الفحم وصف دول الحلفاء ولاسيما فرنسا بانها مصابة بداء الفتح. فانتهره رئيس المؤتمر، اما هو فنظر اليهِ وقال «انني لم آتِ الى هنا لاجل المجاملة»

ورب قائل يقول كيف يدير انسان واحد هذه الاعمال كلها؟. والجواب انهُ لو كان رجلاً عادياً لاستحال عليهِ ان يديرها، اما وهو رجل غير عادي فقد تمكن من ادارتها بتقسيم هذه الادارة الى فروع مثل دواوين الحكومة. فعنده فرع للامور المالية مختص باستعمال المال والقروض والرهون. ودفاتر هذا الفرع محفوظة بالدقة التامة فيستطيع ان يقف على رصيد اموالهِ في كل يوم. وعندهُ فرع للشحن، وفرع للفحم، وفرع للمعامل، وفرع للجرائد وفرع للتجارة الخ. ولكل فرع رئيس مسؤول عنهُ لديهِ. ويوم يجيء برلين يجتمع بهؤلاء الرؤساء ويقف منهم على احوال اعمالهِ كلها. ومركز ادارتهِ الاكبر في ملهيم Mulheim مقر عائلتهِ

سسل رودس

(امام ص ٩٥)

الاول . ولهُ ادارات واسعة في برلين وهمبرج . ومركز الادارة الكبرى في دماغهِ

ومن المحتمل انهُ لا يزال ملكيًّا لان حب السلطة مغروس في فطرته . ولذلك سمى ثلاثاً من البواخر التي بناها لتمخر في الاوقيانوس باسم ثلاثة من اركان الامبراطورية. وهم هندنبرج وتربتز ولودندرف. وكل واحد من هؤلاء انزل الباخرة المسماة باسمهِ وقت انزالها الى البحر . ولكن لا يستنتج من ذلك انهُ من القائلين بارجاع الامبراطور السابق واولادهِ . لانهُ احكم من ان ينصر بيتاً قضي عليهِ

وخلاصة المقال انهُ رجل عملي من اهل العمل لا من اهل النظر . لما ابتاع قصر ويسكلم قال الذين يجهلونه انهُ سيترك العمل وينقطع الى الراحة ويجعل قصرهُ مباءة للاصدقاء والعظماء. ثم ظهر انهُ ابتاع ذلك القصر لان في الاراضي التابعة لهُ مناجم غنية

ولا يُعلَم الآن كم ثروتهُ ولكن الاجماع على انهُ اغنى رجل في المانيا. وقد سئل مرة لماذا تتعب بعد ان صار لك هذا المقدار من الملايين ؟ : فقال «انني اتعب لاولادي» . هذه النعرة للاولاد من الغرائز الراسخة في البشر وفي كل الاحياء

سسل رودس

ولد في السابع من شهر يوليو (تموز) سنة ١٨٥٣، وابوه من خدمة الدين ليس على شيء من الثروة، ودرس في مدرسة البلد الذي ولد فيه، وبدت عليهِ مخايل النجابة في حداثته. ففاق اقرانه في الدرس واللعب وانجاز الاعمال ، وكان من الجوائز التي نالها لبراعته نفقة تعليمه العلوم اللغوية التي مهدت لهُ السبيل للدخول الى مدرسة اكسفرد في ما بعد . وهذا امر شائع عند الاوربيين يجيزون النابغين من التلامذة بنفقة تعليمهم، حتى اذا كانوا فقراء لم يمنعهم فقرهم عن التعلم في المدارس العليا

وكان لهُ اخ اكبر منهُ واسمه هربرت، كان قد ذهب الى جنوبي افريقية واقام يزرع القطن في بلاد ناتال . فمضى اليهِ وبلغ دربان في اواخر سنة ١٨٧٠ . وجعل يساعده في اعمال الزراعة المختلفة . فطابت لهُ الاقامة في تلك البلاد لما رآه من طيب هوائها واتساع المجال فيها لاهل الهمم . ويقال انهُ شرع يحدث نفسه من ذلك الحين بتوسيع نطاق السلطة البريطانية في تلك الارجاء

وكان اهل الخبرة يحسبون ان جنوبي افريقية سيناظر جنوبي الولايات المتحدة الاميركية

في زرع القطن. وان مستقبله متوقف على ذلك، لان غنى مناجمه لم يكن معروفاً. ولم يكن يخطر على بال احد ان يُكتشف في تلك البلاد اغنى مناجم الذهب والماس، فيمتلكها اغنياء انكلترا ويسوقوا الحكومة الانكليزية الى حرب عوان تهلك الالوف قبل ان تنشر راية الامان

ولما وصل سسل رودس الى تلك البلاد كانت الاشاعات قد تواترت فيها عن وجود حجر كبير من حجارة الماس عند قبيلة من القبائل الافريقية. وصدَّق كثيرون هذه الاشاعات وضربوا في مجاهل افريقية باحثين عن هذا الحجر، ثم عادوا بخفي حنين. فقال البعض ان الاشاعة كاذبة فعادوا لا يعبأون بها. وبقي غيرهم مصدقين لها يبحثون عن الحجر كلما مكنتهم الفرص. ومن هؤلاء المصدقين رجل اسمه فان نيكرك. بقي يضرب بين القبائل وهو يفتش عنهُ الى ان وجده عند ساحر من سحرتهم يستعمله عوذة في شفاء الامراض. وكان ذلك في اواخر سنة ١٨٦٩. فلما وقعت عينه عليهِ قال هذا هو ضالتي المنشودة وطلب من الساحر ان يبيعه اياه فابى. فجعل يزيد لهُ الثمن وهو يزيد اباء. واخيراً عرض عليه ان يعطيه بدلاً منه العربة التي كان يسافر فيها والثيران التي تجرها. فدهش الساحر من هذا الثمن وقال هذا غنى لم اكن احلم بهِ. فاعطاه الحجر وأخذ منهُ العربة والثيران. وعاد فان نيكرك به الى مدينة الرأس وباعه بأحد عشر الف جنيه. وهو من اجمل حجارة الماس وأصفاها ماء، سمي بنجم افريقية الجنوبية واشترته كونتس ددلي بثلاثين الف جنيه

ونحو ذلك الوقت رأى احد البوير اولاداً يلعبون بحصىً براقة. فنظر فيها واذا واحد منها ماس، فأخذه وباعهُ بخمسمائة جنيه. وتكرر وجود حجارة الماس حتى لم يبقَ شبهة في انهُ كثير في تلك البلاد وله مناجم فيها. فقام مئات من الناس يفتشون عنهُ وهم يحسبون انهم يجدونهُ في مسيل نهر الفال كما يوجد الذهب في مسايل الانهر. وأخيراً كان بعضهم يفتش عنه في بحيرة صغيرة جف الماء منها، فوجد كثيراً منه في الطين الراسب فيها

وكان على مقربة من هذه البحيرة كوخ لفلاح من البوير مبني بالطوب النيء (اللبن المجفف في الشمس). فأتى هؤلاء الرجال اليهِ ليستريحوا، فرأوا في جدرانهِ حجارة تلمع. فنظروا فيها واذا الجدران مرصعة بالماس، لانها كانت مبنية من الطين الراسب في البحيرة

وشاع الخبر حالاً، ووصل الى مدينة الرأس فتوارد الناس افواجاً الى تلك البحيرة، واقتسموا ارضها بالشبر، وكان ذلك سنة ١٨٧٠. وكان هناك سنة ١٩٠٢ منجمان من مناجم الالماس الاربعة وهما منجم دتوتسبان ومنجم بلتفنتين وهما قليلا الالماس. وفي السنة التالية اكتشف منجما ده بيرس وكمبرلي. والاخير اصغر هذه المناجم الاربعة واغناها

وبلغت اخبار الماس هربرت رودس كما بلغت غيره. فقام مع من قام لطلب الغنى من اقرب ابوابه، بدلاً من الاعتماد على شجيرات القطن والحرث والزرع والتسميد. واخذ نصيباً من قطعة صغيرة

في منجم ده بيرس. ثم استدعى اخاه سسل اليه واشركه معه فوجدا كثيراً من الماس في قطعتهما من اول يوم

وكان الماس يوجد في الحصى الصفراء . فتحفر وتسحق ويبسطها صاحب المنجم وينتقي حجارة الماس منها بيده . وكان سسل رودس في ذلك الحين شابًّا في الثامنة عشرة من عمره. طويل القامة قليل الكلام لا يعبأ بلبسه ومنظره. وقد امتاز من ذلك الوقت بذكاء عقله وبأنهُ اوسع ادراكاً من الرجال الذين حوله من طلاب الجواهر، وأبعدهم نظراً في العواقب. وكان يجلس على كرسيه ساعة بعد ساعة وهو يفكر . كأنه ينظر في سجل المستقبل ويقدر ما تأول اليه احوال تلك البلاد

ولم تطل الايام على هربرت رودس حتى سئم الاقامة في مناجم الماس. فترك حصته لاخيه، وضرب شمالاً الى حيث كشف عن مناجم الذهب يفتش عن المناجم الجديدة ، ويصطاد الوحوش البرية. وبعد نحو خمس سنوات كان في خص من القصب فاحترق بهِ ومات

ولم تمضِ سنتان على سسل رودس حتى ربح من الماس الذي وجده ما سهل عليه الرجوع الى انكلترا ودخول مدرسة اكسفرد لاتمام دروسه فيها. وعزم ان يقضي مدة الدرس في المدرسة ثم يعود وقت اجازة الصيف الى مناجم الماس الى ان ينال الشهادة . ومضت السنة الاولى بسلام لكنه اصيب بزكام شديد في آخرها ايفت بهِ رئتاه . وظن الاطباء انهُ مصاب بالسل وانه لا يشفى منه ولو عاد الى افريقية اما هو فعاد اليها وقت الاجازة وبقي فيها يستخرج الماس الى ان حان وقت الدرس، فعاد الى المدرسة. واستمر يفعل ذلك الى ان اتم دروسه ونال الشهادة. وكان يقضي ايام السفر ذهاباً واياباً في الدرس. همة عالية تدل على مقدرته الطبيعية والاكتسابية. والظاهر ان هواء افريقية وسفر البحر لاءما صحته فشفي من داء السل . كما ان العلوم التي تعلمها في اكسفرد وسعت عقله. واختباره واهلته للاعمال العظيمة التي قام بها بعدئذ، ولمعاشرة العظماء الذين اتصل بهم

واول شيءٍ ادركهُ بزكانة عقلهِ وحسن استدلالهِ ان الماس متولد من اصل بركاني، فيستنزف مايوجد منهُ على وجه الارض قريباً، ويصير استخراجهُ من باطنها امراً عسيراً لا يستطيعهُ اصحاب المناجم الصغيرة ، مالم يتحدوا معاً ويؤلفوا شركة كبيرة كثيرة المال لاجل الانفاق على حفر المناجم العميقة . والظاهر ان المستر برناتو الذي كان يستخرج الماس من منجم كمبرلي اتصل بحدسهِ الى النتيجة التي اتصل اليها رودس في الوقت نفسهِ

وكانت اراضي المناجم مقسومة اقساماً صغيرة ، كل قسم منها اقل من عشرة امتار مربعة . وكان نصيب سسل رودس واخيهِ ربع قسم منها . وكانت حكومة الترنسفال تمنع الانسان الواحد

ان يمتلك اكثر من قسم واحد. ثم عدّلت هذا المنع ، فاجازت للواحد ان يمتلك عشرة اقسام. ثم أزالت المنع مطلقاً . وكان سسل رودس ينفق ما يكتسبهُ في توسيع ما يمتلكهُ بابتياع اقسام اخرى

ونفد الماس من الحصى الصفراء، والناس لا يعلمون انهُ يوجد في غيرها كما استنتج رودس بفراستهِ . فجعلوا يبيعون اقسامهم وانصبتهم باثمان بخسة، ورودس يشتريها منهم. حتى صار لهُ جانب كبير من منجم ده بيرس . وصار يسهل عليهِ ان يؤلف لهُ شركة كبيرة. وكان منجم كمبرلي قد سبقهُ الى ذلك وتألفت لهُ شركات عديدة افلست حالاً ، فضاعت فيها اموال كثيرة ورأى رودس ان الفرصة لا تساعدهُ على تأليف الشركة التي يريدها . وكانت تلك الشركات قد اكثرت من استخراج الماس، فزاد على الطلب، ورخص ثمنهُ جدًّا، حتى صار القيراط منهُ يباع بخمسين غرشاً. مع ان نفقات استخراجهِ تبلغ خمسة وسبعين. فاشترى كثيراً من الاسهم باثمان بخسة ورأى ان لا بدَّ من ان يشترك اصحاب منجم ده بيرس ومنجم كمبرلي معاً، ويتفقوا على ان لا يستخرجوا من الماس الاَّ ما يكفي لاسواق اوربا واميركا. حتى لا يزيد المستخرج على المقطوعية فترتفع الاسعار وتعود الى ما كانت عليهِ

ومنجم كمبرلي لا تزيد مساحتهُ على اربعة افدنة ونصف فدان. لكنهُ كان يثمَّن باكثر من خمسة ملايين من الجنيهات. وكان لالف وستمئة من الشركات والملاَّك الذين يجب استرضاؤهم. فجعل رودس يحثهم على الاتفاق معهُ. واستمرَّ على ذلك سبع سنوات. ولم تأتِ سنة ١٨٨٥ حتى صارت المناجم الاربعة لاقل من مائة من الشركات والملاَّك. وكان منجم ده بيرس مقسوماً ٥٩١ قسماً، فصار ٨٢ منها لسبع شركات و ٩ اقسام لثلاثة اشخاص . واعظم هذه الشركات السبع شركة ده بيرس انشأها رودس وجعل رأس مالها ٢٠٠٠٠٠ . ثم جعل يزيدهُ ويشتري بهِ اقساماً أخرى حتى صار ٨٥٠ الف جنيه سنة ١٨٨٥ . ووزعت هذه الشركة حينئذٍ ٧½ في المائة ربحاً على مساهميها. ولم تمض سنتان حتى اشترت حصص بقية الشركات والاقسام الباقية. فصار منجم ده بيرس كلهُ لها. وزاد ربحها رويداً رويداً فوزعت ١٢ في المائة سنة ١٨٨٦، و ١٦ في المائة سنة ١٨٨٧ ، و ٢٥ في المائة سنة ١٨٨٨ . واشترت حصصاً كثيرة في منجم كمبرلي

وكان سسل رودس المدير لهذه الشركة ، والمالك لاكثر اسهمها ، قد اتقن أساليب الحفر واستخراج الماس . حتى زاد ربحها الى هذا الحد وليس في امكانهِ ان يزيدها اتقاناً . فلم يبق امامهُ سبيل للكسب الاَّ اذا اتفق مع اصحاب منجم كمبرلي على رفع ثمن الماس. لا سيما وانهُ اغنى من منجم ده بيرس واكثر الماساً منهُ. ولا يعسر ان يخرج منهُ كل الماس الذي يمكن بيعهُ في الدنيا. فتفلس شركة ده بيرس في سنة او سنتين . وهذا ما كان يقصدهُ برناتو صاحب الحصَّة الكبرى في منجم كمبرلي. حتى اذا افلس رودس وشركتهُ اشترى هو منجم ده بيرس وتصرف في ثمن الماس على ما يشاء . ولو تمَّ لهُ ذلك وبقي في قيد الحياة لكان الآن اغنى أغنياء الدنيا بلا

استثناءٍ . ولكن حيلة رودس كانت اوسع من حيلتهِ وحياة رودس اطول من حياتهِ

وعاد رودس من بلاد الانكليز لهذا الغرض وقابل بيت روتشيلد وقال لهم اني لا أخاف الاَّ من هذا الشاب اليهودي برناتو. وكان برناتو شابًّا من فقراء لندن هاجر الى جنوب افريقية وهو لا يملك شيئاً . فاجتهد ودبر واقتصد وساعدهُ التوفيق حتى امتلك الجانب الاكبر من منجم كمبرلي، وصار هذا المنجم لثلاث شركات، الواحدة لهُ والثانية انكليزية متفقة معه والثالثة فرنسوية مستقلة عنه . فأسرع رودس الى باريس ليشتري هذه الشركة ، فقبل مديروها ان يبيعوهُ اياها، واتفقوا معه على الثمن. وبلغ برناتو ذلك فبعث اليهم يقول انهُ يدفع لهم ٣٠٠٠٠٠ جنيه زيادة عما دفع رودس. فعاد رودس وزاد على ما دفعهُ برناتو. وظلاَّ يتزايدان الى ان رسا المزاد على رودس. فاغتاظ برناتو من ذلك، وعزم ان يرخّص ثمن الماس حتى يفلس رودس وشركتهُ وجاهر بذلك. والظاهر ان بيت روتشيلد وغيره من المشتركين مع رودس خافوا العاقبة فلم يجاروا برناتو على قصده. واخيراً تألفت شركة كبيرة رأس مالها نحو اربعة ملايين من الجنيهات، اشترت منجم ده بيرس ومنجم كمبرلي ، واستأجرت منجم دتوتسبان ومنجم بلتفنتين ، حتى لا يناظراها واقفلتهما . ولم يكن مال الشركة وهو اربعة ملايين من الجنيهات كافياً لابتياع الاسهم كلها. فاستدانت من بيت روتشيلد نحو تسعة عشر مليون جنيه ربا ٥ ½ في المائة، ورفعت ثمن قيراط الالماس حالاً من ١٣ شلناً الى ٢٧ شلناً. ووزعت على حاملي اسهمها مليون جنيه في السنة. فارتفع ثمن السهم من خمسة جنيهات الى اربعين جنيهاً . ويقال ان سسل رودس ربح من توحيد هذه الشركات اكثر من مليون من الجنيهات. فاذا فرضنا انهُ اشترى اسهماً به فقط فقد بلغ ثمنها ثمانية ملايين من الجنيهات. ومعلوم ان قسماً كبيراً من منجم ده بيرس كان لهُ . فثروتهُ اكثر من ذلك كثيراً، وهو ينفق امواله على المصالح العمومية ولا ينفق على نفسه شيئاً يذكر. حتى قيل انهُ منع مرةً من الدخول الى معرض كمبرلي لحقارة ملبسه

هذا طرف من سيرة هذا الرجل الذي طبَّقت شهرتهُ الآفاق واهتمَّ الناس بمرضه اهتمامهم بمرض ملك عظيم الشأن. ولا عجب فهو ملك الذهب والماس ورائد ملك واسع الارجاء

وصيته

يجب ان يصير في مدرسة اكسفرد الجامعة سنة (١٩٠٦) ٢٥٠ تلميذاً من البلدان الانكليزية والولايات المتحدة الاميركية يدرسون العلوم والفنون معاً كاخوة في بيت واحد. يعطي لكلٍّ منهم ثلثمائة جنيه في السنة لينفق منها على نفسهِ وعلى تعليمهِ، فجملة ما يعطى لهؤلاءِ التلامذة خمسة وسبعون الف جنيه في السنة. وهي ربع مليوني جنيه او اكثر اوصى بها سسل رودس لتعليم ابناء اللغة الانكليزية وتهذيبهم. اوصى بها الرجل الذي مضى الى جنوبي افريقية منذ

ثلاثين سنة فتىً لا يكاد يملك شيئاً. فخدمهُ سعدهُ حتى صار من اصحاب الملايين ، ورأى فائدة العلم في توسيع نطاق العمل وتعميم مدار الفوائد اذا حازهُ من يولد وبهِ ميل فطري الى قيادة الناس وعمل الاعمال الكبيرة. فأراد ان يسير شبَّان أمتهِ في الخطة التي سار فيها، واختصر لهم الطريق حتى لا يضطروا ان يسافروا من بلاد الى اخرى سنة بعد سنة، لكي يكتسبوا مايقوم بنفقات تعليمهم كما كان يفعل هو

والاسلوب الذي اشترط ان يعمل بهِ في وصيتهِ يدلُّ على انهُ يعلم حق العلم ما هو الاساس الذي يبنى عليهِ عز الممالك، وكيف يكون البلوغ اليهِ. فقد اشترط ان لا يقتصر في اختيار التلامذة على النابغين في الدروس منهم بل اوجب ان يكونوا حائزين الاوصاف التالية : اولاً ان يكونوا عارفين علوم الادب. ثانياً ان يكونوا مولعين بالالعاب الرياضية التي تقوي الجسم كلعب الكرة ونحوهِ . ثالثاً ان يكونوا معروفين بكرم الاخلاق كالصدق والشجاعة والاستبسال في قضاء الواجب والرفق بالضعيف والعطف على المسكين . رابعاً ان يكونوا ميَّالين الى القيادة والارشاد ، لأن من بدت فيهِ هذه الصفة صغيراً سهل عليهِ الارتقاء الى المناصب العالية التي يقود فيها غيره

هذه هي الاوصاف التي اشترط وجودها في التلامذة الذين يتعلمون على نفقتهِ، اي من ريع الاموال التي اوصى بها لهذه الغاية . وقال انهُ يجب ان لا ينظر الى ما بينهم من الفوارق الجنسية والمذهبية فكل شبان الامَّة الانكليزية اهالي انكلترا واخوانهم في اميركا والمستعمرات الانكليزية، وكل الذين تجنَّسوا بالجنسية الانكليزية سواء في اختيار التلامذة منهم

ولسسل رودس صديق حميم بين مشاهير الكتَّاب وهو المستر ستد منشئ مجلة المجلات الانكليزية . وقد أنشأ هذا الكاتب مقالة مسهبة في وصف سسل رودس ومذهبهِ السياسي ، نشرها في شهر اكتوبر سنة ١٨٩٩ . ثم اعاد نشرها سنة ١٩٠٣ قائلاً : ان سسل رودس اطلع عليها ولم يعترض على شيءٍ مما ذكر فيها لا سرًّا ولا جهراً . فكأنهُ اقرَّ على صحتها فاعاد المستر ستد نشرها مفادها ان سسل رودس ينكر صحَّة الوحي على ماجاء في التوراة . ولكنهُ يعتقد بوجود الله او بامكان وجوده ولو كان هذا الامكان ٥٠ في المائة

وبأن احوال الخلق تدلُّ على ان خالقهُ قصد بهِ ان يرتقي رويداً رويداً حتى يسود العدل والسلم والحرية . وان من يبذل جهده في اعلاء منار العدل والسلم والحرية في هذه الدنيا يكون قد سعى السعي الذي يرضاهُ الخالق ويسرُّ بهِ . وان الامة التي تدلُّ الدلائل كلها على انها سائرة في هذا السبيل اي سبيل اعلاء منار العدل والسلم والحرية هي الامة الانكليزية . كأن العناية الالهية اقامتها لذلك . فيجب على كل احد ان يساعدها في عملها ويسعى الى نشر رايتها في الخافقين . وان كبار الماليين من اقدر الناس على ذلك . فيجب ان تؤلف عصبة منهم تنفق الاموال الطائلة في

هذا السبيل. فيرتقي نوع الانسان الارتقاء الذي يقتضيهِ مذهب النشوء، ويكون ذلك على مقتضى مشيئة الخالق . وهاك ترجمة ما قالهُ المستر ستد عن لسان سسل رودس « اذا كان الله موجوداً وكان لعملي اقل اعتبار في عينيهِ فلا بدَّ من انهُ يريد ان اعمل ما يعملهُ هو. وحيث ان الدلائل كلها تدلُّ على انهُ يدبر امر الامة التي تتكلم اللغة الانكليزية كأنها آلة اختارها لنشر راية العدل والحرية والسلم في الدنيا فالامر واضح انهُ يريد ان ابذل جهدي في مساعدة هذه الامة. اي ان اوسع الاملاك البريطانية في افريقية بحسب طاقتي ، واسعى جهدي في كل مكان الى توثيق عرى الاتحاد بين الشعوب المتكلمة باللغة الانكليزية »

والظاهر ان الذي اثر في نفسهِ اعظم تأثير عبارة اطلَّع عليها وهو في مدرسة اكسفرد وهي قول ارسطو «الفضيلة اسمى ما تسعى اليهِ النفس التي تطلب الغرض الاسمى في الحياة الكاملة»

وقد شبه المستر ستد سسل رودس بلويلا منشىء الطغمة اليسوعية، فقال انهُ وضع نصب عينيهِ حفظ الامة الانكليزية، ونشر رايتها في الخافقين. كما وضع لويلا نصب عينيهِ حفظ الكنيسة الكاثوليكية ونشر تعاليمها في المسكونة

وقد كتب سسل رودس الى المستر ستد في اواخر سنة ١٨٩٠ كتاباً مسهباً وطلب اليهِ ان ينقحهُ وينشره. فنشره سنة ١٩٠٣ على علاته من غير تنقيح وهاك بعض ماجاء فيه

« لا تنسَ ان الآلة التي اصل بها الى غرضي كما ابنته لك هو جمعية منشأة على اسلوب جمعية اليسوعيين من حيث نظامها . والاسلوب العملي لاجرائهِ دستور منقول عن دستور الولايات المتحدة الاميركية للاستقلال الاداري، الذي اشير به الى كل قسم من اقسام البلدان الانكليزية. حتى تتوزع ادارتها ولا تبقى محصورة في مجلس النواب. لان مجلساً واحداً يعجز عن ادارة خمس المسكونة . وان مسألة العمل والعمال من المسائل المعضلة التي لا بدَّ من حلها. ولكن مسألة فتح الاسواق للمصنوعات اهم من مسألة العمال. لان ربح ما يستعملهُ الانكليز من مصنوعاتهم يقوم بمعيشة ستة ملايين فقط. فلا يتعيش الباقون الاَّ اذا انتشرت مصنوعاتهم في اقطار المسكونة

«وقد اتحدت الممالك كلها، واميركا في مقدمتها، على مقاطعتنا بضرب الضرائب على مصنوعاتنا. فلا بدَّ لنا من ان نكيل لها بالكيل الذي كالت لنا بهِ الى ان ترجع عن غيها. واخيراً تنتهي هذه الحرب باتحادنا مع اميركا ، فيستتب السلام في العالم كلهِ وتؤلف جمعية مثل جمعية الجزويت، اعضاؤها اصحاب الملايين الكثيرة الذين غرضهم ان يعملوا شيئاً كبيراً في الدنيا . وان يخلصوا من الهمّ الذي يتعبهم دواماً. وهو اختيار من يتركون لهُ ثروتهم من اقاربهم الكسالى. فيخلصون من هذه المشكلة ويستعملون ثروتهم في ما يسرُّهم ويفيد غيرهم

«هذه هي الامنيَّة التي اتمناها واخاف ان اموت قبل البلوغ اليها، كما يخاف من اكتشف اكتشافاً ان يموت قبل تسجيلهُ . وقد سميت البلاد الجديدة من الترنسفال الى جنوبي طنجنيكا

باسمي ، لكي ابقى خالداً بعد موتي. فسرّني ذلك لعلهُ يعرب عن امنيتي التي من شأنها ابطال الحروب كلها في مستقبل الايام. ونشر لغة واحدة في كل المسكونة ان يهتم ارباب الاموال الوافرة وارباب العقول الثاقبة بهذا الغرض

«لو امكننا ان نتحد الآن بالولايات المتحدة لاستطعنا ان نبطل الحروب من المسكونة . ويكون لنا مجلس نواب واحد يجتمع خمس سنوات في وشنطون ، وخمس سنوات في اميركا ولا يتم هذا الامر الاَّ بجمعية سرية تستولي على موارد الثروة كلها وتستخدمها لهذا الغرض»

والكتاب طويل جدًّا وهو على هذا النسق من بسط الاماني والآراء على صورة مشوشة. كأنَّ ذهن كاتبهِ مملوءٌ منها، فيعجز عن التعبير عنها، لكن غرضهُ ظاهر منها ظهور الشمس من وراء الضباب . وقد توفى كما انبأ من غير ان ينال ما تمنى ومن غير ان يرى ما يدلُّ على قرب منالهِ . وكأنهُ ادرك ذلك قبل وفاتهِ، فاختار الأسلوب الذي اشار اليهِ في وصيتهِ، لكي يعلم ألوفاً من اذكياء العقول وكبار النفوس حتى يحذوا حذوه ويسعوا في تحقيق امانيه

قال المستر ستد بعد ما نشر هذا الكتاب برمتهِ وعقَّب عليه « ان مثل سسل رودس في وفاته قبلما تتحقق امنيته مثل النبي داود اذ كان عازماً ان يبني الهيكل. فاعدَّ له المواد اللازمة وترك بناءه لابنه. فعسى ان يقوم بعد رودس من يحذو حذوه ويتمم العمل الذي شرع فيه»

اما نحن فقد نشرنا ما نشرناه من ترجمة هذا الرجل وآرائه لا لمجرَّد العلم بها، بل ليرى ابناء المشرق سرًّا من اسرار تقدُّم الاوربيين علينا وسبقهم لنا في ميدان الحضارة . وهو تنافس ارباب الثروة منهم في ما يعلي شأن امهم واوطانهم

جون افانس

يقول العرب « طالب علم وطالب مال لا يجتمعان » وقالوا « ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا » فنفوا المال عن طلبة العلم واستحسنوه في رجال الدين . ولكن اذا حق لنا ان نبيح المال لقوم ونحرمه على قوم انحناه لرجال العلم لا لرجال الدين. لان هؤلاء احرى من كل احد بالزهد في حطام الدنيا، لكي يتسنى لهم حثّ غيرهم على الزهد فيها، فلا ينصرف همُّ الناس كله اليها . اما العلم فانهُ قرين المال وعميدهُ، بل كلٌّ منها عميد الآخر . العلم يزداد نفعهُ بالمال والمال يزداد نفعه بالعلم. وعليهما كليهما تبنى عزة الامم وتقام دعائم الممالك، ولا ترتقي الشعوب الاَّ حيث يعضد المالُ العلمَ والعلمُ المال

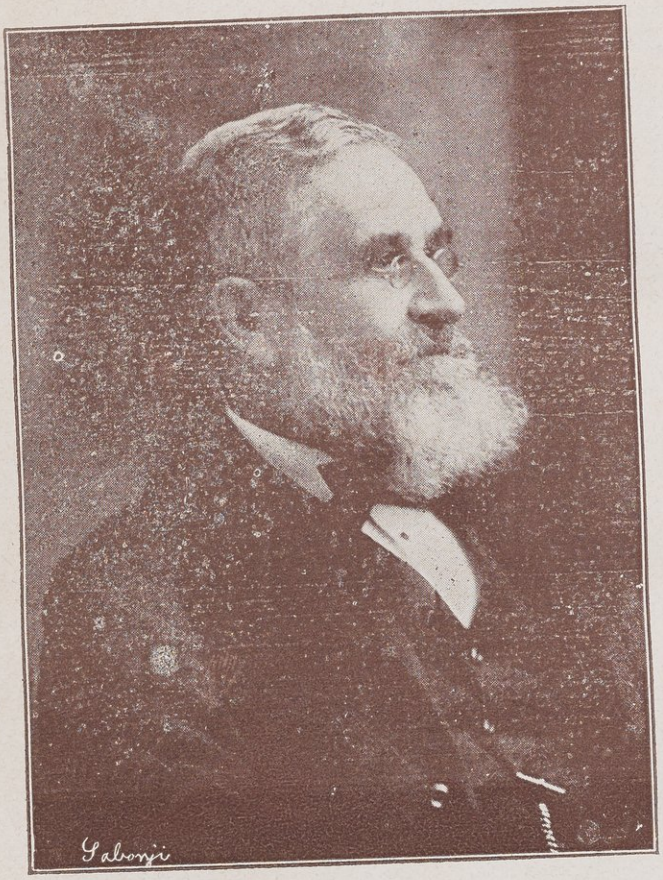

السر جون اڤانس

(امام ص ١٠٢)

لما زرنا معرض باريس سنة ١٩٠٠ انسنا بلقاء رجل من شيوخ العلماء، هو السر جون افانس. وكنا نسمع عنهُ ونقرأ خطبهُ ونودُّ التعرف بهِ . ويقيننا انهُ منقطع للعلم لا يفعل شيئاً سواه . ثم زار القطر المصري في شتاء ١٩٠١ ، وحالما وقع نظره على بالات الورق في دار المقتطف وقف متهللاً ، واستوقف زوجته لادي افانس قائلاً لها : انظري ورق معملنا : ثم اخبرنا انهُ صاحب معمل دكنصن المشهور بعمل ورق الكتابة وورق الطباعة في البلاد الانكليزية. وقد تحول هذا المعمل الآن الى شركة مساهمة رأس مالها ٤٥٠ الف جنيه ، والجانب الاكبر من اسهمها لهُ . ولدى البحث والاستقصاء وجدنا انهُ ابن اخت جون دكنصن منشىء هذا المعمل. وقد انضمَّ اليه سنهُ ١٨٤٠ وعمره ١٧ سنة. وتزوج بابنته واشترك معهُ سنة ١٨٥٠. وعكف على توسيع نطاق المعمل واتقان اعماله وتوفير ارباحه، ولم يصرفه ذلك عن خدمة العلم. فقضى حق العلم وحق المال، لانهُ كان يقضي ساعات الفراغ من الاعمال في الدرس والبحث. وانتظم في سلك كثير من الجمعيات العلمية وصار رئيساً لكثير منها. فرأس جمعية علم النقود وجمعية العاديات والجمعية الجغرافية والجمعية الملكية ومجمع ترقية العلوم البريطاني. وله تآليف مختلفة في علم النقود والعاديات وعنده مجموع كبير من التحف قلما يوجد مثله. وقد ظهر لنا من الحديث معه ان عنده من نوادر النقود القديمة ما لا مثيل له عند سواه

***

ولو اقتصر هذا الرجل على خدمة العلم لما مات جوعاً ولا عاش فقيراً متربّاً كما يعيش كثيرون من خدمة العلم عندنا ولا اضطر ان يهرب بقلمهِ وكتبهِ من بلاد الى اخرى كما يهرب كثيرون من ابناء المشرق الذين قضى عليهم نكد الطالع ان يكونوا من ارباب الاقلام. لان لرجال العلم شأناً كبيراً عند الامة الانكليزية وكل الامم الاوربية. ولكنهُ لو فعل ذلك ما استطاع ان يقتني القصور ويجمع التحف، ويضيف العلماء، وينفق على المباحث العلمية انفاق المثري الكريم . وله قصر في مدينة دوفر فيه بسطة جاهٍ وعز لا يظهر فيهما الاَّ الامراء وكبار الاغنياء . ورأينا في نشرة نشرتها لجنة البحث عن آثار كريت ان اكثر نفقات البحث منهُ. والباحث عن تلك الآثار ابنهُ. فكأنهُ وقف ماله واولاده لخدمة العلم . فالمال الذي اكتسبه يجده من صناعة الوراقة كان له عوناً كبيراً على توسيع نطاق العلم فوق ما فيه من رفعة الجاه عند من يعرف كيف ينفق مالهُ في ما يُكرَم على انفاقه فيهِ . ولم يثرِ هذا الرجل مثل كبار الاغنياء لكن مقامهُ بينهم لا يقل عن مقامهم ونفعهُ لوطنهِ قد يزيد على نفعهم

ياركيز

ان طلاَّب العلوم الطبيعية ولاسيما علم الفلك يعرفون اسم ياركيز من نظارته العظيمة التي لا تزال اعظم ما صُنع من نوعها حتى الآن، ولا اعظم منها الاَّ نظارة معرض باريس. وقد يظن بعضهم انه عالم من علماء الفلك او امير من الامراء يجود بالمال لتخليد الذكر. ولا يخطر ببالهم انه عصامي من اولاد اميركا الذين اثروا بجدهم واجتهادهم، ثم استخدموا ثروتهم لتخليد ذكرهم

ابتدأ هذا الرجل في العمل وهو ولد عمره اثنتا عشرة سنة. فانهُ كان يتردَّد على سوق تقام في مدينة فيلادلفيا يوم السبت من كل اسبوع، وتباع فيها البضائع بالمزاد. وكان يسرُّ بذلك ويتمنى ان يكون في عداد البائعين والشارين

وذات يوم مرَّ بهذه السوق فرأى فيها صناديق فيها نوع من الصابون كان يشتري منهُ لامهِ. فذهب الى البدَّال (البقال) الذي كان يشتري الصابون منهُ وسأله كم ثمن الرطل من هذا الصابون؟ فقال لهُ اثنا عشر سنتاً (اي غرشان ونصف) فقال وبكم تشتريهِ انت؟ فقال اني اشتريهِ بتسعة سنتات. فقال اتشتريه بهذا الثمن مهما كان مقدارهُ؟ فقال نعم. وكان معهُ دُريهمات جمعها بالتقتير مما تعطيهِ اياهُ امهُ. فعاد الى السوق وانتظر الى ان عرض الدلاَّل الصابون، فدفع في الرطل ستة سنتات. ولما سمع الحضور صوته دهشوا والتفتوا ليروا من هذا الولد الذي يناظر كبار التجار. فرسا مزاد الصندوق الاول عليهِ وكذلك الصندوق الثاني والثالث الى خمسة عشر صندوقاً. ثم خفض السعر قليلاً وجعلهُ خمسة سنتات ونصفاً. فرسا عليهِ مزاد خمسة صناديق اخرى. واسرع الى البدَّال واخبرهُ انهُ احضر لهُ عشرين صندوقاً من الصابون بالسعر الذي قطعهُ معهُ وهو تسعة سنتات الرطل. فدهش البدَّال من ذلك كما دُهش التجار ودفع اليهِ الثمن ودفع ثمن الصابون وعاد الى بيتهِ وقد ربح مبلغاً طائلاً

واتمَّ دروسهُ في المدرسة مثل كل ابناء الاميركيين. ودخل مخزن تاجر من تجار الدقيق والحنطة كاتباً بغير اجرة. فارضى التاجر باجتهادهِ فاعطاهُ في آخر السنة عشرة جنيهات هبةً. وتعلم وهو هناك طرق البيع والشراء. لكن نفسهُ كانت تسمو بهِ الى أعلى من ذلك. فخرج من عند التاجر وفتح محلاً للسمسرة وعمرهُ احدى وعشرون سنة. وكان غاية في الاجتهاد والانتباه ولين العريكة. فلم يمض عليهِ وقت طويل حتى صار كثيرون من الاغنياء من زبائنهِ. فجمع شيئاً من الثروة وصار يعد من «البنكيين»

وكانت الحرب الاهلية ناشبة في اميركا، واسعار الاوراق المالية وكل السلع التجارية تعلو وتهبط بسرعة البرق لغير سبب ظاهر، والمضاربات على اشدها. فيغتني المرء اليوم ويفتقر غداً. ولا يثبت على الاشغال الاَّ المتبصر الذي لا يبطر اذا نجح ولا يقنط اذا فشل. ورأى ان اوراق الحكومة اسلم عاقبة من غيرها. فقصر شغله عليها فربح من ذلك ربحاً وافراً. ورأى الذين يعاملونهُ فرط ذكائهِ وحذره فاعتمد عليهِ التجار والمشتغلون بالاوراق المالية. وامدُّوه بمبالغ طائلة من المال، فزادت ارباحهُ كثيراً واستمرَّ سائراً في سبيل النجاح الى ان احترقت مدينة شيكاغو، فخسر بذلك خسارة كبيرة ذهبت بثروتهِ كلها، وباموال كثيرة مما استمدَّه من غيرهِ. فرأى ان لا بدَّ لهُ من اعلان افلاسهِ رسميًّا

وعاد بعد هذه الخسارة اشدَّ حذراً مما كان اولاً. الى ان تبيَّن ان محلاً من المحلات التجارية الكبيرة على شفا الافلاس. وان افلاسه سيحط ثمن الاسهم كثيراً. فباع مقداراً وافراً « على المكشوف » منها قبلما اشتهر افلاس هذا المحل وربح بذلك ربحاً كبيراً. فاشترك في سكة فيلادلفيا الحديدية وانتقل من الاشتغال بالمضاربات الى الاشتغال بالشركات وادارتها. وكانت قيمة السهم من اسهم هذه الشركة حينما تولَّى ادارتها ثلاثة جنيهات، فبلغت بحسن ادارته عشرين جنيهاً. ولما رأى ذلك قصر اشتغاله على فرع واحد وهو فرع الترامواي. وكان ينزل الى مكتبه قبل الساعة السادسة صباحاً، ولا يخرج منهُ الاَّ وقد مضى جانب كبير من الليل. واستمرَّ على ذلك الى ان نشر سكك الترامواي في فيلادلفيا وجمع ثروة وافرة

ولما رأى ان المجال ضاق عليهِ في فلادلفيا قصد مدينة شيكاغو وانشأ بنكاً فيها. واقام خمس سنوات يراقب احوال سككها، الى ان تيسَّر لهُ تأليف شركة لانشاء سكك الترام فيها. فألفها وادارها بمهارة فائقة وهمَّة لا تعرف الملل. ووسَّع نطاقها حتى صارت تمتلك خمسمائة ميل من سكك الترام. ثم زادها اتساعاً وانشأ سككاً كثيرة تتصل بالمدينة، وسهل الانتقال على سكانها فربح اموالاً طائلة، وصار من أصحاب الملايين الكثيرة

قلنا انه خسر خسارة فاحشة لما احترقت شيكاغو، ذهبت بها امواله واموال كثيرين من مدائنيه. فلما أثرى عاد الى فيلادلفيا ودعا اولئك الدائنين الى وليمة فاخرة اعدها لهم، وبعد الطعام قدَّم الى كل واحد منهم تحويلاً على البنك بالمال الذي كان لهُ عنده، مع فائدته القانونية المركبة من حين افلاسه الى ذلك اليوم. فوفَّى كل ما كان عليه مع رباه. مع ان قوانين التجارة لا تضطره الى شيءٍ من ذلك. فذاعت شهرتهُ في الدنيا كلها، ونال بذلك من حسن الاسم والسمعة ما لا يُنال بالمال

اما النظارة المنسوبة اليه فبلغت نفقاتها مائة الف جنيه. وهي كاسرة قطر بلورتها أربعون

عقدةً او اكثر من متر قليلاً وهي مؤلفة من بلورتين ثقلهما معاً اكثر من خمسة قناطير مصرية. وثقلهما مع الطوق الذي يحيط بهما نحو عشرة قناطير . وبلغ ثمنهما ثلاثة عشر الف جنيه . ان رجلاً جمع ثروتهُ بالشركات والمضاربات عرف كيف يكتسب حسن الاحدوثة بايفائهِ اموالاً خسرها في حداثتهِ ،لا باسراف ولا بخطإٍ بل بقضاءٍ وقدَر .وعرف ايضاً كيف ينفق على ما يفوق به كل من تقدَّمهُ حتى الممالك الكبيرة . لان نظارتهُ لا تزال الكبرى من نوعها حتى الآن

ايستمن

ولد في دوترفيل بولاية نيويورك سنة ١٨٥٤.وجاء مدينة روشستر وعمرهُ ست سنوات. وبعد ثماني سنوات دخل ادارة للتأمين مستخدماً صغيراً واجرتهُ ثلاثة ريالات في الاسبوع. اي نحو ٢٥٠ غرشاً في الشهر،او اقل من اجرة البواب عندنا الآن،وهذا دليل على فقرهِ المدقع . وممَّا قالهُ في هذا الصدد « انني دخلت ميدان العمل وعمري اربع عشرة سنة ولا ازال في هذا الميدان» . ولما صار لهُ من العمر ٢٤ سنة أعطى مصوراً فوتوغرافيًّا خمسة ريالات حتى علَّمهُ كيفية التصوير الشمسي بالآلات المعروفة حينئذٍ . وجعل يمارس هذه الصناعة ويقتصد بما يربحهُ منها حتى جمع ثلاثة آلاف ريال . وسنة ٨٨٠ جعل يصنع الالواح الجافة لاخذ الصور الفوتوغرافية . الاستنباط لغيرهِ لكنهُ عمل بهِ واتقنهُ . وبعد اربع سنوات استنبط لفافة الشريط (الفلم) الفوتوغرافي.واتسع نطاق عملهِ رويداً رويداً باجتهادهِ ومواظبتهِ حتى يقدَّر ما في معملهِ الآن بمائة مليون ريال.ولهُ مال احتياطي مقداره ٢٥ مليون ريال.وقد حولهُ الى شركة فيها مليونا سهم.واهم اعمالها صنع الكودك Kodak ويشغل معملهُ ٢٣٠ فداناً من الارض،وفيهُ ثلاثة عشر الفاً من العمال

ومما جرى عليهِ في معاملة العمال الذين في معمله انهُ خصَّص للذين عملوا عندهُ خمس سنين فاكثر عشرة آلاف سهم من اسهم معملهِ ليبتاعوها بثمنها الاساسي.فابتاعوها بما يساوي ٢ في المائة من اجورهم،فتضاعف ثمنها الآن وصاروا شركاء لهُ . ولما زادت ثروتهُ قال لاحد اصدقائهِ « ان الغني بين امرين اما ان يخزن اموالهُ حتى تتراكم بعضها فوق بعض ثم يتركها لورثائهِ حتى ينفقوها كما يشاؤون،او ان ينفقها هو بالطريق الذي يختارهُ ويسرُّ بهِ.فاخترت انا الاسلوب الثاني،وقد كان في الامكان ان ابقيها واوصي وصية توزع بموجبها (لانهُ اعزب)

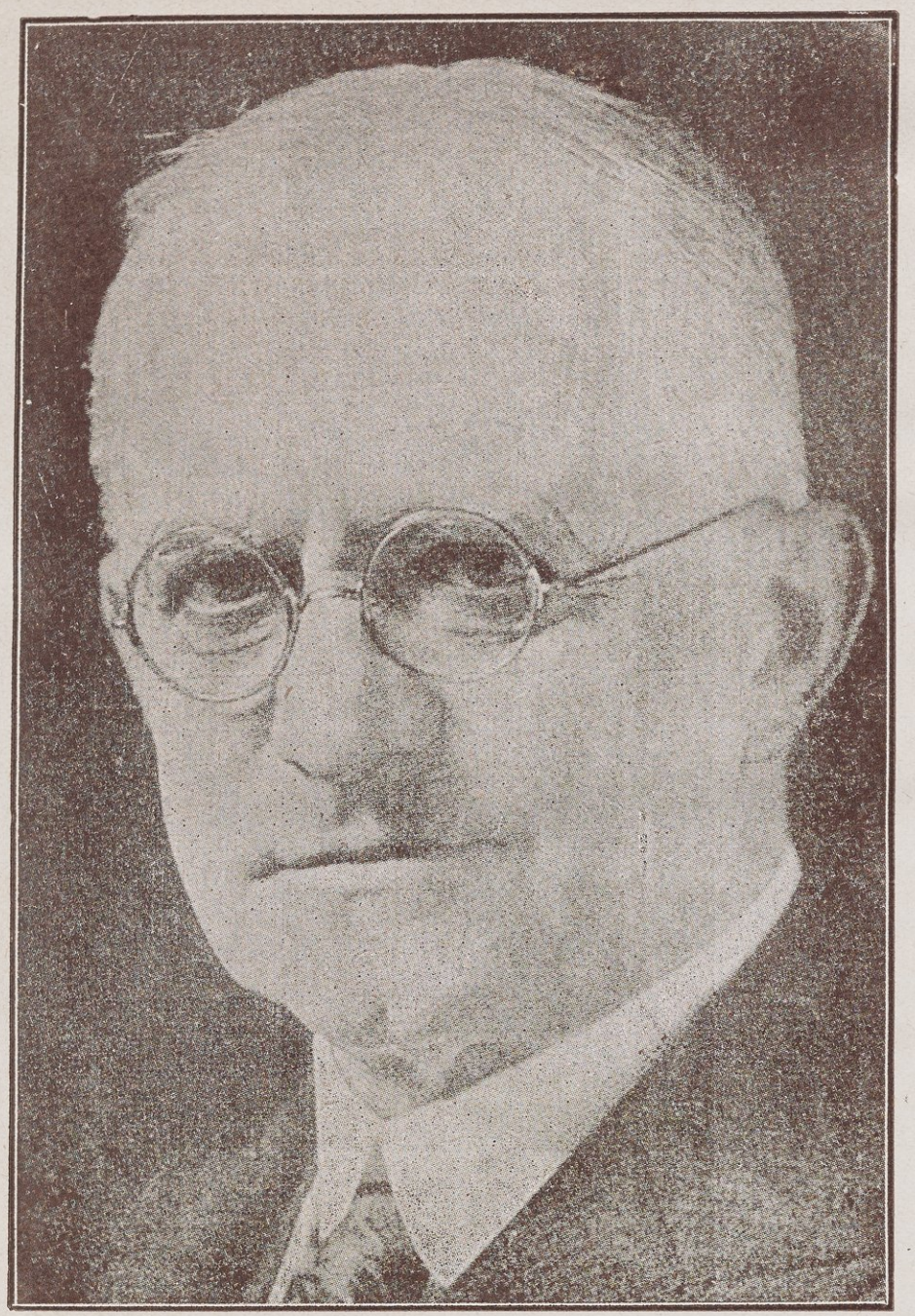

المستر ايستمن مخترع الكودك

(امام ص ١٠٦)

ولكن احوال الزمان والمكان تتغير من وقت الى آخر. فاضطر ان اغير الوصية مجاراة لها، واترك لمنفذيها عملاً شاقًّا . وقد رأيت ان انفاق اموالي بنفسي في السبيل الذي اختاره يسرني اكثر من جعلها تنفق بعدي حسب وصية اوصي بها . وقد فعل حسب ذلك

وهاك جدول الاموال التي انفقها الى ٥ يناير سنة ١٩٢٣

لمدرسة الطب في جامعة رتشستر وطب الاسنان	٠٦٣٠٠٠٠٠ ريال
لمدرسة الموسيقى في جامعة رتشستر	٠٩٥٠٠٠٠٠ »
لاغراض اخرى في جامعة رتشستر	٠٠٦٧٥٠٠٠ »
لمعهد مستشوتس الصناعي	١١٠٠٠٠٠٠ »
لجمعية العمال في معمله	٠٦٠٠٠٠٠٠ »
ثمن آلات موسيقية للمدارس العمومية	٠٠٠١٥٠٠٠ »
لجمعية اتحاد الشبان المسيحيين	٠٠٣٥٠٠٠٠ »
لجمعية اتحاد الشابات المسيحيات	٠٠٣٥٠٠٠٠ »
لمآوي الاولاد	٠٠٠٤٥٠٠٠ »
لملجإ الصداقة في رتشستر	٠٠٠٥٠٠٠٠ »
للمستشفيات والرياض في رتشستر	٠٠٧٧٥٠٠٠ »
للمعهد الميكانيكي	٠٠٤٠٠٠٠٠ »
لمعهد سسكجي	٠٠٤٠٠٠٠٠ »
لدور البحث العلمي المحلي	٠٠٢٥٠٠٠٠ »
للاعانات وقت الحرب	٠١٠٧٥٠٠٠ »
لصناديق ارتشستر البلدية	٠٠٦٥٠٠٠٠ »
لغرفة التجارة	٠٠٥٧٥٠٠٠ »
المجموع	٣٨١٤٠٠٠٠ »

اي ان هذا الرجل الذي نشأ صانعاً اجرتهُ ستون غرشاً في الاسبوع تمكَّن باجتهادهِ ومواظبتهِ من استنباط وسائل جديدة في التصوير الشمسي فجمع ثروة وافرة، انفق منها الى بداءة سنة ١٩٢٣ فيما يسرهُ ويفيد ابناءَ وطنهِ اكثر من ٣٨ مليون ريال (او نحو ثمانية ملايين من الجنيهات)

هذا رجل من الرجال العصاميين العظام الذين جمعوا الثروة فبما يفيد الناس ثم انفقوها فيما يفيد الناس وبهم ارتقت الولايات المتحدة الاميركية وسبقت ممالك الارض

فهرست

رجال المال والاعمال

	صفحة
المقدمة	١
السلطة المال	٣
* جون كوك	٧
* هنري فورد ومعامله	١٢
ادزل فورد	١٩
* ايغر سكورسكي	٢٤
نورثكلف	٣٠
جوزف بلتزر	٣٢
* روتر	٣٧
* سمث	٣٩
* جون ركفلر	٤٠
دارسي	٤٥
بيرستد	٥٠
* دتردنج	٥٢
* روتشيلد	٥٦
* بيربنت مورغان	٦٠
* كروب	٦٣
الفرد برنارد نوبل	٦٧
* مشام	٧١
* تشمبرلين	٧٤
* اندرو كارنجي	٧٧
* شواب	٧٩
* لفرهلم	٨٣
* ستنس	٨٧
* سسل رودس	٩٥
* جون افانس	١٠٢
يار كيز	١٠٤
* ايستمن	١٠٦

B12665836
I14109888

DATE DUE

27 NOV 1988

21 DEC 1988

JAN 11 1989

HJ
172
A2
R5x
1933

- JAN 1986